



مطبوعات الجمع العلمي



# بحر بلاغية

تأليف

الدكتور أحمد محمد مطلوب

بغداد

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م



1875

1875

1875

## المقدمة

ما كنت أعرف أن البلاغة علم ذو أصول حتى دخل علينا صباح يوم  
استاذ تسوره الزبية وبدأوه الوتر \* وأخذ يطوف بنا في سالك لم نألفها ،  
فإذا نحن أمام اتجاهات البلاغة تلمس المؤثرات ونقف ذى الغويين والنحاة  
والمفسرين والأدباء والفلاسفة وأصحاب الكلام ، وإذا نحن نردد الشعر الرقيق  
وقد اختاره الاستاذ أمثلة للكلمة العذبة ، ونعظ قواعد التشبيه والاستعارة  
والكتابة والم \* بأصول الخبر والانضام ، والتقديم والتأخير ، والحذف والذكر ،  
والتمثيل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة ، وتطالع الى ألوان البديع  
ناقرين منا حيناً وسأتسئين بها حيناً آخر \* وكان ذلك أول تجربة أمر بها ،  
وقد حبب الي \* الاستاذ هذا العلم أو هذا الفن ، وجعاني أقدم رسالة التخرج  
في « ضياء الدين بن الأثير » الناقد البلاغي الكبير ، وأحصل على مرتبة  
الامتياز الخاصة \* وكانت في الوقت نفسه أطالع على خطوات الاستاذ وهو  
يحدثني مع الاستاذ الدكتور مصطفى جواد - رحمه الله - كتاب « الجامع  
الكبير » لابن الأثير \*

كان ذلك عام ١٩٥٣م وكان ذلك الاستاذ الدكتور جميل سعيد - رحمه الله -  
الذي وجدت فيه حياً لطلابه وحرصاً على مستقبائهم \* وكان لتشجيعه أثر كبير في  
توجيهي نحو البلاغة والنقد ، وشاء الله أن أجد استاذة جارية تأخذ بيدي وهي  
الدكتور سيمر القلماوي - حفظها الله - التي كانت أما رؤوما وأنا كمل بتوجيهها  
تدراستي العليا في القاهرة برسالتين : الأولى « البلاغة عند السكاكي » والثانية  
« التزويدي وشروح الخليل » \* وكان هذان الكتابان منطلقني في البحث  
والتأليف - فسرت في الطريق لا ألوي على شيء \* وكان زامي الأريادة القوية  
وتعني بالله \* وكان علي \* وأنا أفعد السير أن أقل حرصاً على الطرفين والتأييد وأن

أجمع ألوان الأدب لاكتسب ذوقاً لا تنتفع في تكوينه قواعد البلاغة والنقد وحدها، وأخرجت أكثر من خمسين كتاباً - تأليفاً وتحقيقاً - ونشرت أكثر من مائة بحث علمي فيها من الأصالة وروح الأمة ورسالتها الخالدة ما جعل الناس بها ينتفعون - وسارت فإذا بها صفحات تنور الكتب وآراء تتردد في الندوات - وقد نادى خاتق قبلي لما استجاب لهم مستجيب لأنهم لم يكونوا مخلصين للكلمة ولم يتواضعوا أمام العلم وكانوا فيما كتبوا أو التوا من المدمنين .

لقد سرى البحث في دمي وكان لسفا ينض لا شجرة ميتة شعور في جنباتها الرياح ، وكانت البلاغة والنقد ما أحييت ولو صرفت اليهما كل الانصراف لكان النتائج أغزر ، ولكن صوت الأمة ونداء الوطن حينما يرتعان يندفع اليهما من آمن بربه وأمه وأرضه - وكان ما كان ، ومن يقدر على أن يطفىء لبب الأورة في قلبه اذا تأجج ؟ لقد اندفعت في الطريق القويم فإذا أنا في خضم الحياة أعدل من أجل أمي ووطني وأذود عنهما وأنشر الفضائل والمقالات وأضح الكتب في غير البلاغة والنقد ، والآتي النصب من أجل أن تقر عيون الأباء ويسعد الأبناء - والكتني - على الرغم من ذلك - لم أنس ما بدأه قبل ثلاث قرن ، وأصدرت كتباً في البلاغة والنقد ، وما أنا اليوم أصدر هذا الكتاب الذي سميته « بحوث بلاغية » واضعاً فيه بعض ما كتبت في السنوات الأخيرة عن مصادر البحث البلاغي ، والمصاحبة عند الجاحظ ، والأساليب البلاغية ، والفنون البلاغية ، والبلاغة بين التلطي والتذوق ، وأثر القرآن في البلاغة ، وبدع القرآن الكريم ، وأثر الحديث في البلاغة ، وأثر المفاتيح النبوية في البلاغة ، وأثر البلاغة العربية في البلاغة الفارسية .

لقد أريد بهذه البحوث أن تظهر بعض جوانب البلاغة العربية التي أصابها الحيف ممن تنكروا لأصالة أممتهم وظنوا بها ظنء الكفر وأكروا أهيتها في التعبير والتصوير ، واندمسوا وراء بعض الاتجاهات التي لا تخدم اللغة ولا تفرم الأساليب - ونسي هؤلاء أن البلاغة روح اللغة وأنها السبيل

المضي الى الأدب الرائع والنقد القويم ، وأن كبار النقاد في الغرب قد عادوا إليها وأقروا بإلتزامها من أثر في نقد الأدب وتحليله ، وما الدعوة الى « علم الاسلوب » إلا انتصار لها بل هو البلاغة بثوب جديد .

إن البحث في البلاغة العربية معين لا ينضب ، وإن دارس القرآن الكريم والأدب العربي ومصنف المختارات والناقد الأديبي لن يستغنى عنها ، لأن أهدافها واسعة ، ومداهها بعيد ، بخلاف بلاغة الأقوام الأخرى . وقد أدرك القدماء هذه الحقيقة وهم يحثون في إعجاز القرآن الكريم ، وينقدون الأدب ، ويقولون الأئمة ، ويطعنون المختارات . وأجدد\* بعضهم أن يولسوا هذا الفن اهتماما كبيرا ، وأن يجددوا فيه وهم يستدرفون الزن العادي والمعشرين ، وأن تكون لهم أصول عربية في النقد والبيان . وآخر ما أختتم به هذه المقدمة قوله تعالى :

« وَبِئْسَ لَا تَشْرَعُ \* قُلُوبُنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ . وَبِئْسَ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَبَّ فِيهِ إِذْ لَا يُخَالِفُ الْمُبَادِ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ . كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ \* وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاخَذْنَاهُمْ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ، وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ . قُلْ \* لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَكَتٌ لَوْ يَكْفُرُونَ \* إِلَى جَهَنَّمَ \* وَرَبُّنَا إِلَهُ الْيَهُودِ » .

وما التوفيق إلا من عند الله

الدكتور احمد مطلوب

عضو المجع العلمي - بغداد

غرة رمضان ١٤١٦هـ

٢١ كانون الثاني ١٩٩٦م



## ( ١ )

### مصادر البحث البلاغي

#### الأهداف :

نشأ البحث البلاغي عند العرب بعد أن نزل القرآن الكريم وامتدت دعوة الاسلام الى بقاع العالم ، وكانت نشأته تسير الى جانب نشأة علوم اللغة العربية وتتطور بتطورها غير التروى . ومن أهم الأسباب التي دفعت الى هذا البحث اهتمام المسلمين بكتابتهم العظيم ، فقد وجدوا فيه غير ما القوه في كلام العرب ووجدوه معجزة كبرى تحدى الله به الائنس والجن على أن يأتيوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . ولكي يبرهنوا على اجزائه وذموا آياته واسلوبه ويستبطلوا الأحكام منه انجبروا الى البلاغة باحثين فنيا وموضحين أقاميا . وكان هذا الغرض من أهم الأهداف التي دفعتم الى البحث واثألف فيها ؛ لأن « الانسان إذا أخذ عام العربية وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه باعجاز القرآن من جبهة ما حوته الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب وما شجته من الأيجاز البديع والاختصار اللطيف ، وضنه من العلاوة وجاهه من رونق الملاوة مع سهولة كالمه وجزالتها وعضويتها وسلاستها ، الى غير ذلك من محاسن التي عجز الخلق عنها وتحررت عقولهم فيها »<sup>(١)</sup> .

ويقف الى جانب الغرض الديني دافعان آخران هما : الغرض التعليمي أي تعاليم الناشئة لغة القرآن الكريم ومعرفة أساليبها بعد أن اتصل العرب

١٠ نشر في مجلة « الجامعة » التي تصدرها جامعة الموصل في العراق العدد ( ٨ ) أيار ١٩٨١ .

(١) كتاب الصناعتين ص ١ .

بأمم شتى وأدعى ذلك الاتصال إلى فساد اللغة ودخول اللحن فيها . والفرض النقدي أي تمييز الكلام الحسن من الرديء والموازنة بين المتصالح والغضب والرسائل ، ويتصل بهذا الفرض رواية الأديب ومعرفة الجيد الذي يرهى والرديء الذي ينبغي أن يطرح . وقد أشار أبو هلال السكري إلى الوديعين التعالبي والنقدي بقوله : « ولربما العلم بعد ذلك فضائل مشهورة ومناقب معروفة ، منها أن صاحب العربية إذا أحسن بطلبه وسرط في التماسه فقاته فضياته وعلمت به رذيلة فوته على تالي جميع محاسنه وعمى سائر فضائله ؛ لأنه إذا لم يترق بين كلام جيد وآخر رديء ونظ حسي وأخر قبيح وشعر نادر وآخر بارد ، بأن جباهه وظهره تنصه . وهو أيضا إذا أراد أن يصنع قصيدة أو ينشئ رسالة وقد فاه هذا العلم بوج الصغير بالكفر وخلف القُرُورَ بالغرور واستعمل الوحشي العكر ، فجعل نفسه مهزأة للجاهل ومهيرة للعاقل . . . . » وإذا أراد أيضا تصنيف كلام مشهور أو تأليف شعر منظوم وتخطي هذا العلم ساء اختياره له وقبح آثاره فيه فأخذ الرديء الرذول وترك الجيد المقبول فندل على قصور فيه وتأخر معرفته وعلمه . » (٢٧)

كانت هذه الأهداف : خدمة القرآن الكريم وتفسير إعجازه ، وتعليم اللغة العربية وإتقانها ، وإنشاء الأدب وتقدمه - دافعا قويا خيرا " العرب الغرض في دراسة البلاغة والتأليف فيها ، وكانت هذه الأهداف غرض المؤلفين جميعا ولا يغفل كتاب من كتب البلاغة والإعجاز من الإشارة إليها . وقد تضافرت جهود كبيرة دلت على وضع أسس البلاغة وأمورنا ، وذلك تمتدت مصادر بحثها وتنوعت مناهج درساها ، ومن أشهر الذين بحثوا فيها : علماء إعجاز القرآن الكريم ، والمفسرون والاصوليون ، والمفوضون والنحاة ، والشعراء والكتاب ، والفلاسفة والمتكلمون ، والمختصون والشرائح ، وأصحاب البدييات . وكانت كل طبقة من هؤلاء تتفق في كثير من الأسس وتلتقي في أهداف واضحة المعالم ، وإن كان رجالها يختلفون في تصورهم للبحث البلاغي أحيانا .

(٢) كتاب الصناعاتين ص ٩ - ٢ .

## اعجاز القرآن :

كان تأثير كتاب الله واضحا في اتخاذ مدار الدراسات البلاغية ، وكانت آياته البينات الشاهد البلاغي الرقيق ، ولذلك اهتم كثير من الباحثين القداماء الى أن تشرق علم البلاغة « حسي في فهم الاعجاز من القرآن ؛ لأن اعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة ، وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالألفاظ في التقالبا وجودة وصفها . وهذا هو الاعجاز الذي تقصر الافهام عن ادراكه » (١٢) .

وكان المتكلمون أول من بحث في اعجاز القرآن وبلاغته ، وقالت المعتزلة - إلا النظام - وهشام التوملي<sup>١٣</sup> وعياد بن سليمان - : « تأليف القرآن ونقله معجز محال وقروعه منهم كاستحالة إحياء الموتى منهم ، وانه علم لرسول الله . وقال النظام : الآية والاعجوبة في القرآن ما فيه من الاخيار عن القيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدهما فيهم . وقال هشام وعياد : لا نقول إن شيئا من الأعراض يدل على الله سبحانه وتعالى - ولا نقول أيضا إن عرضا يدل على نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - . ولم يجعل القرآن علما للنبي ، وزعمنا أن القرآن أعراض » . (١٤)

واختلفت وجهات النظر في الاعجاز وتشتعت سبل القول ؛ لأن الوصول الى ذلك صعب ، وتحديد البلاغة في القرآن أصعب ، ولكن الباحثين لم يقتروا ومضوا يتلمسون بلاغة الكتاب العزيز ويبنون اعجازه ، فكانت دراساتهم أحسن مصدر للبلاغة وأجل مورد لمن أراد أن يتذوق القرآن ويحس البيان . ومن أهم كتب الاعجاز « اعجاز القرآن في نظمه وتأليفه » لابي عبدالله محمد بن يزيد الواسطي ( - ٣٠٦ هـ ) ولهم يصل هذا الكتاب ولا شرحا عبد القاهر الجرجاني له .

(١٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

(١٤) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .



ورسالة « التكت في اعجاز القرآن » لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٦ هـ) وقد تقسم البلاغة على عشرة أقسام : الأيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والنواسل ، والتجاسر ، والتصرف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان . وهذه الرسالة من أقدم كتب الاعجاز التي تحدثت عن فنون البلاغة وحددت معانيها ، وقد اعتمد التأخرون عليها في كثير من مسائلهم البلاغية .

ورسالة « بيان اعجاز القرآن » لأبي سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي (٣٨٨ هـ) وقد جاءت فنون البلاغة فيها عند كلام المؤلف على ما في الآيات القرآنية من بلاغة أعجزت العالمين .

وكتاب « إيجاز القرآن » لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي (٤٠٣ هـ) وهذا الكتاب من أهم كتب الاعجاز التي تحدثت عن التقيد والبلاغة . وقد اهتم المؤلف بفنون البديع وذكر كثيراً منها كالتشبيه والتخييل والاستعارة والقلو والمطابقة والتجنيس والمقابلة وصحة التقسيم والالفاظ والاستطراد والتكرار والمبالغة، والباقلاني لا يرى أن القرآن معجز لأن فيه هذه الفنون ، وإنما هو معجز بأسلوبه وقلمه البديع والفائز ، وبأثره في النفوس . قال : « لا سبيل الى معرفة اعجاز القرآن من البديع الذي ادعوه في الشعر ووصفوه فيه ، وذلك ان هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة ويخرج عن العرف ، بل يمكن استمراجه بالتعلم والتدرب والتصنع له كتقول الشعر ووصف الخطب وصناعة الرسالة والحدق في البلاغة ، وله طريق يسلك ووجه يقصد وسلم يرتقى فيه اليه ، ومثال قد يقع طالبه عليه » .<sup>(٤٥)</sup> ولكن لما ذكر فنون البديع قال عال ذلك بأنه « باب من ابواب البراعة وجنس من اجناس البلاغة وانه لا يملك القرآن عن فن من فنون بلاغاتهم ولا وجه من وجوه فصاحتهم . واذا اورد هذا المورد ووضع هذا الموضوع كان جديراً ، وانما لم نطلق القول اطلاقاً

لأننا لا نجعل الاعجاز متعلقا بهذه الوجوه الفاصلة موقرنا علينا ومضافيا إليها وإن صح<sup>٦٧</sup> أن تكون هذه الوجوه مؤثرة في الجملة أخذت بحظها من الحسن والبجعة متى وقعت في الكلام على غير وجه التكلف المستبمع واتعمل المستبمع<sup>٦٨</sup>.

وكتاب « المعاني في أرباب التوحيد والعدل » - الجزء السادس عشر - للناظم أبي الحسن عبد الجبار الأسد آبادي ( - ٤١٥هـ ) ، وقد أظهر المؤلف فيه أنه اعجاز القرآن بالنظم، وكان ذلك دافعا كبيرا إلى التول بنظرية النظم التي شرحها عبد القاهر الجرجاني ( - ٤٧١ أو ٤٧٤هـ ) في كتابه « دلائل الاعجاز » الذي يعد من أهم كتب البلاغة العربية التي وضعت أسس البحث البلاغي وأوضحت مباحثه وأساليبه . وكان لهذا الكتاب وكتاب « أسرار البلاغة » اثر عظيم في البلاغيين الذين فسروا القرآن أو الذين تحدثوا عن الشعر وذنون الكلام .

ومن كتب الاعجاز الأخرى كتاب « نايبة الإيجاز في دراية الاعجاز » لشمس الدين الرازي ( - ٦٠٦هـ ) وهو دعوة إلى ترتيب أصول البلاغة ووضع قواعدها الراسخة ، لأن مؤلفه رأى عبد القاهر قد « أهمل رعاية ترتيب الأصول والأجواب ، وأطلب في الكلام كل اللطائف »<sup>٦٩</sup> وقد عالج فيه موضوعات البلاغة ليصل إلى رأيه في الاعجاز ، ومعنى ذلك أن التول البديعية وسيلة لتربية الذوق الأدبي وإبراز أسرار فن التول .

وكتاب « معتزك الأقران في اعجاز القرآن » لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ( - ٩١١هـ )، وهو من أوسع الكتب التي بحثت في اعجاز القرآن ودرست قانون البلاغة التي كانت من وجوه ذلك الاعجاز .

ويتصل بهذه المسألة كتب علوم القرآن ، ومن أشهرها « البرهان في علوم القرآن » لبدر الدين محمد بن عبيدالله الزركشي ( - ٧٩٤هـ ) و « الانتان في

(٦٧) اعجاز القرآن ص ١٧٠ .

(٦٨) نايبة الإيجاز ص ٤٠ .

علوم القرآن « للسيوطي » وقد ذكر المؤلفان في كتابيهما معظم فنون البلاغة ،  
ولم يكن ذلك إقراراً بأن فارس القرآن ينبغي أن يعرف وجوهه بآه ليرتقي إلى مراتب  
العالي ويترك ما في كتاب الله من غام وأسرار ولن وجمال .

## المفسرون والاصوليون :

المفسرون هم الذين يظرون في كتاب الله - تعالى - فيفسرون ألفاظه  
ويوضحون معانيه ويبيّنون مقاصده وأهدافه ويشرحون ما فيه من قيم رفيعة  
وقدرات عظيمة ويظهرون فنون القول فيه وروعة البيان - ولكي يستطيع المفسر  
أن ينفذ بذلك كله لا بد له من أن يطالع علوم اللغة العربية ليتخذ إلى  
أسرار القرآن - ويغوص على معانيه - والبلاغة إحدى تلك الوسائل المهمة التي  
تكشف أسرار الإعجاز وتوجّسه معاني الآيات - وقد شعر المفسرون بذلك  
فأخذوا يهتمون لدراساتهم القرآنية مقدمات بلاغية أو يوضّحون في مباحثها ،  
ومساروا يهتمون إلى أهمية ذلك .<sup>(١٨)</sup> وشاركهم البلاغيون في ذلك فقال  
عبدالقاهر : « ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بتغير عام أن يتوهموا ابتداءً  
في الألفاظ الموضوعية على المجاز والتشبيه أنها على لواهرها فيفسدوا المعنى  
بذلك ويطلبوا الترفيض ويستعروا أغصيم والسامع منهم العام بمواضع البلاغة  
ويمسكون الشرف - وناهيك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه وجداروا يكثررون  
في غير ذلك ، هناك ترى ما شئت من باب جمل قد فتحوه وزيد ضلالة قد  
قدحوا به » .<sup>(١٩)</sup> وقيل السكاكي : « الواقف على تمام مراد الحكيم - تعالى -  
وتقدس - من كلامه ، مقتدر إلى هذين العاملين - المعاني والبيانات - كل  
الاقتدار - فالرول كل الرول لمن يتعاطى التفسير وهو فيما راجل » .<sup>(٢٠)</sup>

(١٨) ينظر جامع البيان ج ١ ص ٦ ، الكشاف ج ١ ص ١١١ .

(١٩) دلائل الإعجاز ص ٢٣٦ .

(٢٠) مفتاح العلوم ص ٧٧ .

وكتب التفسير كلها مصدر من مصادر البحث البلاغي المهمة ، ولعل أقدمها كتاب « معاني القرآن » لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ( - ٢٠٧هـ ) وكتاب « مجاز القرآن » لأبي عبيدة معمر بن المثنى ( - ٢٠٨هـ ) . وتفتح في هذين الكتابين أولى بذور البلاغة ، وهذا ما يندفع الي القول : إن نشأة البلاغة كانت عربية تصل بكتاب الله قبل أن تتصل بالأدب وفتوه وبما عرف من بلاغة اليونان .

ومن الكتب المتصلة بالفاظ القرآن وتأويل معانيه كتاب « تأويل مشكل القرآن » لأبي محمد عبيد الله بن مسلم بن قتيبة ( - ٢٧٦هـ ) وقد تعرض المؤلف فيه لكثير من مسائل البلاغة ، ويكاد هذا الكتاب يكون أول دراسة تقوم على تصنيف الباحث ووضع الأبواب . ولعل أهم تفسير يرتبط بالبلاغة ارتباطاً وثيقاً « الكشاف » لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ( - ٥٢٨هـ ) . وتفتح في هذا التفسير زهرة الزمخشري نحو تطبيق قواعد البلاغة على كلام الله والتنبية الي ما فيه من أسرار البيان ، قال ابن خلدون : « وهو كله مبني على هذا الفن وهو أصله » .<sup>(١١١)</sup> وعرف القدماء ذلك فكانوا إذا ما أقدموا على دراسته تزودوا بتقافة بلاغية ووضعوا الكتب لتعلمها كما فعل يحيى بن حنيفة العلوي ( - ٥٤٩هـ ) حينما شرح بعض طلابه يطرأون عليه الكشاف قائلاً كتابه « الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وألوم حقائق الإعجاز » وقال في مقدمته : « إن الباحث على تأليف هذا الكتاب هو أن جماعة من الأخوان شرعوا عليّ في قراءة كتاب الكشاف تفسير الشيخ العالم المحقق استاذ المفسرين محمود بن عمر الزمخشري فانه أسسه على قواعد هذا العلم فانتضع عند ذلك وجه الإعجاز من التزويل وعرف من أوجه وجه التفرقة بين المستقيم والمعوج من التأويل وتحققوا أنه لا سبيل الي الاطلاع على حقائق إعجاز القرآن إلاّ بأدراكه والوقوف على أسرارها وأحوارها . ومن أجل هذا الوجه كان

(١١١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

متعيزاً عن سائر التفسير لأني لم أعلم تفسيراً مؤسسا على علمي المعاني والبيان سواء ، فسألني بعضهم أن أعلمي فيه كتاباً يشتمل على التهذيب والتحقيق»<sup>(١١٢)</sup> . وكان للأصوليين والفقهاء أثر في البلاغة وفي كتب أصول الفقه بحوث مستفيضة عن الخبر والائشاء ، والحقيقة والمجاز ، وهي بحوث تدل على استتسار علم أصول الفقه بها . قال السكاكي : « بل تصنع معظم أبواب أصول الفقه من أي علم هي ومن يتولاها »<sup>(١١٣)</sup> . وقال السبكي : « واعلم أن علمي أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل ، فإن الخبر والائشاء اللذين يتكلم فيهما المعاني هو موضوع غالب الأصول ، وإن كل ما يتكلم عليه الأصولي من كون الأمر للوجوب والنهي للتحريم ومسألة الأخبار والعيوم والخصوص والاطلاق والتقييد والأجـدال والتفصيل والتراخيح ، كلها ترجع الى موضوع علم المعاني » . وليس في أصول الفقه ما ينفرد به كلام الشارع عن غيره إلا الحكم الشرعي والقياس وأشياء يسيرة<sup>(١١٤)</sup> ، ولذلك كانت معرفة أركان علوم اللسان وهي : اللغة والنحو والبيان والأدب « ضرورية على أهل الشريعة ، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهي لغة العرب ، ونقلتها من الصحابة : التابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغتهم ، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان إن أراد علم الشريعة »<sup>(١١٥)</sup> .

ومن أقدم كتب الأصول التي تعرضت لبعض مسائل البلاغة كتاب « الرسالة » للإمام محمد بن أدريس الشافعي ( - ٢٠٤ هـ ) ، وقد تحدث الإمام فيه عن البيان وأشار الى ما في القرآن الكريم من أساليب العرب ، لأن الله - سبحانه وتعالى - خاطبهم بلغاتهم على ما يملكون من المعاني<sup>(١١٦)</sup> ، وتكلم

(١٢) الطراز ج ١ ص ٥ .

(١٣) مفتاح العلوم ص ١٩٩ .

(١٤) عروس الأفراح ج ١ ص ٥٢ .

(١٥) مقدمة ابن خلدون ص ٥٢٥ .

(١٦) تنظر الرسالة ص ٢١ ، ٤٨ ، ٥٠ - ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٧ وغيرها .

الامام علي ذلك الأساليب التي اتخذها مدجلا لبراعة أصول الفقه . ومن كتب  
الأصول التي اهتمت بالبحث البلاغي كتاب « المعتد في أصول الفقه » لأبي  
الحسين محمد بن عيسى بن الطيب البصري المعتزلي ( - ٢٤٣٦ هـ ) وكتاب  
« المستصفى من علوم الأصول » للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي  
( - ٥٠٥ هـ ) وكتاب « الإحكام في أصول الأحكام » لأبي الحسن علي بن  
أبي طالب سيف الدين الأماندي ( - ٦٣١ هـ ) وكتاب « تبيين السؤل في علم  
الأصول » للأماندي نفسه .

وتعد هذه الكتب الاصولية من أهم مصادر البلاغة ولا سيما موضوعات  
الغير والانشاء ، والحقيقة والمجاز .

ومن الفقهاء الذين أسهموا في حركة التأليف الامام عز الدين عبدالعزیز  
ابن عبدالسلام ( - ٦٦٥ هـ ) صاحب كتاب « الاشارة الى الایجاز في بعض  
أنواع المجاز » ، والامام شمس الدين أبو عبدالله محمد المعروف بأبي قيم  
الجزيرة ( - ٧٥١ هـ ) مؤلف كتاب « التوائد المشوق الى علوم القرآن وعلوم  
البيان » . وهذان الكتابان لهما في الفقه وأصوله وانماها مقدمات بلاغية  
ذات قيمة كبيرة ان يريد الخوض في أحكام الشريعة والأصول ولا سيما  
كتاب ابن قيم الجزيرة الذي نظم مباحث البلاغة تنظيما دقيقا .

### الغريبون والنحاة :

للغريبين يد عاوي في نشأة البلاغة وتطورها ، وقد نزل دورهم مشهودا  
منذ عهد التدوين واستطاعوا أن يسيطروا على مناهج التدريس ورفعوا لواء  
المحافظة على اللغة . وكان أبو عبيدة من أقدم الغريبين الذين تعرضوا لتدريس  
البلاغي في كتابه « مجاز القرآن » وكتاب « النفاض » الذي ذكر فيه بعض  
المصطلحات البلاغية كالاستعارة والتشبيه . ومن الرواة والغريبين الذين أتوا  
في نشأة البلاغة والنقد أبو سعيد عبدالملك بن قريب الأصبهي ( - ٢١٦ هـ )

وله كتاب « فحولة الشعراء » وقد تعرض فيه لبعض مسائل البلاغة والنقد .  
 وله آراء نقابا البلاغيون عنه كالعائسي في كتابه « حاية المحاضرة » وابن  
 رشيقي في « العمدة » وأبي هلال في « كتاب الصنائع » وقدامة بن جعفر في  
 « نقد الشعر » . ومن الغريبين والنحاة أبو العباس محمد بن يزيد البرد  
 ( ٢٨٥هـ ) صاحب رسالة « البلاغة » و « كتاب الكامل » و « المتنصب » .  
 ومنهم أبو الحسن أحمد بن فارس ( ٣٩٥هـ ) مؤلف « الصحاح » الذي  
 يعدّ خطوة متقدمة في تصنيف مباحث تام المعاني إذ قسم الكلام على عشرة  
 أقسام : الخبر والاستخبار ، والأسر والأبي ، والغصاء والطاب ، والعرض  
 والتحفيف ، والنمى والتعجب . ولم يقف عند هذه المباحث وإنما تعرض  
 لموضوعات البلاغة الأخرى كالتهديم والتأخير ، والعتف والذكر ، والتكرار ،  
 والمجاز والتشبيه ، والإيحاء والتحكم والكتابة .

وكان كتاب أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيرة ( ١٨٠هـ )  
 من أقدم كتب النحو التي وصلت في صفحاتها كثيراً من أساليب التعبير وفنون  
 القول . وبعد هذا الكتاب مصفراً مما في دراسة البلاغة لأنه وضع البيهقي  
 التي أنزلت فيما بعد قواعد أصولاً . وأتى بعده كتاب « معاني القرآن »  
 للشراء و « قواعد الشعر » لأبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بشهاب  
 ( ٢٩١هـ ) الذي كان الخطوة الأولى لجيد ابن المعتز في البلاغة ، وتأتي  
 أهميته من أن مؤلفه عند فصولاً خاصة للتشبيه والافراط والغلو ولطافة المعنى  
 والتعريض والاستعارة وحسن الخروج ومجاورة الأضداد . وهو الطباي -  
 والمطابق - وهو الجناس . ووقف عبدالقاهر الجرجاني على قمة النحاة في القرن  
 الخامس للهجرة ، وهو صاحب « دلائل الإحجاز » و « أسرار البلاغة » لتذنين  
 يعدّان من أهم كتب البلاغة ، ولولا جنوح الأدب نحو التأييد لتطورت الحياة  
 الفكرية وتقدمت الدراسات البلاغية ، وقد حاول كمال الدين عبدالواحد بن  
 عبدالكريم بن خلف الانصاري السساكي المعروف بابن الزملاكي ( ٦٥١هـ )  
 أن يحيى جدوة عبد القاهر في كتابه « البيان في علم البيان المطلع على اصحاج

القرآن » و « البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن » ولكن هيبات ، فقد بدأت  
ريح التقليد تهب من كل مكان وسارت البلاغة مشرقة تحفظ ، وشروحا تقرأ ،  
وحواشي تدقق ، وقررات تشجع .

### الشعراء والكتاب :

كان الشعراء منذ الجاهلية يننون بالتول ويجودون أشعارهم وينقحونها ،  
وقد دلت الملاحظات البيانية على أنهم أصحاب فؤاد ومعرفة بجيد الشعر  
ورديته . ومن الشعراء الذين كان لهم سبق في الدراسات البلاغية العنيفة  
العباسي عبدالله بن المعتز الذي استمد من جهود السابقين كالجاحظ وابن  
قتيبة والمبرد وثناب ، فألف « كتاب البديع » الذي فتح باب البحث والتأليف  
في البلاغة . وقد أقامه على قسمين :

الأول : البديع وهو خمسة فصول : الاستعارة ، والتجنيس ، والطائفة ،  
وردت إعجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب الكلامي .

الثاني : محاسن الكلام وهو ثلاثة عشر فنا : الالتفات ، والاعتراض ،  
والرجوع ، وحسن الخروج ، وتأكيده المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل  
العارف ، والمهزل يراد به الجد ، وحسن التضمين ، والتعريض والتأني ،  
والاقتراف في العنفة ، وحسن التشبيه ، واعتناء الشاعر نفسه في القوافي ،  
وحسن الإبتدآت .

ومن الشعراء الذين ألفوا البلاغة الشريف الرضي ( ٤٠٦هـ ) صاحب  
« تلخيص البيان في مجازات القرآن » و « المجازات النبوية » وابن رشيق  
القيرواني ( ٤٦٣هـ ) مؤلف « العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده »  
و « قرائة الذهب » ، وابن سنان الخفاجي ( ٤٦٦هـ ) صاحب « سر  
القصاحة » ، وأسامة بن منقذ ( ٥٨٤هـ ) مؤلف « البديع في نقد الشعر » .  
وابن أبي الأصمح المصري ( ٦٥٤هـ ) مؤلف « تحرير التعبير في صناعة الشعر  
والنثر وبيان إعجاز القرآن » و « بديع القرآن » .



وكان للكاتب أثر واضح في البلاغة ، فقد صبغوا كثيراً من بحوثها بصبغة أدبية لا امتازوا به من أدب رفيع وفوق سليم ، وفي كتب الأدب كثير من أقوال الأدباء في البلاغة وتحديدها . ومسن تركوا آراء أثرت في البحث البلاغي عبادة بن القتيع ( - ١٤٣ هـ ) وعسرو بن عبيد ( - ١٤٤ هـ ) وشبيب ابن شيبه ( - ١٧٠ هـ ) وسهل بن هارون ( - ١٧٣ هـ ) وجعفر بن يحيى ( - ١٨٧ هـ ) وكثوم بن عمرو الغنابي ( - ٢٢٠ هـ ) . ولكن هؤلاء لم يؤلفوا كتباً في البلاغة والبيان ، وكان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاهلي ( - ٢٥٥ هـ ) من أقدم الكتاب الذين انصرفوا الى البحث في البيان ، وفي كتابه « البيان والتبيين » و « الحيوان » وبعض رسائله كثير من الفنون البلاغية التي امتدت جذورها الى القرآن الكريم وكلام العرب القديم .

ومن الكتاب الذين عرفوا في العصر العباسي قدامة بن جعفر ( - ٣٣٧ هـ ) صاحب « نقد الشعر » و « جواهر الاقطار » ، وهو في الكتاب الأول عالم بالبلاغة والنقد وقد أضاف كثيراً من الفنون التي طورت البحث البلاغي . ومنهم أبو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب صاحب « البرهان في وجوه البيان » الذي طبع قسم منه باسم « نقد الشعر » ونسب الى قدامة . ومنهم أبو هلال العسكري ( - ٣٩٥ هـ ) صاحب « كتاب الصناعتين » . وابن لاقيا البغدادي ( - ٤٨٥ هـ ) مؤلف « الجمال في تشبيهات القرآن » . وابن شيبه الترشي صاحب « معالم الكتابة ومفاتيح الاصابة » . وفيه الدين بن الاثير ( - ٦٣٧ هـ ) مؤلف « المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر » و « الجامع الكبير في صناعة المنظوم والنثر » و « الاستدراك » . وابن أبي الحديد ( - ٦٥٥ هـ ) صاحب « شرح نهج البلاغة » و « التلذذ بالدائر على المثل السائر » . وصلاح الدين خليل بن ابيك الصفيدي ( - ٧٦٥ هـ ) صاحب « نصرة النائر على المثل السائر » . وشهاب الدين محمود الحلبي ( - ٧٢٥ هـ ) صاحب « حسن التوصل الى صناعة الترسيل » . وشهاب الدين

احمد بن عبد الوهاب النوري ( - ٥٧٣٣ هـ ) مؤلف « نهاية الأرب فني فنون  
الأدب » .

وكان للنقاد دور بارز في البلاغة ، فقد استعانوا بغيرها فسي دراساتهم  
ولookوا كتبهم يحرثوا ، ومن الذين تعرضوا للبلاغة في كتبهم النقدية أبو  
الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا ( - ٣٣٢٢ هـ ) صاحب « عيار الشعر » ، وأبو  
القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدى ( - ٣٧١١ هـ ) مؤلف « الموازنة بين  
شعر أبي تمام والبحري » ، والقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني ( - ٣٩٩٣ هـ )  
مؤلف « الوساطة بين المتنبى وخصومه » .

وتماز كتب الشعراء والكتاب والنقاد بذوق رفيع وغلظة أدبية مرهنة ،  
ومتابعة فنون البلاغة والوقوف على النصوص الأدبية وفتة المعجب المتأثر أكثر  
من وفتة المتر للاصول .

#### الفلاسفة والتكلمون :

كان للفلاسفة والتكلمين أثر في نشأة البلاغة وتطورها ، وكان نشاط  
التكلمين واسعاً لما لهم من أثر كبير في الحياة العقلية . وقد قال الجاحظ إن  
« كبار المتكلمين ورؤساء النظارين فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير من  
البلغاء<sup>(١٧٦)</sup> » ، ولذلك قيل إن علم البيان نبت في حجور المتكلمين ، ولعل صحيفة  
بشر بن المعتز ( - ٣١٠ هـ ) أسدق دليل على ذلك ، فقد ثر بشر فيها بعض  
اليدور البلاغية ، ولكن الجاحظ يقل أبرز المتكلمين وأظهر من أثر في نشأة  
البلاغة وتطورها وأقرب الى النزعة الأدبية في عرض مسألها وقنوتها ، لأن  
الفلاسفة والتكلمين الآخرين أخذوا يزعمون مزعاً عقيسياً في البحث البلاغي  
وتضح ذلك عند الذين لخصوا أو شرحوا كتابي « الشعر » و « الخطابة »  
لأرسطو مثل أبي نصر التماري ( - ٣٣٩ هـ ) وابن سينا ( - ٤٢٨ هـ ) وابن

(١٧٦) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٩ .

رشد) (٥٩٥ هـ) وظهر اتجاه الفلاسفة والمتكلمين في كتب البلاغة المتأخرة مثل « نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز » الرازي و « مفتاح العلوم » لسراج الدين يوسف بن أبي بكر أبي يعقوب السكاكي (٦٢٦ هـ) و « منهاج البلغاء وسراج الأدباء » لأبي الحسن حازم القرطاجني (٦٨٤ هـ) و « المنزج البديع في تجنيس أساليب البديع » لأبي محمد القاسم السجلجاسي (من أعيان القرن السابع والثامن) وكتاب « الأتقى القريب في علم البيان » لأبي عبدالله محمد بن عمرو التنوخي (من أعيان المائة السابعة) وكتاب « الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز » ليحيى بن حمزة الطوسي (٧٤٩ هـ) .

وتستاز هذه الكتب باتجاهها نحو المقاييس العقلية والأخذ من منطقي الفلاسفة والمتكلمين ، ولعل كتابي القرطاجني والسجلجاسي من أكثر الكتب تأثيراً بهذا الاتجاه .

#### الالتصون والشراح :

لم تكن الحياة الفكرية بعد القرن السادس بشرى بالإبصار في التأليف فقد رأت سحابة من الجمود ، ومضى المؤلفون بالتصون وشرحون الكتب السابقة وقد شهد القرن السابع وما بعده حركة شرح وتلخيص واسعة المدى ، ومن أشهر الذين اقتصروا القسم الثالث من « مفتاح العلوم » بدر الدين بن مالك (٦٨٦ هـ) فقد وضع كتاب « المصباح في علم المعاني والبيان والبديع » وكتاب « روض الأذهان في علم البيان » . واقتصر جلال الدين محمد بن عبدالرحمن الخطيب القزويني (٧٣٩ هـ) القسم الثالث من المفتاح بكتابه « التلخيص » ثم شرح هذا التلخيص بكتابه « الأيضاح » . وتوالت الشروح بعد ذلك فكان « محروس الأشراف في شرح تلخيص المفتاح » لبهاء الدين السبكي (٧٧٣ هـ) و « الشرح المختصر » و « الشرح المطول » لسعد الدين مسعود بن عمر المشهور بالفتازاني (٧٩٢ هـ) و « شرح القسم الثالث من مفتاح العلوم » و « وحشية على الشرح المطول على التلخيص » للسيد

الشريف الجرجاني ( - ٨١٦ هـ ) و « الشرح الأطول » لابراهيم بن محمد بن  
عريضاء عصام الدين الأسفرايني ( - ٩٥١ هـ ) و « مواهب الفتاح في شرح  
المتاح » لابن يعقوب المغربي ( - ١١١٠ هـ ) و « الحاشية على مختصر السعد »  
لمحمد بن عرفة الدسوقي ( - ١٢٣٠ هـ ) .

وتزخر هذه الشروح بقضايا الفلسفة والمنطق والاصول ، ولذلك اجتمعت  
كثيراً عن النزعة الفنية وتحكيم الذوق في دراسة البلاغة .

#### أصحاب البديعيات :

انصرف بعض المتأخرين الى قلم البديعيات ، وهي تصانيف تتضمن فنونا  
بلاغية ومعظمها في مدح النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ومن البحر  
البيط وعلى روي الميم . والبديعيات كثيرة ولبعضها شروح ومن أهمها :  
« النتائج الاولية في شرح الكافية »<sup>(١٨)</sup> لصفي الدين الحلي ( - ٧٧٥ هـ )  
و « طراز الحلة وشفاء العلة » لأبي جعفر احمد بن يوسف بن مالك الرعي  
الفراطي ( - ٧٧٩ هـ ) و « خزنة الأدب وغاية الأرب » لابن حجة الحموي  
( - ٨٣٧ هـ ) وشرح « قلم البديع في مدح خير شافع » لجلال الدين السيوطي  
( - ٩١١ هـ ) وشرح « التفتح المبين في مدح الأئمة » لعائشة الباعونية  
( - ٩٢٢ هـ ) و « أنوار الربيع في أنواع البديع » لصدر الدين بن منصور  
الحسيني المدني ( - ١١١٧ هـ ) - و « قناعات الأزهار على نسيمات الاسحار  
في مدح النبي المختار » لعبد الغني النابلسي ( - ١١٤٣ هـ ) . وهذه الشروح  
كتب بلاغية تعرضت لدراسة جميع فنون ، ولها قيمة كبيرة في البحث البلاغي  
ولاسيما « خزنة الأدب » لحموي و « أنوار الربيع » للمدني ، وهي بعد  
ذلك تمثل ذوق ذلك العهد وثقافته وتعمل في صفحاتها كثيراً من النصوص  
التي ضاعت مصادرها ، أو لا تزال بعيدة عن أيدي الدارسين .

(١٨) طبعها مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢م بتحقيق  
الدكتور نسيم نشاري ويعنوان « شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة  
ومعاني البديع » .

تلك أهم مصادر البحث البلاغي عند العرب وقد اتضح أن البلاغة لقيت  
 اعتناء كبيراً من يشأت عليها مختلفة ، فعلماء اجاز القرآن والمفسرون  
 والاصوليون واللغويون والنحاة والشعراء والكتّاب والفلاسفة والمتكلمون  
 والمختصون والشراح واصحاب الديدعات - شاركوا في ارساء قواعد البلاغة  
 وترسيخ مبانيها وايضاح اتجاهاتها . وكانت كل طائفة من تلك الفرق تحل  
 نظرة خاصة الى البلاغة ولكنها لاتعزل فريقاً عن فريق وانما تتوي كلها الى  
 تدوين كتاب الفه العزيز واتقان اساليب العريب وان تعددت كتبها واختلفت  
 مناهجها . ولكن الدارس يلمح اتجاهين بارزين هما : الاتجاه الأدبي والاتجاه  
 الكلامي ، أو مايسمى بالمدرسة الأدبية والمدرسة الكلامية . وأمر هذين  
 الاتجاهين قديم فقد قال أبو هلال : « وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك  
 مذهب المتكلمين وانما قصدت فيه قصد صناع الكلام من الشعراء والكتّاب  
 فلهمنا لم أمل الكلام في هذا الفصل »<sup>(١٩)</sup> . وقال السيوطي : « ورزقت البحر  
 في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والتبديع  
 على طريقة العرب والبغاء لاهل طريقة المعجم وأهل الفلسفة »<sup>(٢٠)</sup> ولكن  
 الحدود بين المدرستين غير فاصلة ، لأن كل اتجاه يعمل سمات الاتجاه الآخر .  
 يقدر ، ولعل « أسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » للجرجاني و « الطراز »  
 للعلوي خير ما يمثل هذا المزج بين الاتجاه العقلي في تحديد التوهم وتصنيفها ،  
 والاتجاه الفني في لغة النصوص واشهار ما فيها من روعة وجمال وتأثير .  
 ويبقى هناك مصادر أخرى لدراسة البلاغة ، وهي مختلفة تمثل في كتب  
 الأدب واللغة والنحو والترانيم والتعليقات والرسائل العامة<sup>(٢١)</sup> . وفي كتب  
 البلاغة الحديثة فائدة لاتنكر ولكنها لاتعني عن الرجوع الى المصادر الاصيلية  
 وأهم مصادر البحث البلاغي :

١ - الاتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي .

(١٩) كتاب الصناعين ص ٩ . (٢٠) حسن العاضرة ج ١ ص ١٥٥ .

(٢١) وتوضح هذه المصادر في كتابنا « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها »  
 وكتابنا « مناهج بلاغية » .

- ٢ - انعام الدراية لقراء النقاية - جلال الدين السيوطي \*
- ٣ - احكام صنعة الكلام - محمد بن عبدالغفور الكلاعي \*
- ٤ - الاحكام في اصول الاحكام - أبو الحسن علي سيف الدين الأمدى \*
- ٥ - أدب الكاتب - ابن قتيبة \*
- ٦ - أساس البلاغة - جار الله الزمخشري \*
- ٧ - الاستدراك - ضياء الدين بن الأثير \*
- ٨ - أسرار البلاغة - عبدالقاهر الجرجاني \*
- ٩ - الاشارة الى الايجاز في بعض أنواع المجاز - عز الدين بن عبدالسلام \*
- ١٠ - الأطول - ابراهيم بن محمد عصام الدين الأسفرايني \*
- ١١ - الأقصى القريب في علم البيان - محمد بن محمد التوخي \*
- ١٢ - أنوار الربيع في أنواع البديع - ابن معصوم المدني \*
- ١٣ - الأيضاح في شرح مقامات الحريري - أبو المظفر ناصر المطرزي \*
- ١٤ - الأيضاح في علوم البلاغة - جلال الدين الخطيب الفرويي \*
- ١٥ - كتاب الأيمان - ابن تيمية \*
- ١٦ - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي \*
- ١٧ - البديع - عبدالله بن المعتز \*
- ١٨ - البديع في نقد الشعر - أسامة بن منقذ \*
- ١٩ - بديع القرآن - ابن أبي الاصبع المصري \*
- ٢٠ - البرهان في علوم القرآن - بدرالدين الزركشي \*
- ٢١ - البرهان في وجوه البيان - ابن وهب الكاتب \*
- ٢٢ - البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن - ابن الزمكاني \*
- ٢٣ - البلاغة - المبرد \*
- ٢٤ - البيان والتبيين - الجاحظ \*
- ٢٥ - تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة \*
- ٢٦ - التبيان في علم البيان المطلع على اجاز القرآن - ابن الزمكاني \*
- ٢٧ - تحرير التعبير - ابن أبي الاصبع المصري \*

- ٢٨ - كتاب التسيهات - ابن أبي عوز .
- ٢٩ - التفصيل بين بلاغتي العرب والمجم - أبو أحمد الحسن بن عبدالله العسكري .
- ٣٠ - تلخيص البيان في مجازات القرآن - الشريف الرضي .
- ٣١ - تلخيص الخطابة - ابن رشد .
- ٣٢ - التلخيص في علوم البلاغة - جلال الدين الخطيب القزويني .
- ٣٣ - ثلاث رسائل في اعجاز القرآن - الخطابي والرماني والبرجاني .
- ٣٤ - جامع البيان في تفسير القرآن - ابن جرير الطبري .
- ٣٥ - الجامع الكبير - ضياء الدين بن الاثير .
- ٣٦ - الجمان في تسيهات القرآن - ابن نايقا اليفندي .
- ٣٧ - جمع الجواهر في الملح والنوادر - الحصري القيرواني .
- ٣٨ - جواهر الالفاظ - قدامة بن جعفر .
- ٣٩ - جوهر الكنز - ابن الاثير الحلبي .
- ٤٠ - حاشية الدسوقي على شرح التنازلي - محمد بن عرفة الدسوقي .
- ٤١ - حاشية السيد الشريف البرجاني .
- ٤٢ - حدائق السحر في دقائق الشعر - رشيد الدين الوطواط .
- ٤٣ - حسن التوصل الى صناعة الترسل - شهاب الدين الحلبي .
- ٤٤ - حلية المعاصرة في صناعة الشعر - أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاشمي .
- ٤٥ - الحيوان - الجاحظ .
- ٤٦ - الفراج وصناعة الكتابة - قدامة بن جعفر .
- ٤٧ - خزنة الأدب وغاية الارب - ابن حجة الحموي .
- ٤٨ - الخصائص - ابن جنبي .
- ٤٩ - الخطابة - أرسطو .
- ٥٠ - الخطابة - ابن سينا .

- ٥١ - الدر الثائر المنتخب من كذايات واستعارات وتشبيهات العرب  
- الزمخشري \*
- ٥٢ - دلائل الاعجاز - عبدالقاهر الجرجاني \*
- ٥٣ - رسائل البلغاء - جمعها محمد كرد علي \*
- ٥٤ - الرسالة - الامام محمد بن ادريس الشافعي \*
- ٥٥ - الرسالة الحاتمية - أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي \*
- ٥٦ - الرسالة الشافية - عبدالناهر الجرجاني \*
- ٥٧ - الرسالة العذراء - ابن اللدبر \*
- ٥٨ - الرسالة المسجدية في المعاني الزويدية - عباس بن علي الصنعاني \*
- ٥٩ - الرسالة الموضحة - أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي \*
- ٦٠ - روض الأذهان في علم المعاني والبيان - بدر الدين بن مالك \*
- ٦١ - زهر الآداب وثمر الآداب - الحضري النيرواني \*
- ٦٢ - سر التصاحفة - ابن سنان الخلاجي \*
- ٦٣ - سرقات أبي نواس - مهمل بن يموت بن المزوع \*
- ٦٤ - شرح يدوية الباعونية - عائشة الباعونية \*
- ٦٥ - شرح عقود الجنان في علم المعاني والبيان - جلال الدين السيوطي \*
- ٦٦ - شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد \*
- ٦٧ - الشعر والشعراء - ابن قتيبة \*
- ٦٨ - الضغاء - ابن سينا \*
- ٦٩ - الصحابي - احمد بن فارس \*
- ٧٠ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا - النافقندي \*
- ٧١ - كتاب الصنائع - أبو هلال العسكري \*
- ٧٢ - طبقات الشعراء - عبدالله بن المعتز \*
- ٧٣ - طبقات فحول الشعراء - ابن سلام الجعفي \*
- ٧٤ - طراز الحلة وشفاة الخلة - أبو جعفر الرعيني \*



- ٧٥ - الطراز - يحيى بن حمزة العلوي \*
- ٧٦ - عروس الافراح في شرح تلخيص الفتاح - بهاء الدين السبكي \*
- ٧٧ - العقد الفريد - ابن عديمه \*
- ٧٨ - العمدة - ابن رشيح القيرواني \*
- ٧٩ - عيار الشعر - ابن طباطبا العلوي \*
- ٨٠ - عيون الاخبار - ابن قتيبة \*
- ٨١ - الفاضل - الميرد \*
- ٨٢ - فحولة الشعراء - الاصمعي \*
- ٨٣ - الفلك الدائر على المثل السائر - ابن أبي الحديد \*
- ٨٤ - فن الشعر - أرسطو \*
- ٨٥ - التوائد ( المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان ) - ابن قيم الجوزية \*
- ٨٦ - قانون البلاغة - أبو طاهر محمد بن حيدر البغدادي \*
- ٨٧ - قراضة الذهب - ابن رشيح القيرواني \*
- ٨٨ - قواعد الشعر - ثعلب \*
- ٨٩ - الكامل - الميرد \*
- ٩٠ - كتاب سيبويه - عمرو بن قنبر سيبويه \*
- ٩١ - الكشف - جار الله الزمخشري \*
- ٩٢ - مثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ضياء الدين بن الاثير \*
- ٩٣ - المجازات النبوية - الشريف الرضي \*
- ٩٤ - مجاز القرآن - أبو عبيدة \*
- ٩٥ - المختصر - سعد الدين التتازاني \*
- ٩٦ - المزه - جلال الدين السيوطي \*
- ٩٧ - المستصفي من علوم الاصول - الامام أبو حامد الغزالي \*
- ٩٨ - المصباح في علم المعاني والبيان والبدع - بدرالدين بن مالك \*
- ٩٩ - النصون في الأدب - أبو احمد الحسن بن عبيدالله المسكري \*

- ١٠٠ - المطول - سعد الدين التفتازاني \*
- ١٠١ - معالم الكتابة ومفاتيح الاصابة - ابن تيمث القرشي \*
- ١٠٢ - معاني القرآن - الفراء \*
- ١٠٣ - معترك الاقران في اصجاز القرآن - جلال الدين السيوطي \*
- ١٠٤ - المعتمد في اصول الفقه - محمد بن علي بن الطيب البصري \*
- ١٠٥ - المغني في ابواب التوحيد والعدل - ابو الحسن عبد الجبار الاسدي \*
- آبادي \*
- ١٠٦ - مفتاح العلوم - السكاكي \*
- ١٠٧ - المقابسات - ابو حيان التوحيدي \*
- ١٠٨ - المنتضب - المبرد \*
- ١٠٩ - مقدمة ابن خلدون - ابن خلدون \*
- ١١٠ - المنزج البديع في تجنيس اساليب البديع - ابو محمد القاسم الجلماسي \*
- ١١١ - منتهى السؤل في علم الاصول - ابو الحسن علي الآمدي \*
- ١١٢ - منطق ارسطو - ارسطو طاليس \*
- ١١٣ - منهاج البلغاء وسراج الادباء - حازم القرطاجني \*
- ١١٤ - الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري - ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي \*
- ١١٥ - مواهب المتاح في شرح تلخيص المتاح - ابن يعقوب المغربي \*
- ١١٦ - الموشح - المرزباني \*
- ١١٧ - نصرة الناثر على المثل السائر - صلاح الدين الصفدي \*
- ١١٨ - نصرة الاغريض في نصرة القريرض - المظفر بن الفضل العلوي \*
- ١١٩ - نجمات الازهار - عبد الغني النابلسي \*
- ١٢٠ - نقد الشعر - قدامة بن جعفر \*
- ١٢١ - نقد البثر - المستوب الي قدامة بن جعفر \*

- ١٢٢ - النكت في إعجاز القرآن - الرمازي \*
  - ١٢٣ - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز - فخر الدين الرازي \*
  - ١٢٤ - الوافي في العروض والقوافي - الخطيب التبريزي \*
  - ١٢٥ - الوساطة بين المتنبي وخصومه - علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني
- وهناك كثير من كتب البلاغة ومصادرها المقطوعة ، أما مراجع البحث البلاغي فهي كثيرة تحفل بها مكتبات العالم ، ولا يزال الباحثون يضيئون كل عام كتباً وبحوثاً جديدة<sup>(١٢٢)</sup> . وثاني أهمية المراجع من أنها تفتح أمام الباحث سبل الكشف عن المصادر وتفسر له ما غبض وتوضح له ما استبهم وتمزج له بعض ما تلقته المعاصرون من الغرب بما قرأوه في كتب العرب ، وفي ذلك فائدة لمن أراد التجديد .

#### استدراك :

تضاف الى القائمة بعض المصادر القديمة وهي :

- ١ - أصول البلاغة - كمال الدين ميثم الجرجاني \*
- ٢ - الروض المربع في صناعة البديع - ابن البناء المراكشي \*
- ٣ - شرح الكافية البديعية - صفى الدين الحلبي \*
- ٤ - المتصف - الحسن بن علي بن وكيع \*
- ٥ - نكت الاختصار لنقل القرآن - أبو بكر الياقلائي \*

---

(١٢٢) لم يكن حينما بدأنا بالتأليف في البلاغة عام ١٩٥٦ م ، الا ما يعد على اصابع اليد من الكتب المحققة والمؤلفة في البلاغة والنقد .

## المصادر :

- ١ - إجاز القرآن - أبو بكر محمد بن الطيب الباتلاني • تحقيق احمد صقر • القاهرة •
- ٢ - البيان والتبيين - الجاحظ • تحقيق عبدالسلام هارون - القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م •
- ٣ - جامع البيان في تفسير القرآن - ابن جرير الطبري • القاهرة •
- ٤ - عن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة - جلال الدين السيوطي • القاهرة ١٢٩٩هـ •
- ٥ - دلائل الإعجاز - عبدالقاهر الجرجاني - تحقيق محمد رشيد رضا • القاهرة ١٣٧٢هـ •
- ٦ - الرسالة - محمد بن ادريس الشافعي - تحقيق احمد شاكر • القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٤٥م •
- ٧ - الطراز - يحيى بن حمزة العاوي • القاهرة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م •
- ٨ - عروس الافراح - بهاء الدين السبكي • (شروح التلخيص • القاهرة ١٩٣٧م) •
- ٩ - كتاب الصائغين - أبو هلال العسكري • تحقيق علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم • القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م •
- ١٥ - الكشف - جار الله الزمخشري • القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ •
- ١١ - مفتاح العلوم - السكاكي • القاهرة ١٣٥٩هـ - ١٩٣٧م •
- ١٢ - مقالات الاسلاميين - أبو الحسن الأشعري - استانبول ١٩٢٩م •
- ١٣ - مقدمة ابن خلدون - ابن خلدون • دار الكشف - بيروت •
- ١٤ - نهاية الأيجاز - فخر الدين الرازي • القاهرة ١٣١٧هـ •



( ٢ )

## الفصاحة عند الجاحظ

الفصاحة :

كانت الفصاحة من أهم ما عني به العرب ؛ لأنها عنوان القدرة على الكلام والقاء الخطب وانشاء الشعر . والفصاحة هي الوضوح والبيان ، قال ابن منظور : « الفصاحة : البيان . فصيح الرجل فصاحة فهو فصيح من قوم فصحاء وفصاح وفصيح ، وامرأة فصيحة من نسوة فصاح وفصائح . رجل فصيح وكلام فصيح : أي بايغ . لسان فصيح : أي طلق . . . . . وقصيح الاعجمي فصاحة : تكلم بالعربية وفهم عنه . وقيل : وجدت لغته حتى لا يلحن . أفصح كلامه أفصاحاً وأفصح : تكلم بالفصاحة ، وكذلك الصبي ، يقال : أفصح الصبي في منلقه أفصاحاً إذا فهم ما يقول في أول ما يتكلم . أفصح الأنتم : إذا فهمت كلامه بعد غيبته ،<sup>(١)</sup> أفصح عن الشيء الفصاحا : إذا بيّنه وكشفه فصيح الرجل وفصيح إذا كان عربي اللسان فازداد فصاحة . وقيل : تفصيح في كلامه وتفصيح : تكلم بالفصاحة ، يقال : ما كان فصيحاً ولقد فصح فصاحة وهو البيّن في اللسان والبلاغة . التفصيح : استعمال الفصاحة وقيل : التشبه بالنصحاء ، وقيل : جميع الحيوان ضربان : أعجم وفصيح ، فالنصيح :

نشر في مجلة المورد ( العدد الأول سنة ١٩٨٢ ) ثم نشر بتعديل في كتابي « البلاغة عند الجاحظ » الذي نشرته وزارة الثقافة والإعلام العراقية سنة ١٩٨٢ م . وكنت قد اهتمت بنسخ المصطلح البلاغي منذ أكثر من ثلاثين سنة وظهر ذلك في كتبي الكثيرة ثم نتوج في « معجم المصطلحات البلاغية ولطورها » و « معجم النقد العربي القديم » .

(١) الفصحة : المعجمة في المنطق . الأنتم : من لا يفصح في كلامه .

كل نامق ، والاعجم : كل ما لا ينطق ، الفصح في اللغة المنطلق اللسان في القول الذي يعرف جيد الكلام من رديئه (٢٢) .

ويوضح في هذا القول أن النفاحة بيان التعبير ووضوحه ، وأنها تخص الكلام والمتكلم ، فنفاحة الكلام أن يكون واضحاً بليغاً ، وفصاحة المتكلم أن يكون منطلق اللسان في القول ، عارفاً جيد الكلام من رديئه . ولو مضينا تبعت عن لفظة « النفاحة » لأينها في كلام العرب كقول تفتة الطنبي :

وأوه فاذ ذروه وهو خير قى      ووضغ أهله الرجل الفصح  
فلم يخشوا مصالته عليهم      وتحت الرغوة اللبن الفصح (٢٣)

وفي القرآن الكريم كقوله تعالى حكاية عن نبيه موسى - عليه السلام : « وأخي هرون هو أفصح مني لساناً » (٢٤) . وفي الحديث النبوي الشريف كقوله - صلى الله عليه وسلم - : « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش » وقوله : « غفر له بعدد كل فصيح وأعجم » (٢٥) . ولا يخرج ما في كتاب الله وكلام الرسول الكريم عن المعنى الذي ذكرته المعاجم لكلمة « النفاحة » وهو الطهور والبيان وانطلاق اللسان ، وحينما دخلت هذه اللفظة الدراسات البلاغية ارتبطت بلفظة البلاغة وصارت صنوعها ، وأصبح رجال البلاغة الأوائل لا يفرقون بينهما بل لم يروا بأساً في أن يستعملوا إحداهما مكان الأخرى .

وكان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاهظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ من أوائل الذين اهتموا بدراسة النفاحة ، وفي كتابيه « البيان والتبيين » و « الحيوان » وغيرها كثير من الاشارات الى فصاحة المتكلم ونفاحة الكلام ، وهي اشارات

(٢٢) لسان العرب ( فصح ) .

(٢٣) الخرق : الطريف في سباحة ونجدة . المصالة : ما تظفر من الجرة أو الخابية .

(٢٤) سورة القصص ، الآية ٣٤ .

(٢٥) النهاية في غريب الحديث والامرج ٢ ص ١٥٠ .

كان لها أثر عظيم في الدراسات البلاغية وتقسيم النصاحة التي نوعها فصاحة  
التكلم وفصاحة الكلام .

### فصاحة التكلم :

حدد القدماء فصاحة التكلم بأن يكون نطاق اللسان فسي التول ، عارفاً  
جيد الكلام من رديئة ، وأن لا يكون في لسانه عيب يمنعه من الطلاقة وإخراج  
الحروف من مخارجها بصورة صحيحة . وقد عالج الجاحظ هذه المسألة في  
كثير من فصول كتابه «البيان والتبيين» وعرض لها عند كلامه على الخطابة وما  
ينبغي أن يتصف به الخطيب ، وهدفه من ذلك أن يسطي صورة وضاعة للخطباء  
العرب وهو يردّ على الشعوبيين الحاقدين .

عرف الجاحظ التصحيح والاعجم بقوله : « التصحيح هو الانسان، والأعجم  
كل ذي صوت لا يفهم إرادته إلا ما كان من جنسه »<sup>(٦٦)</sup> . فالعربي فصيح إن  
أدى الكلام أثناءه حسناً وأفهم الآخرين وكان نطقه للحروف سليماً وإخراجه  
للكلمات صحيحاً ، وكان بعيداً عما عرف في بعض قبائل العرب من كسكسة  
والغصنة . وقد قال معاوية أبي سفيان يوماً : «مَنْ أَفصح الناس ؟ فقال قائل :  
قوم ارتفعوا عن لخلخائية الفرات وتيامنوا عن عننة تميم وتياسروا عن كسكسة  
بكر ، وليست لهم غصنة قضاة ولا لمطمانية حير . قال : من هم ؟ قال :  
قرش »<sup>(٦٧)</sup> . فقرش من أفصح قبائل العرب ، وهي التي نزل عليها كتاب الله  
أول ما نزل فأصبح بيانه والفاضة المثل الأعلى لكل فصيح بليغ ، وصار أهل  
الأمصار يشخرون بلغتهم التي تقرب من لغة القرآن ولا تخرج على ما جاء فيه  
من عذب الالفاظ . قال أهل مكة لحمد بن المناذر الشاعر : « ليست لكم  
معاشر أهل البصرة لغة فصيحة إنما النصاحة لنا أهل مكة . فقال ابن المناذر :

(٦٦) الحيوان ج ١ ص ٢٢٠ .

(٦٧) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢١٢ .

أما الجاحظ فأحكى لألفاظ القرآن وأكثرها له موافقة فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم .<sup>(١١)</sup>

لقد ذهب الجاحظ إلى أن التصحيح من غير عن نفسه بوضوح وأبان عن قصده بجلاء، وينطبق ذلك على أية لغة مادام المتكلم يطلق حروفها فلفظاً سليماً ويشكلها بها بطلاقة ووضوح . إن الإنسان فصيح « وإن غير عن نفسه بالفارسية أو بالهندية أو بالرومية . وليس العربي أسوأَ فهماً لطبقة الرومي من الرومي لبيان لسان العربي ، فكل إنسان من هذا الوجه يقال له فصيح »<sup>(١٢)</sup> . وهذا ادراك واسع لحقيقة التصاحفة التي لا تنص لغة من اللغات أو أمة من الأمم إلى هي مقسومة عليهم ، والتصحيح فيهم من غير عن نفسه بلسان سليم . وقد تجتمع فصاحة لغتين أو أكثر في واحد ، ومن ذكرهم الجاحظ وكان من أعاجيب الدنيا موسى بن سيار الأسواري الذي « كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور به فتعقد العرب عن بيته والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله ويقرأها للعرب بالعربية ثم يحوّل وجهه إلى الفرس فيقرأها لهم بالفارسية فلا يدري بأي لسان هو آيين . واللفظان إذا التقيا في اللسان الواحد أدخل كل واحدة منهما الضم على صاحبها »<sup>(١٣)</sup> . إلا ما ذكرنا من لسان موسى بن سيار الأسواري<sup>(١٤)</sup> .

لقد أولى الجاحظ التصاحفة عناية كبيرة لأهميتها في المناظرة والخطابة وانشاد الشعر ، وقال : « كلما كان اللسان آيين كان أحسن ، كما أنه كلما كان القلب أشد استيابة كان أحسن »<sup>(١٥)</sup> . وذكر سؤال موسى - عليه السلام - لربه أن يجعل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله ، وأن يكون أخوه عمرو بن عبد

(٨) البيان ج ١ ص ١٨ - ١٩ .

(٩) الحيوان ج ١ ص ٢٢ .

(١٠) صالح الجاحظ هذه المسألة في الحيوان ج ١ ص ٧٦ .

(١١) البيان ج ١ ص ٣٦٨ .

(١٢) البيان والنبوه ج ١ ص ١١ .



يصدق ، لأنه أفتح لساناً ، ولم يكن ذلك إلا « رغبة منه في غاية الإفصاح بالحجة والمبالغة في وضوح الدلالة لتكون الأعتاق إليه أميل والعتول عنه أنهم ، والنفوس إليه أسرع ، وإن كان قد يأتي من وراء الحاجة ويبلغ أقدامهم على بعض المشقة »<sup>(١٣٧)</sup> . فصاحة المتكلم مهمة في التعبير وإضفاء الروعة على المناسي وأكسابها القوة في التأثير ، وكان العرب يأسون بالحديث الجليل والكلام العذب ويمدونه جالياً من القيرى ، وقد قالوا : « من تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة وإطالة الحديث عند المراكلة »<sup>(١٣٨)</sup> . وقال عروة بن الورد :

سلي الجائع "الثرثان" يا أمه مضطرب إذا ما أتاني بين ناري ومجزري  
هل أيسقط وجبي إنه أول القيرى وأبذل معروفسي له دون منكري

وكان إعطاء الحروف حقها من الفصاحة أول ما يسعى إليه النصحاء ، ولذلك كانوا يحرصون على النطق السليم والالتقاء الحسن ليكونوا أشد تأثيراً حينما يتحدثون أو يخطبون أو يجادلون . وكانوا يتحاشون الحروف التي لا يحسنون نطقها ، ويستعدون عن الالتقاط التي لا يطاق بها اللسان . وكان أصل بن عطاء المعتزلي من أحرص الناس على أن يكون كلامه فصيحاً ، لأنه كان صاحب مقالة ورئيس نيحثة ، ولما علم أنه ألتخ وأن مخرج ذلك منه شنيع رام إسقاط الرء من كلامه وأخراجها من حروف منطقته ، فلم يزل يكابد ذلك ويفعله حتى انتظم له ما حاول . ومن طريق ما ذكره الجاحظ عنه أن بشاراً حينما هجاه بقوله :

مالي أتابع "غز" إلا له عشق " كذبتين الدو" إن ولي " وإن" مثلاً  
عشق الزرافة ما بالسي وبالكم " أنكثرون رجلاً" أكثروا رجلاً<sup>(١٣٩)</sup>

(١٣٧) البيان ج ١ ص ٧ .

(١٣٨) النعنع : ذكر النعام ، الدو : الغلاة . ويشير بشار في البيت الثاني إلى طول عشق وأصل بن عطاء

قال: وأما الرضا الأمامي المأجد المشتمك المكنى بأبي معاذ من يتلوه؟ أما واقفولاً أن  
 القيادة سجية من سجايا الغالية لبعت إليه من يبيع بطنه على مضجعه ويتلوه في جوف  
 منزله وفي يرم حذاه ، ثم كان لا يتولى ذلك منه إلا ختياي أو سدوسي «<sup>(١٦٦)</sup>»  
 لقد تجنب واصل الراء في كلامه وهو كثير الدوران في اللغة العربية ، وهو حين  
 لم يستطع أن يتولى بشار ، وابن برد ، والمرث ، جعل « المكنى بأبي معاذ »  
 بدلاً من بشار وابن برد و « المشتمك » بدلاً من « المرث » و « المأجد » بدلاً  
 من « الكافر » ، وقال لولا أن القيادة سجية من سجايا الغالية « ولم يذكر  
 المتصورة ولا المغربة<sup>(١٦٧)</sup> » لكان الراء ، وقال : « لبعت إليه من يبيع بطنه »  
 ولم يقل : لأرسلت إليه من يقر بطنه « وقال : « على مضجعه » ولم يقل :  
 « على فراشه » أو « سرير » وكان إذا أراد أن يقول « البر » قال : القبح  
 أو الحطية ، والحطية كرقية والقبح لغة شامية ، هنا وهو يعام أن لغة من قال  
 « بر » أفصح من لغة من قال : قبح أو حطية . ولقدرته على اجتناب الراء قال  
 الشاعر :

ويجعل البئر قبحاً فسي تصرفه      وجانب الراء حتى احتال القصر  
 ولم يطق مطراً والزول شعجيرات      فعاد بالغيث إشفاقاً من المطر

وقال قطرب النحوي فيما نقله الجاهظ عنه : « سألت عثمان البري : كيف  
 كان واصل يصنع في العسد ؟ وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين ؟  
 وكيف كان يصنع بالثمن والهدر ويرم الأربعة ويشير رمضان ؟ وكيف كان  
 يصنع بالحرم وسر ويربع الآخر وجمادي الآخرة ورجب ؟ فقال : مالي فيما  
 يتولى إلا ما قال صفوان :

ملتفتين ملتئم " فيما يحاوله      حتم خواطره جواب " أفان<sup>(١٦٨)</sup>

(١٦٦) البيان والتهيون ج ١ ص ١٦ .

(١٦٧) المتصورة والمغربة : من الفرق الغالية . (١٦٨) البيان ج ١ ص ٢٢ .

ذكر الجاحظ ذلك كنه ليؤكد أهمية فصاحة وآثرها في الحديث ، ولكني  
 يجلوها خاض في مسائل كثيرة كالأصوات والالسان وعيوبه والتي  
 والحصر واللعن واقتران الحروف وتناثر الالفاظ وغرابتها وجمالها وتنوعها  
 وتطورها . ولكنه على طريقته في البحث والتأليف تتر هذه المسائل فسي كنه  
 تقرأ ، وجسج الأسماء والنظائر ، وضخم بعضها التي بعض يعطي صورة عن  
 جهوده في الفصاحة .

### الأصوات :

الأصوات ظاهرة طبيعية تنشأ عن اهتزاز الاجسام ، والصوت الانساني  
 ينشأ من ذبذبات مصدرها الحنجرة التي تضم الوترين الصوتيين ، واهتزازات  
 هذين الوترين تطلق من الدم او اللحم وتنقل خلال الهواء الخارجي . وأعضاء  
 النطق هي القصب الهوائية والحنجرة والحنك واللسان والحنك والفراغ الأعلى  
 والشفان ، ولكل عضو وظيفة خاصة في اخراج الصوت وتحديد مخرج  
 الحروف . وقد تحدث الجاحظ عن الصوت وهو « آلة النطق والجوهر الذي  
 يقوم به التاطيع وبه يرجد التأليف . ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا  
 كلاماً موزوناً ولا مثوراً إلا بطور الصوت ولا تكون الحروف كلاماً إلا  
 بالتقطيع والتأليف »<sup>(١٩)</sup> . وللصوت تأثير عجيب في النفوس « فمن ذلك ان  
 منه ما يمتل كصوت الصاعقة ، ومنها ما يسه النفوس حتى يفرط عليها السرور  
 فتعلق حتى ترقص وحتى ربما رمى الرجل بنفسه من حلق ، وذلك مثل هذه  
 الاغاني المطربة . ومن ذلك ما يكمد ، ومن ذلك ما يزل العقل حتى يقضى على  
 صاحبه كنعو هذه الأصوات الشجية والقراءات المألحة . وليس يثرهم ذلك  
 من قبل المناسي ؛ لانهم في كثير من ذلك لا يهتمون كلامهم ، وقد بكى  
 ماسرجويه<sup>(٢٠)</sup> من قراءة أبي الخوخ فليل له : كيف بكيت من كتاب الله

(١٩) البيان والتبيين ج ١ ص ٧٦ .

(٢٠) ماسرجويه : يهودي من اطباء البصرة واحد الترجيعين من السريانية .

ولا تصدق به ؟ قال : إنما أبتكالي الشجاء ، وبالاصوات ينومون النسيان  
والاطفال (١٣١) .

والدعوية أثر في اخراج الحروف وان كان الأجنبي غير قادر على نطق  
جميع الحروف العربية إلا بعد النصب ، ويظهر ذلك منه من غير تأمل طويل أو  
ملاحظة دقيقة فقد « يتكلم المغلاق (١٣٢) » الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية  
المروفة ويكون لفظه متحرراً فاحراً ومعناه شريفاً ، ويعلم مع ذلك السامع  
لكلامه ومخارج حروفه أنه بنبلسي . وكذلك إذا تكلم الخراساني على هذه  
الصفة فالتكلم مع إعرابه وتخيير اللفظ في مخرج كلامه أنه خراساني ،  
وكذلك إن كان من كتاب الأحواز . ومع هذا انا نجد الحاكية من الناس يحكي  
أناط سكان اليمن مع مخارج كلامهم لا يتأخر من ذلك شيئاً ، وكذلك تتكون  
حكايته للخراساني والأحوازي والزنجي والسندي والأبجاسي وغير ذلك . نعم  
حتى تجده كأنه أطبع منهم ، فإذا ما حكى كلام الباقاء فكأنما قد جمعت كل  
طرفه في كل لفظ في الأرض في لسان واحد ، وتجده يحكي الأعشى بصور  
يشبهها لوجهه وعينه وأعضائه لا تتكاد تجرد من ألف أعشى واحداً بجميع ذلك  
كله فكأنه قد جمع جميع طرف حركات العميان في أعشى واحد (١٣٣) . وكان  
بعضهم يقلد أصوات الحيوانات ويؤثرها في التقليد . ومن طرف ما ذكره  
الجاحظ أن أبا ديقوبة الزنجي مولى آل زياد كان « يقف بباب الكرخ بحضرة  
المكارين فينطق فلا يقف حمار مريض ولا مرمح حسيح ولا متعب يهرج إلا نطق ،  
وقبل ذلك تسمع نطق الحمار على الحقيقة فلا تتعب لذلك ولا يتحرك منها  
متحرك حتى كان أبو ديقوبة يحركه . وقد كان جمع جميع الصور التي تسمع  
نطق الحمار فجعلها في نطق واحد ، وكذلك كان في نباح الكلاب (١٣٤) .

(١٣١) الحيوان ج ٤ ص ١٩٢ .

(١٣٢) يقال استغلق عليه الكلام : إذا ارتج عليه فلم يجد وجهاً للتكلم .

(١٣٣) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٩ .

(١٣٤) البيان ج ١ ص ٦٩ - ٧٠ .

وقد يصعب تغيير النطق إذا تسكنن في الألسنة ، واتبه الجاحظ الى ذلك فقال : « ألا ترى أن السندي إذا جاب كثيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زايا ولو أقام في عاليها تميم وفي سبلى قيس وبين عجز هراون حسيخا عاما . وكذلك النبطي النح وهو خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط ، وإن النبطي النح يجعل الزاي سينا فإذا أراد أن يقول : « زورق » قل سورق ، ويجعل العين همزة فإذا أراد أن يقول : « مشمسل » قال : مشنل والنخاس يستحسن لسان الجارية إذا غن أنها رومية وأهلها يرعدون أنها مولدة إن تقول :

« فاصة » وتقول : « شمس » ثلاث مسرات متواليات «<sup>(٢٦٠)</sup> . وربط بين كثرة مخارج الحروف وكثرة ما يحتاج اليه الإنسان أو الحيوان من أصوات تعبر عن حاجاته قال : « وتزعم الهند أن سبب ما كثر كلام الناس واختلفت صور ألفاظهم ومخارج كلامهم ومقادير أصواتهم في اللين والشدة وفي المد واللفظ ، كثرة حاجاتهم ، وكثرة حاجاتهم كثرت خواطرهم وتصاريف اللفظهم واتسعت على قدر اتساع معرفتهم »<sup>(٢٦١)</sup> ، ولذلك كانت أصوات الحيوانات وصورها قليلة ، فالسناير لا تعدو حوائجها خمسة أوجه : « منها صياحها إذا ضربت ولذلك صورة ، وصياحها إذا دعت أخواتها وألقتها ولذلك صورة ، وصياحها إذا دعت أولادها للطعم ولذلك صورة ، وصياحها إذا جاءت ولذلك صورة ، فلما قلت وجه المعرفة ووجه الحاجات ، قلت وجه مخارج الأصوات ، وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها »<sup>(٢٦٢)</sup> . وربط بين صعوبة اللغة وأصواتها وقال : « واللغات لما تشدد وتمصر على التكلم بنا على قدر جهالة بأمكانها التي وضعت فيها وعلى قسرة كثرة العدد وقلة ، وعلى قدر مخارجها وخطتها وسلسها وثقلها وتمتددا في أنفسها ، كترك ما بين الزنجي والخوزي فإن الرجل

(٢٥٥) البيان ج ١ ص ٧٠ - ٧١ .

(٢٦٠) الحيوان ج ١ ص ٢١ - ٢٢ .

(٢٦١) الحيوان ج ١ ص ٢٢ . ويلاحظ أن الجاحظ هنا عن ذكر الصورة الخامسة .

يتخس في بيع الزنج وابتاعهم شهراً واحداً فيتكام بعامة كلامهم ، ويباح  
الغوز ويجاوزهم زماناً فلا يتعلق منهم بطائل» (٢٨٦) .

وتكلم الجاحظ على بعض أعضاء النطق كالأسنان واللسان وذكر بعض  
ما يتصل بها وتأثيرها في إخراج الحروف .

#### الأسنان :

وهي أحد أقسام الحنك في أعضاء النطق أو الجوارض العضلي وقد رأتها  
في إخراج الحروف ، وقد قال سولي بن هارون : « لو عرف الزنجي فرط حاجته  
إلى ثنائه» (٢٩٦) في إقامة الحروف وتكسيل آلة البيان لما نزع ثنائه» (٢٩٧) . وكان  
عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قد قال من قبل في سهيل بن عمرو الخطيب :  
« يا رسول الله الزنج نثيته السفلين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً  
أبداً» (٢٩٨) ، ولذلك لم يتكلم معاوية بن أبي سفيان على منبر جباة منذ سقطت  
ثنياه .

وليس شيء من الحروف أدخل في باب النقص والمجز من فم الأهم (٢٩٩)  
من الماء والسين إذا كانا في وسط الكلمة . ولا تخرج الضاد إلا من الصدق  
الأيمن إلا أن يكون التكلم أفسرّ يسراً مثل عمر بن الخطاب -  
رضي الله عنه - فإنه كان يخرج الضاد من أي شدقيه شاء ، فأما الأيمن  
والأعسر والأضبط (٣٠٠) فليس يمكنهم ذلك إلا بالاستكراه الشديد (٣٠١) . وقيل  
إن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإزالة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها

(٢٨٦) الحيوان ج ٥ ص ٢٨٩ .

(٢٩٦) الثنياه : استنان مقدم الفم ، ثنتان من فوق وثنان من أسفل .

(٢٩٧) البيان والتبيين ج ١ ص ٥٨ .

(٢٩٨) البيان والتبيين ج ١ ص ٥٨ .

(٢٩٩) الأهم : هو الذي اكسرت ثنياه من أصولها .

(٣٠٠) الأضبط : الأعسر اليسر الذي يعمل بكفا يديه .

(٣٠١) ينظر البيان ج ١ ص ٦٢ .

وخالف أحد شرطها النظر الآخر ، قال الجاحظ : « وقد رأينا تصديق ذلك في أقراء قوم شاهدتهم الناس بعد أن سقطت جميع أسنانهم وبعد أن بقي منها الثالث أو الرابع . ومن سقطت جميع أسنانه وكان معنى كلامه مفهوماً الوليد ابن هشام التميمي ، وصاحب الأخبار ، ومنهم أبو سفيان بن العلاء بن ليبد التغلبي وكان ذا بيان ولسن . وكان عبيد الله بن أبي غسان يصرف لسانه كيف شاء ، وكان الالطاح على القيسي<sup>(٣٥)</sup> قد يرد أسنانه حتى لا يرى أحد منها شيئاً إلا إن تفلح في لحم اللثة أو في أصول ذناب الأسنان . وكان سفيان بن الأبرد الكلابي كثيراً ما يجمع بين الحار والقار تتساقط أسنانه جمعاً ، وكان في ذلك خطيباً بياناً . وقال أهل التجربة : إذا كان في اللحم الذي فيه مغارز الأسنان تشمير وقصر سنك<sup>(٣٦)</sup> ، ذهبت الحروف ونسد البيان . وإذا وجد اللسان من جميع جهاته شيئاً يترعه ويصكه ولم يبر في هواه واسع المجال ، وكان لسانه يلا جوبة فيه ، وإذا كان كذلك ، لم يضره سقوط أسنانه إلا بالتقدير المعتد والجزم والمحتل<sup>(٣٧)</sup> . »

### اللسان :

اللسان عضو مهم في عناية الطبق لروته وكثرة حركته في الفم عند الكلام ، وقد تحدث الجاحظ عنه وذكر صاته الوثيقة بالطلق وقال إن من سقطت جميع أسنانه كان عظم اللسان ناعماً له ، وقيل عن أرسطو « إن كل طائر عرضي اللسان فالانصاح بحروف الكلام منه أوجد<sup>(٣٨)</sup> . » وقيل : « ويؤكد ذلك قول صاحب المطلق ناهي زعم في كتاب الحيوان أن الطائر والسبع والبهيمة كلما كان لسان الواحد منها عرضي كان انصاح وأبين وأحكي لما يأتين ولما يسمع كنعو البهائم والقطاف وغراب البين وما أشبه ذلك<sup>(٣٩)</sup> . »

(٣٥) القيسي : المشتمس الجاف ، ولا يزال هذا مستعملاً في العراق .

(٣٦) التشمير : التقليل ، السمك - بالفتح وسكون الميم - : الارتفاع .

(٣٧) البيان ج ١ ص ٦١ - ٦٢ .

(٣٨) الحيوان ج ٥ ص ٢٨٨ . (٣٩) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٢ .

ويحتاج اللسان الى التمرب فاذا « ترك الانسان القول فالتت خرافه وتبالت نفسه وفسد حته . وكانوا يروون عيبانهم الأرجاز ويعلمونهم المتافلات وأمرؤهم يرفح الصوت وتحقق الأهراب ؛ لأن ذلك يفتق الهامة ويفتح الجريم<sup>(١٠)</sup> . واللسان إذا أكثر تاليه رقي ولان ، واما أقالت تاليه وأطلت إسكاته جسا ولفاظ<sup>(١١)</sup> . وكانوا يستدحون رجابة الشديق وقد قيل لأعرابي : ما الجمال ؟ قال : « غرور العينين ، وشراف الحاجبين ، ورحب الشديق<sup>(١٢)</sup> » . وكانوا يذمون المشدق الذي يروي شدة له للضح ، ولكن الجاحظ رأى أن « صاحب الشديق والتعير والتعيب<sup>(١٣)</sup> من الخطياء والبلاء مع ساجدة التكلف وشنة التزهد أعذر من عبي يتكلف الخطابة ومن حصر يعرض لأهل الاهتداء والدرية . ومدار الألالة ومستقر المنفعة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف وبيانا يمازجه التردد . إلا أن تعاطي العصر المنقوص مقام الدرب التام أقبح من تعاطي البليغ الخطيب ومن تشادق الأعرابي التاج . واتحال المروف ببعض الغزارة في المعالي والألناط وفي التحبير والارتجال انه البحر الذي لا يزعج والغمر الذي لا يسر أيسر من اتحال الحصر المنخوب فسي مسلاخ<sup>(١٤)</sup> التام الموفر والجامع المحكك وإن كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد قال : « إياي والتشادق » . وقال : « أبغضكم الي<sup>(١٥)</sup> الرمازون المتبهقون » . وقال : « من يداجنا » . وعاب المدادين<sup>(١٦)</sup> والمتزيدين في جهارة الصوت واتحال سعة الأستادق ورحب الغلامم وهذل الشفاء ، وأعلمنا أن ذلك في أهل الور أكثر وفي أهل المشر أقل<sup>(١٧)</sup> .

(١٠) الجرم - بكسر الجيم - : الحاق .

(١١) البيان ج ١ ص ٢٧٢ .

(١٢) الحيوان ج ٢ ص ١٧٥ .

(١٣) التعير : أن يتكلم بأفسي قمر فيه . التعيب في الكلام كالتعير فيه .

(١٤) المنخوب : الجبان . المسلاخ : الجلد .

(١٥) القناد : الجاني الصوت والاعلام .

(١٦) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢ .



ومن الخطباء من كان أشقى أذبح<sup>(١٧)</sup> كزبد من جناب ، « ولولا ذلك لكان أخطب العرب قاطبة »<sup>(١٨)</sup> . ومنهم من كان أرواق ومن كان أضجيم ، ومن كان أقم<sup>(١٩)</sup> .

ترويب اللسان :

لابد للتصحيح من أن يكون سليم التلق أي يكون لسانه خالياً من العيوب التي تعوق عن اخراج الحروف بصورتها الصحيحة . وقد تكلم الجاحظ على بعضها ومنها :

١ - اللثغة : وهي التي تعترى الصبيان السي أن يشأوا ، وهي خلاف مايعتري الشيخ الهرم المسترخي الحنك وخلاف مايعتري أصحاب المنكن من العجم ومن يشأ من العرب مع العجم<sup>(٢٠)</sup> والحروف التي تدخلها اللثغة أربعة هي : القاف والسين واللام والراء ، قال الجاحظ : « قأما التي على السين المعجبة لذلك شيء لا يصوره الخط ؛ لانه ليس من الحروف المعروفة وإنما هو مخرج من الخارج ، والمخارج لا تعصى ولا يرقف عليها . وكذلك التعل في حروف كثيرة من حروف لغات العجم ، وليس ذلك في شيء أكثر منه في لغة الغوز ، وفي سواحل البحر من أسياف فارس ناس كثير كلامهم يشبه الصغير . فمن يستطيع أن يصور كثيراً من حروف الزمزمة والحروف التي تظير من فهم الجوسي إذا ترك الانصاح عن معانيه وأخذ قسي باب الكتابة وهو على الطعام ؟ فاللثغة التي تعرض للسن تكون ناء<sup>(٢١)</sup> كقولهم لا يبي يكسوم<sup>(٢٢)</sup> . « أبي يكثوم » وكما يتوارن : « بشره » إذا أرادوا : « بشرة » و « بسم الله » إذا أرادوا : « بسم الله » .

(١٧) اللثغا : اختلاف نبتة الاستان . الفلج : شق في اللثة العليا .

(١٨) البيان ج ١ ص ٥٥ .

(١٩) الرواق : طول في الناياء العليا على اللسان . الضجيم : امواج في اللم والقلم مثله .

(٢٠) البيان ج ١ ص ٧١ .

(٢١) كنية ابرهة الملك الحبشي صاحب القيل .

والثغفة الثانية التي تعرض للتساقف فإن صاحبها يجعل التساقف طاءً فإذا أراد أن يقول : « قلت له » قال : « قلت له » وإذا أراد أن يقول : « قال لي » قال : « قال لي » .

وأما الثغفة التي تقع في اللام فإن من أهلها من يجعل اللام ياءً فيقول بدل قوله : « اعتلت » : « اعتليت » وبدل : « جسل » : « جسلي » . وآخرون يجعلون اللام كافاً كالذي عرض لعمر أخيه هلال فإنه كان إذا أراد أن يقول : « ما العلة في هذا ؟ » قال : « مكعكة في هذا ؟ » .

وأما الثغفة التي تقع في الراء فإن عددها يضاعف على عدد ثغفة اللام ؛ لأن الذي يمرض لها أربعة أحرف ، فمنهم من إذا أراد أن يقول : « عمرو » قال : « عسي » فيجعل الراء ياءً . ومنهم من إذا أراد أن يقول : « عمرو » قال : « عسج » فيجعل الراء غيناً . ومنهم من إذا أراد أن يقول : « عمرو » قال : « عسج » فيجعل الراء ذالاً . وإذا أشد قول الشاعر :

واستبدعت مرةً واحدةً إنما العاجز من لا يستبد  
قال :

واستبدعت مَرةً واحدةً إنما العاجز من لا يستبد

فمن هؤلاء علي بن الجعيد بن فريخي . ومنهم من يجعل الراء غيناً معجزةً فإذا أراد أن يشد هذا البيت قال :

واستبدعت مرةً واحدةً إنما العاجز من لا يستبد

كما أن الذي لثغته بالياء إذا أراد أن يقول : « واستبدت مرة واحدة » يقول : « واستبدت ميئة واحدة » .

وأما الثغفة الخامسة التي كانت تعرض لواصل بن عطاء وسليمان بن يزيد المدوي الشاعر فليس إلى تصورها سبيل ، وكذلك الثغفة التي تعرض في

السين كتحو ما كان يمرض لمحمد بن الحجاج كاتب داود بن محمد كاتب أم جعفر فإن تلك أيضاً ليست لها صورة في الخط تسمى بالعين وإنما صورها اللسان وتنادى بالسبح<sup>(٥٢٦)</sup> . ولكنهم قالوا إن اللثة التي تكون بالعين أقلها قبحا وأوجدتها في كبار الناس وبالنائم وأشرفهم وعالمهم<sup>(٥٢٧)</sup> . وقد تجتمع في اللسان لثتان في حرفين كان يجعل اللام ياء<sup>٥</sup> والراء ياء<sup>٦</sup> كلثفة شوشى صاحب عبدالله بن خالد الأموي فإنه قال مرة : « مولاي وبني أبي » يريد : « مولاي ولي السري »<sup>(٥٢٨)</sup> . واللثة التي في الراء إذا كانت بالياء فهي أحقرهن وأضعهن لذى المروءة ثم التي على اللها ، ثم التي على الذال ، فاما التي على العين فهي أيسرهن ويقال إن صاحبها لو جهد نفسه واحد لسانه وتكلف مخرج الراء على حقها والاتصاح بها لم يك بعيداً من أن تجيبه الطبيعة ويؤثر فيها ذلك التمهد أترا حسنا . وقد كانت لثة محمد بن شبيب المتكلم بالعين وكان إذا شاء أن يقول « صرو » و « لعري » وما أشبه ذلك على الصحة ناله ، ولكنه كان يستل التكلف والتبرؤ لذلك ، وقد قال الجاحظ له : « إذا لم يكن المانع إلا هذا العذر قلت أنك لو احتملت هذا التكلف والتعب شهراً واحداً إن لسانك كان يستقيم »<sup>(٥٢٩)</sup> . وكانوا يقولون إن أحسن اللغج ما كان على السين وهو أن تصير ياء<sup>٧</sup> ، وكانوا يقولون أيضاً : أحسنها على الراء وهو أن تصير فينا<sup>(٥٣٠)</sup> . وكانوا يستلحون اللثاء إذا كانت حديثة السن ومقدودة مجدولة فإذا أسنت واكتهلست تغير ذلك الاستلح<sup>(٥٣١)</sup> . وكانوا

(٥٢٦) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٤ - ٢٦ .

(٥٢٧) البيان والتبيين ج ١ ص ١٥ ، ٢٧ .

(٥٢٨) البيان ج ١ ص ٢٦ .

(٥٢٩) البيان ج ١ ص ٢٦ - ٢٧ .

(٥٣٠) البيان ج ٢ ص ٢٢٤ .

(٥٣١) البيان ج ١ ص ١٤٦ .

يخافون من الورثة في الثلث ولذلك يقال ان أبا رمادة طلق امرأته حين وجدها  
لتقاء خشية أن تحيئه بولد الثلث وقال :

لتقاء تأتي بحيتسره النفر تيسر في المونسي والمصنغ<sup>(٥٨)</sup>

٢ - التمتع : وهو التردد في الكلام فإذا تمتع اللسان في التاء فهو  
لتاء ، وقد قيل في مدح الطائي اللسان :

ليس بنافاء ولا تنام ولا كثير الهجتر في الكلام

وقيل : إن التتام غير المتحرب عن معناه ولا المنصَح بحاجته<sup>(٥٩)</sup> ، وإذا  
أدخل الرجل بعض كلامه في بعض فهو التمام ، وقيل : بلسانه لتفك ،  
قال الشاعر :

كان في لقاء إذا تطسق من طول تحبير وهم وأرق

قال الجاحظ : « كان لما جلس وحده ولم يكن له من يكلبه وطال عليه  
ذلك أصابه لتفك في لسانه . وكان يزيد بن جابر قاضي الأزارقة يمد  
المفطّلين يقال له : « الصوت » لأنه لما طال صوته ثقل عليه الكلام فكان  
لسانه يتوي ولا يكاد يبين . وأخبرني محمد بن الجهم ان مثل ذلك اعتراه  
أيام معاربة الزط من طول الفكر لزوم الصمت<sup>(٦٠)</sup> . وقد يكون في كلام  
بعضهم عجلة فلا يستطيع السامع أن ينهم منه إلا بعد النسيب والانتباه  
الشديدين .

٣ - الحبسة : وهي أن يتقل الكلام في اللسان ، ولكنه لا ينبغ حد  
النافاء والتتام .

٤ - العقلة : هي أن يحبس اللسان عن الكلام .

(٥٨) البيان ج ١ ص ٥٧ ، الحيفس : - بوزن هزير - الولد القصير الصغير .

(٥٩) البيان ج ١ ص ٢٧ - ٢٨ .

(٦٠) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٨ .

٥ - الكنة : وهي العجة في اللسان ، أو أن تعترض في الكلام اللفظة الأجنبية ، قال الجاحظ : « ويقال في لسانه لكنة إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب وجذبت لسانه المادة الأولى التي المخرج الأول » (٦١) . وقد يكون المتكلم غير قادر على نطق بعض الحروف ، ومن ذلك زياد الأصم الذي كان فصيح الشعر غير أنه لا ينطق الماء فإذا نطق «السلطان» قال : «الشلتان» . ومنهم سحيم عبد بني الحساس الذي كان يتأب الشين سينا فإذا نطق : « ما شعرت » قال « ماسمرت » . ومنهم أم ولد لجريس بن الخطمي الشاعر وكانت تقب الخال دالا في كلمة « الجرذان » . ومنهم عبد الله بن زياد الذي نشأ في الأسورة عند شبرويه الأسواري زوج أمه مرجانة ، فإنه كان يتأب الحاء هاء فيقول في : « أحروري » : « أهروري » . وكان شبيب بن سنان ينطق العربية بالكنة رومية فيقول في « حائس » : « هائس » . ومنهم أبو مسلم الخراساني الذي كان يتأب القاف كافا فيقول في « قنت » : « كنت » .

وذكر الجاحظ موضعا آخر من الكنة يتصل بصيغة الفعل أو بناء الكلمة لا ينطق الحروف ، فقد قيل لنبطي : لم اتمت هذه الأمان ؟ قال : « أركيها وتلدني ليجاء بالمعنى بيته ولم يبدل الحروف بغيرها ولا زاد فيها ولا نقص ولكنه فتح المكسور حين قال : « ولتدلي » ولم يقل : « لتدلي » (٦٢) .

٦ - الحكلة : وهي نقصان آلة المطلق وعجز أداة اللفظ حتى لا تعرف معانية إلا بالاستدلال (٦٣) . قال الجاحظ وهو يتحدث عن الحكلة : « يقال في لسانه حكمة إذا كان في لسانه نكل يتمه من البيان ، فإذا كان النكل الذي في لسانه من قبل العجة قبيل في لسانه حكمة ، والحكمة من الحيوان كنه ما

(٦١) البيان ج ١ ص ٣٩ .

(٦٢) ينظر البيان والتبيين ج ١ ص ٧١ + ج ٢ ص ٢١٢ ، الحيوان ج ٣ ص ٢٩٢ .

(٦٣) البيان ج ١ ص ٤٠ .

لم يكن له صوت يستبان باختلاف مخارجه عند حرجه وضجره وطلبه ما يندوه  
أو عند هراجه إذا أراد السفاد ، أو عند وعيد لقتال ، وغير ذلك من أمره « (٦٥) » .

### المسي :

وكانوا يذمون المي ، وهو العجز عن الأمر وإحكامه أو عن الحجية ،  
وقد بدأ الجاحظ كتاب « البيان والتبيين » بقوله : « اللهم نعوذ بك من فتنة  
القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ، ونعوذ بك من التكلف لما لانصن كما  
نعوذ بك من العجب بما تحسن . ونعوذ بك من السلامة والهدر كما نعوذ بك  
من المي والحصر وقد يبا ما تمودوا بالله من شرها وتضرعوا الى الله في السلامة  
منها » (٦٥) . وتتل بعض الأقوال من ذلك قولهم : « البيان بصر والمي عسى  
كما أن العلم بصر والجبل عسى ، والبيان من تجاج العلم والمي من تجاج  
الجبل » (٦٦) . وقول النمر بن توبل :

أعيذني رب من حصر ومي<sup>٦٧</sup> ومن تكس أعالجها عيلاجاً

وقول الآخر :

وما بي من مي ولا أ شطيق<sup>٦٨</sup> الضنا إذا جمع الأقوام في الخطب مستحل<sup>٦٩</sup>  
وكانوا يقولون : « عسى أبأس من شلل » كأن المي فوق كل  
زمانة (٦٧) . وفي الباب الذي عنده الجاحظ للمي (٦٨) أمثلة كثيرة تمل على  
استرجان القدماء له وتورهم منه .

### الحصر :

وكان يذمون الحصر وهو « ضرب من المي » حصر الرجل حصراً مثل  
تعب لعباً فهو حصر عيسى في منطلته . وقيل : حصر لم يقدر على

(٦٥) الحيوان ج ٤ ص ٢١ .

(٦٥) البيان ج ١ ص ٢ .

(٦٧) البيان ج ١ ص ٢١٥ .

(٦٦) البيان ج ١ ص ٧٧ .

(٦٨) ينظر البيان ج ٢ ص ٢٢٤ .

الكلام»<sup>(٦٩)</sup> . وقال الجاحظ : «والناس لا يتغيرون الغرس ولا يؤمرون من استولى على بيانه العجز ، وهم يؤمرون العصر ويزنون العبي فإن تكلفنا مع ذلك مقامات الخطباء وتماطيا مناظرة الإلقاء تضاعف عليهما الدم وترادف عليهما التأنيب + ومائة العبي العصر للبايع المصنع في سبيل مائة المتقطع المنجم للشاعر المقات وأحدهما اليوم من صاحبه، والألسنة إليه أسرع . وليس العلاج والتنمات والانتعج والنفاء، وذو الجئسة والحكثة والرتشة»<sup>(٧٠)</sup> وذو الفلف والعجلة في سبيل الحصر في خطبه والعبي في مناظرة خصومه كما أن سبيل المنجم عند الشعراء واليكسي عند الخطباء بخلاف سبيل المسهب الثرثار والخلل المكثار»<sup>(٧١)</sup> .

### اللحن :

وكانوا يستقبحون اللحن ؛ لأنه من عيوب الكلام ، وقالوا : « اللحن في المنطق أقيح من آثار الجديري في الوجه »<sup>(٧٢)</sup> . وكان أول لحن سمع بالبادية « هذه عصائبي » وأول لحن سمع في العراق : « حي علي الفلاح »<sup>(٧٣)</sup> . وأقيح اللحن لحن أصحاب التعمير والتقميب والتشديق والتعطيط والجهورة والتشخيم ، وأقيح من ذلك لحن الأعراب النازلين على طرق السابرة ويقرب مجامع الأسواق . وقد رأى الجاحظ أن تذكر النوادر والطرف كما قيلت ولا يصاح ما فيها من لحن ، قال « ومتى سمعت - حظك الله - بنادرة من كلام الأعراب فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفانها ، فإنك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها وأخرجتها مخارج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير . وكذلك إذا سمعت بنادرة من سواد

(٦٩) لسان العرب ( حصر ) .

(٧٠) الرمة : مجلة في الكلام وقلة آتاة ، وقبل هي العجلة في الكلام ، والحكثة :

شبه العجة في الكلام .

(٧١) البيان ج ١ ص ١٢ .

(٧٢) البيان ج ٢ ص ٢١٦ .

(٧٣) البيان ج ٢ ص ٢١٦ .

العوام ومالحة من مالح العشرة والظنم فايماك أن تستعمل فيها الاعراب أو تخير لها لفظا حسنا أو تجعل لها من فريك مخرجا سرييا ، فان ذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي أريدت له ويذهب استقابهم اياها واستلاحهم لها» (٢٤٤) . وقال : « إن الاعراب يفسد نواذر المولدين كما ان اللحن يفسد كلام الاعراب » (٢٤٥) . وقال في كتابه « البخله » : « وإن وجدتم في هذا الكتاب لحناً أو كلاماً غير عربي ولفظاً معدولاً عن جهته فاعلموا اننا تركنا ذلك لان الاعراب يعنى هذا الباب ويخرجه من حده إلا أن احكي كلاما من كلام متعاقلي البخله وأشطاء العلماء كسند بن هارون وأشباهه» (٢٤٦) وقال عن الجوارى : « واللحن من الجوارى الطراف ومن الكراعب النواهد ومن الشواب الملاح ومن ذوات الصدور الغرائر أيسر ، وربما استماع الرجل ذلك من من مالم تكن الجارية صاحبة تكلف ، ولكن إذا كان اللحن على سجية سكان البلد » (٢٤٧) . وفي باب اللحن (٢٤٨) كثير من الأخبار والطرائف وهي تدل على استهجان التديما لهذا العيب الذي يقع فيه المتحدثون والخطباء . وفي باب المحازين والبلغاء (٢٤٩) أسماء بعض الذين كانوا يتعمون في هذا العيب على الرغم مما عرفوا به من بلاغة واقتدار على الكلام .

تلك هي المسائل التي تحدث عنها الباحث في باب فصاحة الكلام ، وتلك هي العيوب التي عرض لها . وقد يكون بعضها طبيعيا لا بد للتمكلم فيها ، وقد يكون بعضها بسبب نقص التمرين والعناية بالكلام ، ولذلك كان العرب يرسلون أولادهم الى البادية أو يتخذون لهم مؤدبين يدربونهم على الفصاحة والنطق السليم ، ويعلمونهم البيان وفق القول ؛ لان التمرين سبيل الى اتقان

(٢٤٤) البيان والتمرين ج ١ ص ١٤٥ - ١٤٦ . (٢٤٥) الحيوان ج ١ ص ٢٨٢ .

(٢٤٦) البخله ص ٤ .

(٢٤٧) البيان ج ١ ص ١٤٦ .

(٢٤٨) البيان ج ٢ ص ٢١٠ .

(٢٤٩) البيان ج ٢ ص ٢٢٠ .



الكلام وسلامة النطق و فصاحة اللسان ، وقد قال الجاحظ : « ويعد الانسان لا تكون ابداً إلا خرقاء ولا تصير صناعاً ما لم تكن المعرفة ثقلاً لها ، واللسان لا يكون ابداً ذاهباً في طريق البيان ، متصرفاً في الانفاذ الا بعد أن تكون المعرفة متخللة به منقاة له واضحة في مواضع حثوثة وعلى أماكن حظوظه ، وهو حلة له في الأماكن البسيطة ومصروفة له في المواضع المختلفة »<sup>(١٠٦)</sup> . فالصراحة من صفات المتكلم كما هي من صفات الكلام ، وقد كانت مهمة في القديم حينما كان العربي يتشد على فصاحته في القضاء الخطب وانشاد الشعر ومقارعة الخصوم ، والجاحظ حين بحث هذه المسألة كانت امامه الخطابة والمنظرات التي كانت تقوم بين المتكلمين وخصومهم أو بينهم وبين الطائفتين في كتاب الله العزيز . وقد كانت جهرارة الصوت وسلامة اللسان من العيوب ذات أهمية كبيرة لأنها تؤثر تأثيراً عظيماً على المستمعين . ولم يقف الأمر عند هذه المسائل بل كان الخطيب يتشد على هيئته وزيه وأشاراته وتشابه للمعاني ببراتصوته ومقاطع كلامه ، وقد قال أبو داود بن حرير وقد جرى شيء من ذكر الخطب : « تلخيص المعاني رفق ، والاستعانة بالقرريب حجز ، والتشادق من غير أهل البادية بغض ، والنظر في عيون الناس عي ، ومسّ الحية هلك » . وقال : رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة ، وجناحها رواية الكلام ، وحلية الاغراب وبهاؤها تخير الانفاذ ، والمحبة مقرونة بثقة الاستكراء<sup>(١٠٧)</sup> وقال الجاحظ : « إن البيان يحتاج الى تمييز وسياة والى ترتيب ورياسة ، والى تمام الآلة وإحكام الصنعة والى سهولة المخرج وجهرارة النطق وتكديب الحروف واقامة الوزن ، وان حاجة المنطق الى الحلاوة والطلاوة كحاجته الى الجزالة والفصاحة ، وان ذلك من أكثر ما شتمت به القلوب وتشتى به الأسماق وتزين به المعاني »<sup>(١٠٨)</sup> .

(١٠٦) الحيوان ج ١ ص ١١٦ .

(١٠٧) البيان والتبيين ج ١ ص ١١٠ .

(١٠٨) البيان ج ١ ص ١١٠ .

## فصاحة الكلام :

أما فصاحة الكلام فهي « خلوصه من ضعف التأليف وتناثر الكلمات والتعقيد »<sup>(٨٢)</sup> . وقد تحدث الجاحظ عن ذلك حديث العارف المطع والأديب المنتدِر وكان لثروته الأدبية وتقائه الواسعة أكبر الأثر في معالجة هذا الموضوع . ولا تنحصر فصاحة الكلام في مسألة واحدة وإنما تشمل كثيراً من المسائل المتصلة بالحروف والألفاظ والكلام ، وقد أولى الجاحظ هذه المسائل عناية كبيرة وتحدث عنها حديث الخبير .

## الحروف :

تحدث الجاحظ عن الحروف وذكر ما يشيع منها في بعض اللغات ، قال : « ولكل لغة حروف تدور في أكثر كلامها كتحور استعمال الروم للسين واستعمال الجرامسة للعين وقال الأسيدي : ليس للروم ضاد ولا للفرس ثاء ولا للسرياني قال<sup>(٨٣)</sup> » . وقال إن أكثر الحروف دورانا في اللغة العربية الراء والياء واللام والألف ، ولذلك كانوا يتعجبون من أصل بن عطاء لتجنبه الراء في كلامه . وأنشد أبو محمد اليزيدي :

وخلة اللفظ في الياءات إن<sup>٤</sup> ذكيرت<sup>٥</sup> كخلة التنظ في اللامات والأليف  
وخصلة الراء فيها غير خافية فأعرف<sup>٦</sup> موافقها في القول والصحف  
قال الجاحظ : « رغم أن<sup>٧</sup> هذه الحروف أكثر تردداً من غيرها والحاجة إليها أشد واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من قبلة خطب الناس ورسائلهم فانك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة طمت أن<sup>٨</sup> هذه الحروف الحاجة إليها أشد<sup>(٨٤)</sup> » . وذكر أن الميم والياء أول ما يهيا

(٨٢) الإيضاح ص ٤ .

(٨٣) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٤ - ٦٥ .

(٨٤) البيان ج ١ ص ٢٢ .

في أفواه الأطفال كقولهم « ماما » و « بابا » لأنها خارجتان من عمل اللسان ،  
وأما يظهران بالتقاء الشفتين (٤٧) .

وتحدث عن اقتران الحروف ، وهو ما يتصل بفصاحة اللفظة المفردة وقالت :  
« فأما في اقتران الحروف فإن الجيم لا تقارن الطاء ولا القاف ولا الطاء ولا  
العين بتقديم ولا تأخير ، والزاي لا تقارن الطاء ولا السين ولا الضاد ولا الدال  
بتقديم ولا تأخير . وهذا باب كبير وقد يتكفى بذكر القليل حتى يستدل به  
على الغاية التي إليها يجري » (٤٨) . وهذه التناقة ذكية ؛ لأن اللغة العربية ذوقاً  
خاصاً في اقتران الحروف ، ولذلك لا نجد ما أشار إليه الجاحظ إلا في الألفاظ  
المنخلة . وبهذه القاعدة يستطيع الباحث أن يعرف أصل النظم العربي  
من دخيله .

#### الإلفاظ :

تتكون اللفظة من حروف ، واللفظة المفردة موقع في الجملة فإذا وضعت  
وضعا حسنا كانت جملة موحية وإذا وقعت في غير موقعها ثبتت " وألكرتها  
الأذوان وقد تكلم الجاحظ على تناقض الألفاظ وقال : « ومن ألفاظ العرب  
اللفاظ تتناقض وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطيع المتشد اتسادهما إلا  
بعض الاستكراء فمن ذلك قول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قصر      وليس قرب قبر حرب قبئر

ولما رأى من لا علم له أن أحداً لا يستطيع أن يتشدها هذا البيت ثلاث  
مرات في نسق واحد فلا يتتبع ولا يتجلى وقيل لهم إن ذلك إنما اعتراه إذ  
كان من أشعار الجن صدقوا ذلك . ومن ذلك قول ابن يسير :

لم يضرها والحمد لله شيء      واثنت نحو عتراف نفس ذاهول

(٤٦) البيان ج ١ ص ٦٢ .

(٤٧) البيان ج ١ ص ٦٩ .

تتقدم النصف الأخير من هذا البيت فالك ستجد بعض العاطف يتراء  
من بعض (١٨٧) . ولذلك ينبغي أن تكون الاقناظ متشابهة متشابهة لكسي لا يتبع  
بينها التناثر فتصبح كأولاد عائلة (١٨٨) ، قال الجاحظ : « وأشدني أبو العاصي  
قال أشدني خلف الأحمر في هذا المعنى :

وبعض قرطى التوم أولاد<sup>١</sup> علة يكده لسان الناظر المتحفظ

وقال أبو العاصي : وأشدني في ذلك أبو البيداء :

وشعر كبر الكبش قرطى<sup>٢</sup> بينه لسان<sup>٣</sup> دعي<sup>٤</sup> قسي<sup>٥</sup> الفريض<sup>٦</sup> دجيل

فانه يقول : إذا كان الشعر مستكراً ، وكانت العاطف البيت من الشعر لا يقع  
بعضها مماثلاً لبعض كان بينها من التناثر ما بين أولاد العائلات . وإذا كانت  
الكلمة ليس موقعاً الى جانب أختها مرضياً موافقاً ، كان على اللسان عند إيراد  
ذلك الشعر مؤونة قال : وأجود الشعر ما وأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ،  
فتعلم بذلك انه قد انزعج انراغا واحداً ، وسبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان  
كما يجري الدهان . وأما قوله : « كبر الكبش » فالما ذهب الى أن بحر الكبش  
يقع متزقاً غير مؤلف ولا متجاور ، وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من  
الشعر تراها متفقة لساناً ولينة المعانف سهلة ، وترها مختلفة متباينة ومتناثرة  
مستكرهة تنشق على اللسان وتكده ، والأخرى تراها سهلة لينة ورطبة مواتية  
سائبة النظم خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسرة كلمة واحدة وحتى  
كأن الكلمة بأسرها حرف واحد (١٩٠) .

(١٨٨) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٥ - ٦٦ ، وينظر الحيوان ج ٦ ص ٢٠٧ .

(١٨٩) أولاد علة : بنو رجل واحد من أمهات شتى .

(١٩٠) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٦ .

ومن أمثلة الكلام الذي لا تباين الفاظه ولا تنافر أجزأؤه قول  
الأجرد التقني :

مَنْ كَانَ ذَا عَضُدٍ بِمَرْكٍ فَلَمَاتِ      إِنَّ الدَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضُدٌ  
تَبَسُّ بِدَاهٍ إِذَا مَا قَلَّ نَاصِرُهُ      وَبَاقِ الضَّمِيمِ إِنْ أَسْرَى لَهُ تَكْدَرُهُ  
وقول أبي حنيفة النميري :

رَمَيْتِي وَسَيْثُرٌ أَكْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا      عَشِيَّةَ آرَامِ النَّكَاسِ وَمِيمٌ  
وَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لِحَدَاتِ بَيْتِهَا      ضَمِنْتَ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يَمِيمٌ  
الْأَرَبُ يَوْمَ لَوْرَمَيْتِي وَمَيْتِهَا      وَلَكِنْ عَيْدِي بِالضَّمَالِ قَدِيمٌ

الغريبة :

قال الجاحظ إن اللفظ كما لا ينبغي أن يكون عامياً وساقطاً سوقياً  
فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً إلا أن يكون المتكلم بدوياً أمريبياً ،  
فإن الوحشي من الكلام ينهيه الوحشي من الناس كما ينهيه الوحشي رطاة  
السوفي<sup>(١٩١)</sup> ، فالنصاحة لا تتفق مع الغريب لأنه يفضي عليها ويحيل الكلام  
الغافراً ويجعله بعيداً عن الفهم والأدراك ، والمغربون هم مدخولون في عقولهم  
إذا كانوا من غير الأعراب ، فأبو عاقبة التحري مرّ ببعض طرق البصرة وهاجت  
به ميرة<sup>(١٩٢)</sup> فوثب عليه قوم فأقبلوا يعضون إبهامه ويؤذنون في أذنه فأقلت منهم  
وقال : « ما لكم تتكاثرون عليّ ؟ » كما تتكاثرون عليّ ذي جثقة<sup>(١٩٣)</sup> ، ثم تعولاني<sup>(١٩٤)</sup> .  
وقال الجاحظ بعد أن ذكر بعض الغريب : « فإن كانوا ربوا الكلام لأنه يدل  
على فصاحة فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة ، وإن كانوا إنسا ذو موه  
في الكتب وتفاكروه في المجالس لأنه غريب فأليات من شعر المعجاج وشعر  
الفرماح وأشعار هذيل تأتي لهم مع حسن الرصف على أكثر من ذلك<sup>(١٩٥)</sup> ، ولذلك

(١٩١) البيان ج ١ ص ١٤٤ .

(١٩٢) البيان ج ١ ص ٢٧٦ .

(١٩٣) البيان ج ١ ص ٢٧٨ .

كانت الاستعانة بالغريب مجزأ ، وكانت دليلاً على أن المتكلم أو الكاتب لا يعرف أهمية الألفاظ وقصاحتها وإيجازها وصلة ما بينها وبين المعاني التي ينبغي أن تكون الألفاظ مطابقة لها ، أو هي كما نقل الجاحظ عن صحيفة بشر بن المعتز : « ومن أراغ معنى كريماً فليتنس له لفظاً كريماً ، فإنه حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهبا أن تصونهما عما يسدهما ويجهنهما وعما تعود من أجله أن تكون أسوأ حالاً منك قبل أن تلتبس إظهارهما وترتهن قصك بملازمتها وقضاء حقهما » (٢٤٤) .

إن جمال الألفاظ وحسنها وصلتها بالمعاني مهمة في الكلام البليغ ، والمعرفة فتتدها ذلك الحسن والجمال ، وقد نقل الجاحظ عن بعض الروائيين الراسخين في العلم ما نقله الألفاظ وحلاوة مخرج الكلام ، فإن المعنى إذا اكتسى لفظاً حسناً وأعاره البليغ مخرجاً سهلاً ومنعه المتكلم دالماً متعشقا صار في قلبك أحلى وأصدرك أملاً . والمعاني إذا كسيت الألفاظ الكريمة واكسبت الأوصاف الرفيعة تحولت في العيون عن مقادير صورها وأريت على حقائق أقدارها بقدر ما زينت وحسب ما زخرقت . فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض وصارت المعاني في معنى الجوارح ، والقلب ضعيف ، وساطان الهوى قوي ومدخل خدع الشيطان خصي » (٢٤٥) . فاللفظ الحسن عند الجاحظ هو ما لم يكن غريباً بل كان كريماً في نفسه ، قال : « وتسى كان اللفظ أيضاً كريماً في نفسه متحيزاً من جنسه وكان سليماً من الفضول وورثاً من التقيد حيب إلى الضموس واصل بالأذهان والتحم بالمقول وهشتت إليه الأسباع وارتاحت له القلوب وخف على آسن الرواة وشاع في الأفاق ذكره وعظم في الناس خطره ، وصار ذلك مادة للعالم ورياضة للمتعلم الرئس » (٢٤٦) . ولذلك تشبع بعض الألفاظ واستغناها الناس ، لآلها فصيحة جميلة أو لآلها توحى

(٢٤) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٦ .

(٢٥) البيان ج ١ ص ٢٥٤ .

(٢٦) البيان ج ٢ ص ٨ .

بقرنتها وما يتصل بها من الألفاظ وما تعطيه من معانٍ ، قال الجاحظ : « وقد يستخف الناس ألقافاً ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر . والناس لا يذكرون السبب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر المطر لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام ، والعامّة وأكثر الخاصّة لا يفتعلون بين ذكر المطر وبين ذكر الفيث . ولفظ القرآن الذي عليه نزل انه اذا ذكر الأيصار لم يقل الأساع ، واذا ذكر سبع مساوات لم يقل : الأرضين الأثراء لا يجمع الأرض ارضين ولا السبع أسباعاً ، والجارى على أقواء العامة<sup>(١٧٧)</sup> غير ذلك ، لا يفتقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال . وقد زعم بعض القراء انه لم يجد ذكر لفظة السكاح في القرآن إلا في موضع التزويج . والعامّة ربما استخفت أقلّ للثنتين وأضعفها ، وتستعمل ما هو أقلّ استعمالاً وتندع ما هو أكثر وأكثراً<sup>(١٧٨)</sup> . ومعنى ذلك أن للألفاظ إيهاماً خاصاً حينما تأتي في الكلام أو حينما تقرن بغيرها ولذلك تشيع كلمات وتهمل غيرها أو تتجنب لما فيها من إيهام غير جميل . وما يتصل بهذه المسألة ما ذكره الجاحظ من تبيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - الى اجتناب اضافة المؤمن الطاهر الى صفة الخبيث والفساد بوجه من الوجوه ، فقد روي عنه - عليه السلام - انه قال : « لا يقول أحدكم خبيث نفسي ولكن ليقل نفسي<sup>(١٧٩)</sup> » . وذكر الجاحظ في باب « ما يكره من الكلام »<sup>(١٨٠)</sup>

(١٧٧) قال الجاحظ في البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٧ : « واذا سمعتوني الذكر العوام فاني لست اعني الفلاحين والحشوة والمصانع والباعة ولست اعني أيضا الأكراد في الجبال وسكان الجزائر في البحار ، ولست اعني من الأمم مثل البير والفيلسبان ومثل موقسان وجبلان ومثل الزنج وأشباه الزنج ... واما العوام من اهل ملتنا ودعوتنا وملتنا وأوبسنا واخلاقنا فالطبقة التي عقولها واخلاقها فوق تلك الأمم ولم يلبسوا منزلة الخاصّة منها » .

(١٧٨) البيان ج ١ ص ٢٠ . (١٧٩) الحيوان ج ١ ص ٢٢٥ .

(١٨٠) ينظر الحيوان ج ١ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

كثيراً من الألفاظ التي يكره استعمالها في غير مواضعها ، ومن ذلك قول القائل : « استأثر الله فلان » والصحيح أن يقال : « مات فلان » . ويروى في « استأثر » : « استأثر الله بعلوم النبي » ، واستأثر الله بكنا وكذا » . وكانوا يكرهون أن يقال : « قراءة عباده » أو « قراءة سالم » أو « قراءة أبي » أو « قراءة زيد » ويكرهون أن يقال : « ستأبي بكر وعمر » . وكره ابن عمر - رضي الله عنهما - قول القائل : « أسلمت لي كذا وكذا » وقال : « ليس الإسلام إلا لله - عز وجل - » . وكره ابن عباس - رضي الله عنهما - قول القائل : « الناس قد انصرفوا » يريد من الصلاة ، قال : « بل قولوا : قد قضاوا الصلاة » ، وقد فرغوا من الصلاة ، وقد صلوا ، لقوله : « ثم انصرفوا صرغاً » .<sup>(١٠١)</sup> .

وهذه الأمثلة التي ذكرها الجاحظ تدل على أن للانسان اتجاه خاصاً واستعمالاً تعدده اللغة وأساليب التعبير ، وأن لها سحراً يؤثر في النفوس كما تقدم من كلام بعض الرباعين من الأديباء وأهل المعرفة من البلغاء ، وكما جاء عن عمر بن الخطاب حينما حبس الأحنف بن قيس حولاً تاماً وقال : « إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد كان خروفاً كل مذاق عليهم وخصت أن تكون منهم » وذلك لما كان راعه من حسن منطقته ومال إليه لما رأى من رفقته وقلة تكلفه<sup>(١٠٢)</sup> . وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن من البيان لسحراً » ، وقال عمر بن عبدالعزيز لرجل أحسن في طلب حاجة وتأنى لها بكلامٍ وجيزٍ ومنطقٍ حسنٍ : « هذا - والله - السحر الحلال » .

ومن طرف ما تحدث عنه الجاحظ سلطان الحظ على الألفاظ ، قال : « وكما تحظى بعض الأسماء وبعض الأمثال وبعض الألفاظ دون غيرها ودون ما يجري مجراها أو يكون أرفع منها »<sup>(١٠٣)</sup> ولذلك تشيع ألفاظ بعضها وتتداولها

(١٠١) سورة التوبة ، الآية ١٢٧ ، وهي : « وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون » .

(١٠٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٥٤ . (١٠٣) الحيوان ج ٢ ص ١٠٢ .



الأدباء أكثر من غيرها ، وقد يكون وراء ذلك سبب من الأسباب كخفتها أو دلالتها على المعاني الجديدة أو صلتها بالحضارة التي جاب ما أشرف إليه الجاحظ وهو الحظ الذي يرافق الإنسان .

### التعقيد :

من شروط الكلام النصح أن يكون بعيداً عن التعقيد ، وقد قل الجاحظ عن بشر بن المعتز قوله: «إياك والتورم فإن التورم يسلك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستولك معانيك ويشين ألتانك»<sup>(١٠١)</sup> ، وصارت هذه العبارة قاعدة سار عليها البلاغيون في فصاحة الكلام . ولم يشرح الجاحظ التعقيد أو يذكر له أمثلة كما فعل في كثير من المسائل المتصلة بالألفاظ ، وقد يرجع ذلك إلى أن الشعر لا يزال في صفائه ورويق أساويه ولم تدخل فيه التعمية التي أخذت تظهر بعد ذلك في الكلام .

### الدلالة :

للمعاني ألفاظ تحمل أياها ، ولكن تلك الألفاظ لا تبقى محتفظة بمعانيها الأولى بل تنتقل إلى غيرها وتكتسب صوراً جديدة لم تكن معروفة من قبل . وقد أدرك الجاحظ ذلك وعرف أن اللغة تتطور بتقدم الحياة ، وأن اللغة التي يتحدث بها أهل زمان قد تختلف عما يتحدث به أهل زمان سابق أو لاحق . وكان للمعاني الجديدة أسر في هذا التطور ، فقد تشبث عن الأصمعي قوله : « كان للعرب كلام على معان فإنا ابتدأت تلك المعاني لم يتكلم بذلك الكلام»<sup>(١٠٢)</sup> . ومن ذلك قوله الناس : «ساق إليها صداقتها» ، وإنما كان هذا يقال حين كان الصداق إبلاً وغنماً . وقال الجاحظ تعليقا على ذلك : « وفي قياس

(١٠١) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٦ .

(١٠٢) البخلاء ص ٢١٤ .

الأسمي أن أصحاب التتر الذين كان التتر ديانتهم ومهورهم كانوا لا يقولون : « ساق فلان صداقة » . قال : ومن ذلك قول الناس اليوم : « قد بنى فلان البارحة على أهله » وإنما كان هذا القول لمن كان يضرب على أهله في تلك الليلة فيه وخيته وذلك هو بناؤه . \*

وكان لنزول القرآن الكريم أثر كبير في تطور الدلالة ، فقد تركت ألفاظ كانت مستعملة في الجاهلية ومن ذلك تسميتهم للضرايح « أناة » وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان « الحلان والمكس » . كما تركوا « أعم صباحا » و « أعم غلاما » وصاروا يقولون : « كيف أصبحتم ؟ » و « كيف أصبحتم ؟ » وتركوا أن يقال للملك أو السيد المطاع : « أيت اللعن » وترك العبد أن يقول لسيده : « وبني » كما يقال : « رب النار » و « رب البيت » . وتركوا أن يقولوا لقوام الملوك : « السدة » وقالوا : « العجبة » ، وتركوا « غلاما » و « المرباع » و « النسيطة » وبقي « الصفايا »<sup>(١٧٦)</sup> . واستحدثت أسماء لم تكن ، وقد اشتقت من أسماء متقدمة على التشبيه من ذلك قولهم لمن أدرك الجاهلية والاسلام « مخضرم » ، ومن ذلك اسم « مناق » لمن راعى بالاسلام واستسرى بالكفر و « المشرك » و « الكافر » و « العاسق » و « التيشم » و « القرآن » و « الفرقان »<sup>(١٧٧)</sup> . ومن ذلك قولهم في الاسلام لمن لم يحج « صرورة » ولم يكن ذلك معناها في الجاهلية ، فالصرورة عندهم « كان أرفع الناس في مراتب العبادة ، وهو اليوم اسم للذي لم يحج أما لعجز وإما لتضييع وأما لا تكثار ، فهما مختلفان كما ترى »<sup>(١٧٨)</sup> .

١١٧٦ المرباع : ربع جميع الفريضة الذي كان خالصا للرئيس وصار في الاسلام الخمس . النسيطة : كان للرئيس أن ينشط عند قسمة المناع العلق النفس براه إذا استحلها ، وبقي الصقي ، وكان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كل منضم ، وهو كالسيف اللهدم والفرس العتيق والسدرج الحصينة والشية النادر ( ينظر المعبود ج ١ ص ٢٢٧ ) .

١١٧٧ المعبود ج ١ ص ٢٢٠ .

١١٧٨ المعبود ج ١ ص ٢٤٧ .

لقد نزل القرآن الكريم بالفاظ ذات دلالات جديدة ، وليس ذلك نريباً  
فقد تغيرت كثير من قيم العرب وجاءت قيم جديدة ، وكان لابد من التعبير عن  
هذه القيم والمعاني . وكان نزول القرآن أكبر دافع الى تطور اللغة وقد قال  
الجاحظ وهو يتحدث عن الفاظ كتاب الله : « فاذا كانت العرب يشتقون كلاماً  
من كلامهم وأسماء من أسماهم ، واللغة عارية في أيديهم ممن خلقهم ومكنهم  
وألهمهم وعلمهم ، وكان ذلك منهم صواباً عند جميع الناس فالذي أظهرهم هذه  
النعمة أحق بالاشتقاق وأوجب طاعة . وكما انه له أن يشتد ، الاسماء فكذلك  
له أن يتبدلها مما أحب ، قد سئى كتابه المنزل « قرآناً » وهذا الاسم لم يكن  
قد كان <sup>(١٠٩)</sup> . وقال : « واذا كان للنايعة أن يشتد ، الاسماء على الاشتقاق  
من أصل اللغة كقولها :

إلا الأوارى لا بأ ما أيئها      والثرى كالحوض بالظلومة الجدر

وحتى اجتمعت العرب على تصويبه وعلى اتباع أثره وعلى أنها لغة عربية ،  
فأله الذي له أصل اللغة أحق بذلك <sup>(١١٠)</sup> وأصبحت كلمات كثيرة مصطلحات  
جديدة اقتضتها نهضة العرب العلمية ، ومن ذلك مصطلحات التكتلين  
والعروضيين والنحاة قال الجاحظ عن التكتلين : « وهم تغيروا تلك الألفاظ  
لتلك المعاني وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الاسماء ؛ وهم اصطلموا على  
تسمية ما لم يكن في لغة العرب اسم فصاروا لي ذلك سلفاً لكل خلف وقدوة  
لكل تابع ، ولذلك قالوا : العرضى والجوهري وأيسى وليس ، وفرقوا بين البطلان  
والتلاشي وذكروا الهديفة والهوية والماهيمة <sup>(١١١)</sup> وأشبهاء ذلك » . وقال عن  
العروضيين : « وكما وضع الخليل بن اسد لأوزان القصيد وقصار الأرجاز  
ألقاباً لم تكن العرب تتعارف تلك الأعارض بتلك الألقاب وتلك الأوزان بتلك  
الاسماء ، كما ذكر الطويل واليسيط والمديد والرافر والكامل وأشبهاء ذلك ،

(١٠٩) الحيوان ج ١ ص ٢١٨ .

(١١٠) الحيوان ج ٥ ص ٢٨٠ .

(١١١) نسبة الى : هذا ، هو ، ما هو .

وكما ذكر الأوتاد والأسباب والخرم والزخاف ، وقد ذكرت العرب في أشعارها السناد والاقواء والاكفاء ولم أسح بالإطباء ، وقالوا في الصيد والرجز والنسج والتخطب وذكروا حروف الروي والنوافي وقالوا : هنا بيت وهنا مصراع ، وقال عن النحاة : « وكما سمى التحويين فذكروا الحال والظروف وما أشبه ذلك لأنهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القروين وأبناء اليلدين علم العروض والنحو ، وكذلك أصحاب الحساب قد اجتنبوا أسماء جعلوها علامات للتفاهم » (١١٢)

لقد أدرك الجاحظ بسعة علمه وصدق حبه أن الالتقاط تنتقل من معنى إلى آخر ، وأن المعاني الجديدة تغير كثيراً من دلالة الالتقاط ، ولو نظر الباحث إلى معاني هذه الكلمات ولغيرها لوجدتها تختلف اختلافاً واضحاً عما كانت عليه قبل أن تكون مصطلحات دينية أو كلامية أو عروضية أو نحوية أو علمية . وهذه نظرة عيبية في فهم اللغة وما يطرأ عليها من تحوّل يقتضيه تطور الحياة ، ولو استعمل المتكلم أو الكاتب هذه الالتقاط بمعانيها القديمة لخرج عن التصاغة وصار كلامه غير فصيح لأنه لا يفهم منه المعنى الجديد أو ما تعارف عليه الناس في زمانه . وهذا أمر طبيعي بعد أن اتصل العرب بالأقوام المختلفة وامتزجت المجتمعات العربية والإسلامية . وقد حصل شيء من ذلك قبل عتقوا بالفاظ من أنطاليسم ولذلك يسمون البيطسخ : « الخير بيز » ويسمون السميظ : « الرزق » ويسمون الموصي : « المزور » ويسمون الشطرنج : « الأشرنج » في غير ذلك من الأسماء ، وكذلك أهل الكوفة فاتهم يسمون المسعنة : « بال » « وبال » بالفارسية (١١٣) . ولكن اللغة العربية استطاعت

(١١٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٩ - ١٤٠ .

(١١٣) البيان والتبيين ج ١ ص ١٩ .

أن تجري كثيراً من الالفاظ الأجنبية مجرى العربية ، وهذا من خصائص اللغات الحية .

وانت الجاحظ الى أن الالفاظ بحسب طبقات الناس ، ولذلك ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها ويجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً . وعرف ان لكل طبقة من الناس ألفاظاً تديرها في كلامها ، فالكتاب يكتبون من الالفاظ الجميلة الموحية التي لا تولد في الغرابة ولا تستقط في الابتغال ، وهم كما قال عنهم : « أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب فانهم قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعراً وحضياً ولا ساقطاً سوقياً » (١١٦) . والمتكلمون يكتبون من الالفاظ البدالة على الجوهر والعرض والكون والفساد والتلاشي والليسية والأيسية ، قال الجاحظ : « فإن رأيت في هذا الضرب من هذا اللفظ أن أكون مادمت في المعاني التي هي عبارتها ، والعادة فيها أن اللفظ بالشئ العتيق الموجود وأدع التكلف لما عسى أن لا يسلس ولا يسول إلا بعد الرضا بالطريقة . وأرى أن اللفظ بالفاظ المتكلمين مادمت خائفاً في صناعة الكلام مع خراس أهل الكلام ، فإن ذلك أقوم لهم عني وأخف لأقوتهم عليّ » . ولكل صناعة اللفظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها فلم تازق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مشاكلاً بينها وبين تلك الصناعة . وقبح بالتكلم أن ينتقل الى اللفظ المتكلمين في خطبة أو رسالة أو في مخاطبة العوام والتجار ، أو في مخاطبة أهله وعبيده وأمهه أو في حديث إذا تحدث أو خبره إذا أخبر . وكذلك فإن من الخطأ أن يجاب اللفظ الاغراب واللفظ العاروم وهو في صناعة الكلام داخل ، ولكل مقام مقال ولكل صناعة شكل » (١١٧) . ولكن قد تحسن بعض اللفظ المتكلمين على وجه التظرف والتساجح كما جاء في شعر أبي نواس وغيره من طرفاء ذلك الزمان .

وانتبه الجاحظ الى ما يستعمله الأديب في كلامه من اللفظ يديرها ويكثر منها ، وهو ما يسمى « لغة الكتاب » أو « لغة الشاعر » ، قال : « ولكل قوم

(١١٦) الحيوان ج ٢ ص ٣٦٨ .

(١١٧) البيان ج ١ ص ١٣٧ .

الفاظ حظيت عندهم وكذلك كل بليغ في الارض وصاحب كلام مشهور ، وكل شاعر في الارض وصاحب كلام موزون ، فلا بد من أن يكون قد لهج وآلف ألسنا بأبياتها يدورها في كلامه وان كان واسع العلم ، غزير المعاني ، كثير اللفظ (١١٧) .

### المعاني :

وربط بين الالفاظ والمعاني فقال إن اللفظ من دلالات المعاني وهو الذي يصورها في النفوس وينقلها الى الآخرين (١١٨) . وقرن اللفظ بالمعنى فقال : « ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعاني نوع من الاسماء ، فالسخيف للسخيف ، والخفيف للخفيف ، والجزل للجزل ، والاقصاح في موضع الاقصاح ، والكناية في موضع الكناية ، والاسترسال في موضع الاسترسال . واذا كان موضع الحديث على أنه مضحك ومله ، ودخل في باب المزاح والطيب فاستعملت فيه الاعراب انقلب عن جيته وان كان في لفظ سخف وابدلت السخافة بالجزالة صار الحديث الذي وضع على أن يسر النفوس يكرها ويأخذ بالكلامها » (١١٩) . وقال : وانما الالفاظ على أقدار المعاني فكثيرها لكثيرها ، وقليلها لقليلها ، وشرضا لشرها ، وسخيفا لسخيفا ، والمعاني المتردة اليانة بصورها وجهاتها تحتاج من الالفاظ الى أقل ما تحتاج اليه المعاني المشتركة والجهات الملتبسة (١٢٠) .

لقد اهتم الجاحظ بالالفاظ اهتماما عظيماً وأولاهها عناية كبيرة ودفعه ذلك الى أن يقول : « والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجبي والعربي ، والبدوي والقروي ، والمدني ، وانما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فانما الشعر صناعة وضرب من النسيج وحسن من التصوير » (١٢١) . وغلن بعض الباحثين انه يسيل الى اللفظ كل الميل وانه لا يرى للمعنى كبير أهمية ، ولعل موقفه من أبي

(١١٦) الحيوان ج ٢ ص ٣٦٦ . (١١٧) البيان والتبيين ج ١ ص ٧٤ .

(١١٨) الحيوان ج ٢ ص ٣٩ . ويتظر البيان ج ١ ص ١٤٥ .

(١١٩) الحيوان ج ٦ ص ٨ . (١٢٠) الحيوان ج ٣ ص ١٢١ - ١٢٢ .

عرو الشيباني يشر به من أنصار اللفظ ، فقد أعجب الشيباني بقول القائل :

لا تحسن الموت موت البلى قانما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن فا أنفع من ذلك لذل السؤال

قال الجاحظ : « وأنا رأيت أبا عمرو الشيباني وقد بلغ من استجاده لهذين البيتين ونحن في المسجد يوم الجمعة أن كلف رجلاً حتى أحضره دواة وقرطاساً حتى كتبهما له . وأنا أزعج أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً ولولا أن أدخل في الحكم بعض التثك لزعجت أن ابنه لا يقول شعراً أبداً » (١٢٦) . والواقع أن الجاحظ عني باللفظ وأعطاه نصيبه من الاهتمام وشغل بالمعنى والتصوير الذي قال عنه : « فأنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير » . وكلامه في كنهه يؤكد أنه لم يصل المعنى لأن « مدار الأمر على فهم المعاني لا اللفاظ ، والحقائق لا العبارات » (١٢٧) وأن حكم المعاني « خلاف حكم الالفاظ ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية ومستندة إلى غير نهاية ، وأسما المعاني متصورة معدودة ومحصلة محدودة » (١٢٨) . وقال : « فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراء ومنزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف صنع في القلوب صنع الفيت في التربة الكريمة » (١٢٩) . وقال وهو يتكلم على تمامة بن أشروس : « وما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي كان بلغ من حسن الافهام مع قلة عدد الحروف ، وله من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه ، وكان لفظه في وزن وإشارته ومعناه في طبقة لفظه ، ولم يكن لفظه إلى سمعك بأسرع من معناه إلى قلبك » (١٣٠) . وقال : « ومتى شاكل - أيك الله - ذلك

(١٢٦) الحيوان ج ٢ ص ١٢١ .

(١٢٧) الحيوان ج ٥ ص ٥٤٦ .

(١٢٨) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٦ .

(١٢٩) البيان ج ١ ص ٨٢ .

(١٣٠) البيان والتبيين ج ١ ص ١١١ .

اللفظ معناه وأعرب عن قهواء ، وكان لتلك الحال وقتنا ولذلك القدر ليفتقا ،  
وخرج من ساجدة الاستكراء ، وسلم من فساد التكلف كان قدينا بحسن  
الموقع وبانتفاع المستمع (١٣٦) .

هذه الأقوال الكثيرة تدل دلالة واضحة على أن الجاحظ لم يبدل المعنى  
وكيف يبدله وهو جوهر الكلام ؟ وكيف يبدل عنه وهو المعتزلي الذي يعتمد في  
الافتقار على الفكرة والمعنى قبل اعتمادهما على الالفاظ ؟ وكيف يبدله وهو لم  
يترق بين النصاحه التي أصبحت وصفا للالفاظ والبلاغة التي صارت وصفا  
للمعاني قبل الالفاظ ؟ لقد كانت التفتتان عنده بمعنى واحد وكان كثيراً ما  
يجمع بينهما ، قال في تعريف البلاغة : « وقال بعضهم - وهو من أحسن ما  
اجتنياه ودرواه - لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه  
لفظه ، ولنظفه معناه ، فلا يكون لفظه الى سببك أسبق من معناه الى  
تلك » (١٣٧) . وإن المعاني والالفاظ تتحد لتخرج صورة تنتقل الى القراء  
والسامعين ، ومحال أن يكون اللفظ وحده ، مؤدياً الهدف أو المعنى وحده  
محققاً الغاية ، ولكن الجاحظ رأى - الى جانب اهتمامه بالمعنى - أن الصياغة  
مهمة في التعبير ، ولذلك كان من أصحاب الأساليب التي تعرض الفكرة عرضاً  
واضحاً وتعبير عنها تعبيراً دقيقاً ، أو هو من أنصار النظم ، وقد فسّر اعجاز  
القرآن الكريم به وألف كتاباً هو « نظم القرآن » وكان لهذا الاتجاه أثر في  
الدراسات البلاغية حينما أقام عبدالقاهر الجرجاني اعجاز القرآن على النظم .

#### الأسر :

كان لجهود الجاحظ في الفصاحة أثر كبير في الدراسات البلاغية والتقدية،  
وقد أخذ النارسون يستقون منه مادة بحثهم ويحاولون أن يفسحوا شروطاً  
لفصاحة اللفظة المفردة والالفاظ المؤنسة . وبدأت نظرية « الفصاحة » تأخذ

(١٣٧) البيان ج ١ ص ١١٤ .

(١٣٦) البيان ج ٢ ص ٧ .



صورة علمية بعد أن كانت عامة المعنى واسعة الدلالة ، وأخذت تنفصل عن البلاغة التي اقتصرت بها في بداية التأليف . والبحث في أثر الجاحظ متسع الجواب ؛ لأنه لم يتحرك أدبياً أو مؤلفاً من غير أن يؤثر فيه ، وكان كتابه « البيان والتبيين » أحد الكتب الأربعة التي عدت من أصول الأدب وأركانها ، قال ابن خلدون : « وسعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانها أربعة دواوين وهي : أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب السوادق لأبي علي القالي البغدادي ، وما سوى هذه الأربعة قسَّبَع لها وفروع » عنها « (١٢٨) . وسيكون الوقوف على أهم البلاغيين والنقاد ولعل أول من نقل كلام الجاحظ وأمثله في فصاحة الكلام أبو الحسن علي بن عيسى الرمالي ( - ٣٨٦هـ ) فقد وقف عند كلام الجاحظ من غير أن يذكره وذكر البيت المشهور : « وقيرحرب ٠٠٠ » مثلاً<sup>١</sup> للمتأخر وأبيات أبي حية السري : « رميتي وسرت الله » مثلاً للتلازم (١٢٩) . وكان أبو هلال العسكري ( - ٤٣٥هـ ) أكثر تأثراً به فقد نقل كثيراً من أقوال القدماء عنه ورتبها ترتيباً دقيقاً لأن كتاب « البيان والتبيين » لم يُعشَرُ بالمنهج النقيض . قال أبو هلال : « وهو لعربي كثير الفوائد جم المنافع لما اشتمل عليه من الأصول الشريفة والفقر الطيِّنة والخطب الرائجة والأخبار البارعة ، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء وما تبه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة ونوعته المستحسنة ، إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تصانيفه ومنتشرة في أمثاله فهي ضالة بين الأمثلة ولا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصنع الكثير » (١٣٠) . ودفعه هذا التقدير إلى أن يرتب موضوعات البلاغة ترتيباً دقيقاً ويقسم فتونها تقسيماً طريفاً ، وكانت الفصاحة من الموضوعات التي عالت اهتمامه وصدَّ أبو

(١٢٨) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

(١٢٩) اللكت في أمجاد القرآن ص ٨٧ - ٨٩ .

(١٣٠) كتاب الصناعتين ص ٥ .

: هلال من أوائل الذين ميزوا بينها وبين البلاغة ، قال : « وقال بعض علماءنا :  
 : الفصاحة تمام آلة البيان ، فهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى - فصيحاً إذ كانت  
 : الفصاحة تتضمن معنى الآلة ، ولا يجوز على الله - تعالى - الوصف بالآلة ،  
 : ويرصف كلامه بالفصاحة لما يتضمن من تمام البيان . والدليل على ذلك أن  
 : الإلتع والتنام لأسميان فصيحين لتقصان آلتها عن إقامة الحروف . وقيل :  
 : « زاد الأعمى » لتقصان آلة تطلق عن إقامة الحروف وكان يمر عن الحار  
 : بالهار ، فهو أعمى وشعره فصيح لتنام بيانه . فعلى هذا تكون الفصاحة  
 : والبلاغة مختلفتين ، وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على  
 : اللفظ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة إنما هي الهاء المعنى إلى  
 : القلب فكانها مقصورة على المعنى . ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ  
 : والبلاغة تتناول المعنى أن البيهقي يسمى فصيحاً ولا يسمى بليغاً ، إذ هو مقيم  
 : الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه . وقد يجوز مع هذا أن يسمى  
 : الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك غير  
 : مستكبر قبح ولا متكلف وخم ولا يمنعه من أحد الأسمين شيء لما فيه من  
 : إيضاح المعنى وتقوم الحروف » (١٣٩) . وكان ذلك إبانة عن موضوع الفصاحة  
 : والبلاغة ، أما التصل الثاني من الباب الأول فقد كان في الإبانة عن حدّ البلاغة  
 : ولا يضح أثر الجاحظ في هذين الفصلين ، ولكن الفصل الثالث من الباب  
 : نفسه كان عرضاً لكثير من الأقوال والآراء التي ذكرها الجاحظ في « البيان  
 : والتبيين » وهذا يدل على أنه فتح طرق البحث للفقهاء والبلاغيين ووضع أمامهم  
 : المادة الأصلية لآبواب البلاغة وفصولها .

: وعقد ابن سنان الخفاجي ( ٤٦٦ هـ ) في كتابه « سر الفصاحة » فصلاً  
 : شافية تحدث فيها عن صفات الحروف ومخارجها وفصاحة اللفظة المفردة  
 : والألفاظ المؤلفة . والفصاحة عنده « الظهور والبيان » (١٤٢) والفرق بينها وبين

(١٣٩) كتاب السنن من ٧ - ٨ .

(١٤٢) سر الفصاحة من ٦ .

البلاغة « ان فصاحة مقصورة على وصف الالتطاف والبلاغة لا تكون إلا وسفا للالتطاف مع المعاني ، لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة وان قيل فيها فصيحة . وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغاً . » وذكر شروط النظة الفصيحة والالتطاف المثرفة وكانت هذه الدراسة من أعصق الدراسات وأكثرها تفصيلاً ، وكانت منطلق الآخرين كفضياء الدين بن الاثير ( ١٠٣٧هـ ) الذي أمال الكلام على الفصاحة وناقض ابن ستان وأخذ بعض كلامه وردّ بعضه (١٣٤) . ودعا الي العناية بالالتطاف واختيار الجليل منها وإطراح الوحشي العكر ، وكان يطرب للفظه العسنة وتلذذ له ، قال : « ومن له أذني بصيرة يعلم أن للالتطاف في الأذن لفة لذيفة كثيفة أوتار وصوتها منكراً كصوت حبار ، وان لها في الفم ايضاً حلاوة كحلاوة العسل ومرارة كمرارة العنظل ، وهي على ذلك تجري مجرى التفتات والطعوم » (١٣٤) .

ولكن هؤلاء لم يتقوا على فصاحة المتكلم كما وقف عليها الجاحظ ؛ لان الفصاحة والبلاغة لا تكون للتكلم إلا على سبيل التوسع ، قال أبو هلال : « ونسبنا المتكلم بأنه بليغ توسع ، وحيثه ان كلامه بليغ كما تقول : فلان رَجُلٌ مُحْكَمٌ ، وتعني أن أعماله محكمة . قال الله تعالى : « حكمة بالغة » (١٣٥) فجعل البلاغة من صفة الحكمة ولم يجعلها من صفة الحكيم ، إلا أن كثرة الاستعمال جعلت تسمية المتكلم بأنه بليغ كالحقيقة » (١٣٥) .

ولكن الخطيب التبريزي ( ١٠٣٩هـ ) قال : إن الفصاحة والبلاغة تقع كل واحدة منها صفة لعنيتي :

(١٣٣) ينظر المثل السائر ج ١ ص ١٤٦ وما بعدها .

(١٣٤) المثل السائر ج ١ ص ١٥٠ .

(١٣٥) سورة القمر ، الآية ٥ وهي : « حكمة بالغة فما غننى النظر » .

(١٣٦) كتاب الصناعتين ص ٤٠ .

الأول : الكلام كما في « قصيدة نصيحة أو بليغة » و « رسالة نصيحة أو بليغة » .

الأخر : المتكلم كما في « شاعر فصيح أو بليغ » و « كاتب فصيح أو بليغ »<sup>(١٣٧)</sup> . ولم يفصل القول في المعنى الثاني ووقف عند تعرضه فقال : « وأما فصاحة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على التعبير عن التصور بلفظ فصيح »<sup>(١٣٨)</sup> . ويضم من شرحه لهذا التعريف ان الفصاحة هي راسخة في المتكلم وأنها تشمل النطق وغيره ، وهو ما أرادَه الجاحظ حينما تحدث عن الخطيب وهيبته وصفاته وأطال الكلام على الاستان واللسان والميوسب التي تعوق عن الفصاحة والنطق السليم .

ويبقى الجاحظ بعد ذلك متردداً في دراسة هذه المسائل وإن بدأت تمتد عن كتب البلاغة ، وكان ما اهتم به وجعله من « البيان » أخذه اللغويون وأداروه في كتبهم عند حديثهم عن الأصوات ومخارج الحروف وما يعترض اللسان من عيوب . ولعل انصراف الناس عن الخطابة واهتمامهم بالكتابة والتأليف جعل البلاغيين والنقاد يشمون بما ينتشرون ويننون بالفكرة لا بظهر المتحدث أو الخطيب وجهاً وصوتها وسلامة نطقها للحروف . ولا يقلل هذا الانصراف من جهود الجاحظ ، فقد كان رائداً في الدرس البلاغي وكانت ملاحظاته وآراؤه معالم في الطريق وصوى اهتدى بها المؤلفون مع أنها توزعت في كتبه وانتشرت في رسائله ، ولم ينكر القدماء فضله كما لم يهمله المعاصرون بل كان من أكثر الذين عالجوا عنابة كبيرة واهتماماً عظيماً في عالم البحث والتأليف .

تلك وقفة عند الفصاحة كما صورتها كتب الجاحظ ، وتلك جهود في مباحثها ، فما قيمة هذه الدراسة وما ضاعفها في هذا العصر ؟ هل نكتفي بعرض التراث وتبيان جهود السابقين أو نتضع بذلك الجهد ونضيف إليه ما يخدم اللغة

١٣٧) الأيضاح ص ٩ .

١٣٨) الأيضاح ص ٩ .

العربية وتطورها لتكون أكثر قدرة على استيعاب العصر ورسم المستقبل ! إن الاهتمام بالتسرات يعني كشفه وتقويته والأخذ بما يفيد ، وقد كانت هذه الدراسة كسفا عن جهود الجاحظ في النصاحة وتبياناً لموقفه في كثير من المسائل التي تخص المتكلم والكلام . وقيل وضع هذه الجهود في صورتها المعاصرة لا بد من تلخيص ما سبق لتوضح الأبعاد وتكشف الأهداف . لقد تحدث الجاحظ عن :

- ١ - الأصوات وتأثيرها في النفوس وقدرة الإنسان على تقليد الأصوات المختلفة ؛ لأن جهاز نطقه قادر على اخراج الأصوات الكثيرة .
  - ٢ - بعض أعضاء النطق كالأسنان واللسان والشفتين وما يعترها من عيوب كالتهم وسقوط الأسنان كلها والثغرة والتمتة والناقاة والنفث والرتة والحبسة والمغلة واللثة .
  - ٣ - العي والحصر وما يصيب المتحدث أو الخطيب أو المجدل حينما يعيا أو يحصر فتذهب روعة كلامه إن كان بليغاً وتسقط هيبة بين الناس .
  - ٤ - الخصائص الصوتية للغة العربية والحروف الكثيرة الدوران فيها وأصواتها .
  - ٥ - اللحن وما يترك في نفس السامع من أثر سيء .
  - ٦ - تناثر اللفاظ .
  - ٧ - العناية والتعقيد .
  - ٨ - دلالة الالفاظ على المعاني وتطورها وأثر الإسلام في تغير المعاني أو وضع اللفاظ ومصطلحات تطلبها النهضة العلمية والحضارة العربية الإسلامية .
- وتوضح أن الجاحظ جال في رحاب واسعة وهذه الرحاب يتكفي بعضها إلى علم اللغة ويرسل بعضها إلى علم البلاغة ، وكلا السيلين مهمان في الدراسات الحديثة . إن معظم ما تحدث عنه يدخل اليوم في علم اللغة ، فالأصوات ومخارج الحروف وعيوب النطق ما تعرض له الدراسات الحديثة

ومعنى به ، بل أن هذه الدراسات طفت على ما عسرف من فقه اللغة والصرف والنحو وغيرها من علوم اللغة عند القدماء ، وفيما ذكر الجاحظ زاد للباحثين ؛ لأن معظم آرائه وما نقله عن الآخرين ثبت أمام البحث العلمي الجديد ، وبذلك يظل الجاحظ حياً وإن بَعُدَ به الزمان ، وليس هنا وحده ما يرفع الناسين وإنما للدراسات التربوية نصيب من ثراث الجاحظ فلا تزال المدارس وستبقى تعنى بنطق الأمتثال وكلامهم وعالجه عيوب سنتهم وتصلح منها وتدفع التصحاء الى التحدث بطلاقة وتشجعهم على الضطابة بانتشار ، وكم في النطق الصحيح والكلام الفصيح من أثر قسي النفوس ، ودراسة الجاحظ للكنتة تكشف عن الحروف التي يقع فيها هذا العيب وتبين لحن الرومي والفارسي والنيطي والزنجي وهي نافعة في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها لأنها تضع أمام المعنيين الحقائق الواضحة وتنبهم الى العناية بكل جنس من هذه الأجناس وتعويد المتعلمين النطق السليم والابتعاد عن الكنتة التي قد تأتي من طبيعة اللغة التي نشأوا عليها ، ودلالة الألفاظ من الدراسات المهمة التي عني بها الجاحظ؛ لأنها تبين نشأة الألفاظ وتطور معانيها وترصد العوامل التي تؤثر فيها ، وكتب « البيان والتبيين » و « الحيوان » و « البخل » معجم غير مصنفه ولو عني لهذه الكتب أن تجرد ألفاظها وتصف لكان العربية معجم تاريخي يصور واقع الفكر العربي والحضارة الإسلامية حتى القرن الثالث للهجرة ويكشف عن النقلة الكبيرة التي شهدتها العصر العباسي الأول ، وقد كان الجاحظ أحد أنطاب هذا العصر الذين تقاطعوا معه .

وتأتي دراسة الجاحظ للحروف وانسائها شاهداً على أصالة اللغة العربية فقد أدرك بحسه اللغوي وثقافته الواسعة ارتباط الحروف في الكلمة الواحدة وما يوحى من فصاحة أو عجمة ، ويعدّ مذكراً أساساً للفرحين الذين جاءوا من بعده كابن جني ( ٣٩٢ هـ ) الذي قال : « أما إهمال ما أهمل ما تحمله قسمة التركيب وبعض الاسول المتصورة أو المستعيلة فأكثره متروك للإستئثار ، وبقيته ملحقة به ومقتاة على أمره ، فمن ذلك ما فرض استعماله

لتقارب حروفه نحو صص ولس ، ولس ولفظ ، ولس ولسش ، وهذا حديث واضح لنفور الحسن عند التشقة على النفس لتكلفه . وكذلك نحو ليج و ليج و ليج و لك ، وكج و بك . وكذلك حروف العلق هي من الائتلاف أبعد لتقارب مغارجها عن معظم الحروف اعني حروف الهمزة (١٣٩) . وكأبي ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي (١٤٠) الذي قال : « الجيت منم و يقال ان الجيت هو حثي بن أخطب ، وهذا ليس من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة من غير حرف ذولتي » (١٤١) . وكانوا يعرفون أصالة الكلمة من حروفها (١٤٢) ، وقد افادهم ذلك في ارجاع الالفاظ الى أصولها ، وشعبهم في التعريب الذي كان من أهم معالم الحضارة العربية بعد ظهور الاسلام . والقاعدة التي وضعها الجاحظ وغيره من اللغويين تنفع في عملية التعريب التي تخوضها الأمة العربية في هذه الأيام لانها تحدد طبيعة اللغة العربية وتضبط حروفها ، وان الأخذ بها يجنب العاملين في حقل التعريب كثيراً من الزلل ويصون اللغة من العجمة والاصوات الغريبة ويقبها من التافسر الذي لا يقبله الأذن ولا يستسيغه الذوق العربي .

أما ما يدخل في الدراسات البلاغية فتسهي كثير ، منه فصاحة اللفظة المفردة والالفاظ المؤلفة وما يتصل بها من وضوح أو غرابة ، ورقة أو خشولة ، وما يرتبط بها من ايحاء جميل أو قبيح ، ومن استحسان أو استهجان . وكل ذلك مهم في الدراسات البلاغية والنقدية الحديثة لانها تشل اللغة العربية وخصائصها وتصور حياتها المتطورة . وليس هنا وحده ما قدمه الجاحظ فهناك مصطلحات علم اللغة والفصاحة وما يتصل بها ، وقد كانت هذه

(١٣٩) الخصال ج ١ ص ٤١ .  
 (١٤٠) اختلف في وفاته فمن قال انه مات سنة ٢٦٨ هـ ، ومن قال انه مات قبل ذلك بكثير . انظر مقامة ديوان الأدب ج ١ ص ١٢ .  
 (١٤١) ديوان الأدب ج ١ ص ١٧٧ - ١٧٨ .  
 (١٤٢) ينظر الزهر ج ١ ص ٢٦٨ وما بعدها .

المصطلحات الأساس الذي بنى عليه القفحاء دراساتهم ، وهي كذلك في هذا العصر ، فلا تزال كتب اللغة والبلاغة والنقد تستعمل ماقله الجاحظ او ابتدعه ، وستظل كذلك مادامت اللغة العربية ومادامت أمة العرب .

إن دراسة جهود الجاحظ في التصاحفة لم تكن تأريخا يمرض ماضي الأمة وتراثها ، وانما هي حاضر يتبسط بالحياة ومستقبل يزهر بالأمل ، وهكذا كان التراث ماضيا مشرقا وحاضرا زاهرا ومستقبلا باهرا ، ومن غير هذه النظرة لن فهم الماضي ، ولن نفكر الحاضر ، ولن نتعرف المستقبل ونحن على آعتاب القرن الحادي والعشرين .

#### المصادر :

- ١ - الايضاح - الخطيب القزويني . تحقيق لجنة من اساتذة اللغة العربية بالجامع الأزهر . القاهرة .
- ٢ - البخلاء - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق الدكتور طه الحاجري . القاهرة ١٩٦٢ م .
- ٣ - البيان والتمهيد - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبدالسلام محمد هارون . القاهرة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .
- ٤ - الحيوان - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبدالسلام محمد هارون القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨ م .
- ٥ - الخصال - أبو الفتح عثمان بن جني . تحقيق محمد علي النجار . القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .
- ٦ - ديوان الأدب - أبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي . تحقيق الدكتور احمد مختار عمر . القاهرة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- ٧ - سر الفصاحة - ابن سنان الخفاجسي . تحقيق عبدالمتعال الصعيدي . القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م .
- ٨ - كتاب الصناعتين - أبو هلال العسكري . تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .



٩ - لسان العرب - ابن منظور .

١٠ - القتل السائر في أدب الكاتب والشاعر - شباه الدين بن الأسي - تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . القاهرة ١٣٥٨ هـ - ١٩٦٩ م .

١١ - الزهر في علوم اللغة - عبدالرحمن جلال الدين السيوطي - تحقيق محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي . الطبعة الثالثة - القاهرة .

١٢ - مقدمة ابن خلدون - عبدالرحمن بن خلدون - دار الكتاب - بيروت .

١٣ - النكت في أمجاد القرآن - أبو الحسن علي بن عيسى الرماني - تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام - ( ثلاث رسائل في أمجاد القرآن ) دار المعارف - القاهرة .

١٤ - النهاية في غريب الحديث والأثر - مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجوزي - تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي - القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .



( ٢ )

## الأساليب البلاغية

النهج :

الأساليب البلاغية هي الخبر والانتباه ، وأحوال الجملة كالتعريف والتشكيك ، والذكر والعنف ، والتقديم والتأخير ، والقصر ، والفصل والوصل ، والابحاز والانتاب والمساواة ، والخروج على مقتضى الظاهر كوضع المفسر موضع المظهر ، ووضع المظهر موضع المفسر ، والقلب ، والأسلوب الحكيم ، والاتفات .

وقد درس النحاة أكثرها في أبواب كتبهم ، وبعتها البلاغيون في علم المعالي وهو « تتبع خواص تراكييب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان ونحوه ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره » (١) . وشرح السكاكي هذا التعريف بقوله : « وأعني بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عن له فضل تمييز ومعركة وهي تراكيب اليلغاء لا الصادرة عن سواهم لنزولها في صناعة اليللغة منزلة أصوات حيوانات تصدر عن محالها بحسب ما يتفق . وأعني بخاصية التراكيب ما يسبق منه الى الفهم عند سماع ذلك التراكيب جارياً مجرى اللزام له لكونه صادراً عن اليليلغ لا لنفس ذلك التراكيب من حيث هو هو أو لازماً له لما هو حيث . وأعني بالفهم فهم ذوي النظر السليمة مثل ما يسبق الى فهمك من تراكيب » إن

\* التي طلس المشرفين التربويين في معهد تطوير اللغة العربية في الملول سنة ١٩٨١ .

زهداً منطلقاً « إذا سمعت من العارف بصياغة الكلام من أن يكون مقصوداً به  
تحي الشك أورد الانكار ، أو من تركيب « زيد منطلق » من أنه يلزم مجرد  
القصد الى الاخبار ، أو من نحو « منطلق » بتوك المسند اليه من أنه يلزم أن  
يكون المطلوب به وجه الاختصار مع إقادة لطيفة ما يلوح بها مقامها ، وكذا  
إن لفظ بالمسند اليه ، وهكذا إذا عرفت أو نكر أو قيد أو اطلق أو قدم  
أو آخر » . وتوضح في هذا النص عدة حقائق تتصل بعلم المعاني كما حذره  
السكاكي .

الأولى : أن الأصل في هذا العلم كلام البلغاء لا كلام عامة الناس .  
الثانية : أن الأصل بالتركيب ما يسبق منه الى الفهم عند سماعه وأن يكون  
مرتباً بالمعنى ، أي أن المراد به المعنى الأول لا المعنى الثاني الذي هو من  
سمات علم البيان .

الثالثة : أن الأصل في الفهم ما عليه ذوق الطفرة السليمة لامن في مشاركتهم  
قص لا يؤعلم لاإدراك الكلام البليغ .

الرابعة : إن السكاكي حذد أهم موضوعات علم المعاني وهي الخير وأتواعه  
من ابتدائي وطلبي وإنكساري ، وحذف المسند أو المسند اليه والتعريف  
والتكثير ، والتقييد والاطلاق ، والتقديم والتأخير ، وغير ذلك من  
موضوعات أشار اليها بقوله : « على ما يطلعك على جميع ذلك شيئاً  
قشياً مساق الكلام في العطين بأذن الله تعالى » .

وقرر السكاكي أن كلام العرب شيئان : الخير والطلب ، ولذلك قسم علم  
المعاني الى قانونين : الأول يتعلق بالخبر والثاني بالطلب . وقسم القانون الأول  
الى أربعة أقسام :

الأول : في تفصيل اختبارات الاستدلال الخبري ، وقد تكلم فيه على أنواع الخبر  
وأغراضه ومؤكداته ومخرجه على مقتضى الظاهر .

الثاني : في تفصيل اختبارات المسند اليه وقد تكلم فيه على حذف المسند اليه  
وذكره وتعريفه وإضارته وكونه علماً وتأكيد المسند اليه وبيانه وتفسيره

وأخيره وقصره وخروجه على مقتضى الظاهر والالتفات .

الثالث : في تفصيل اعتبارات المسند ، وقد تكلم فيه علي حذف المسند وذكره

وتقييده وأخيره وتقديبه والحالات المقتضية لتقييد الفعل .

الرابع : في تفصيل اعتبارات الفصل والوصل ، والايجاز والاطناب . وبعد

أن انتهى من هذا الفن عقد للقصر فصلاً عاماً ؛ لأنه أرجأ بحثه إلى هذا

المكان من كتابه « مفتاح العلوم » . وقسم القانون الثاني إلى خمسة أبواب

هي : التثني ، والاستفهام ، والأمر والنهي ، والنداء . وتكلم بعد ذلك على

وضع الخير موضع الطلب ، ووضع الطلب موضع الخبر ، وأسلوب الحكيم .

لقد بحث السكاكي علم المعاني بهذا المنهج ورتب موضوعاته هذا

الترتيب ، ويلاحظ أنه قدّم الخير مع أن كثيراً من الموضوعات التي بحثها فيه

لا تخص الخير وحده وإنما هي مشتركة بينه وبين الطلب . وعلى التفاضلاني

ذلك بقوله : « وأنا ابتداءً بإبحاث الخير لكونه أعظم شأنًا وأهم فائدة ؛ لأنه

هو الذي يتصور بالصور الكثيرة وفيه تقع الصيغات العجيبة ، وبه تقع غالباً

المزايا التي بهما التفاضل ولكونه أصلاً في الكلام؛ لأن الانتفاء إنما يحصل

منه بإشتقاق كالأمر والنهي أو نقل كـ « بشي » و « نعم » و « بعيت » و

« اشترت » أو زيادة أداة كالاستفهام والتثني وما أشبه ذلك . ثم قدّم بحث

أحوال الاستناد على أحوال المسند إليه والمسند مع أن النسبة متأخرة عن

الطرفين ؛ لأن علم المعاني إنما يبحث عن أحوال اللفظ الموصوف بكونه مسنداً

إليه ومسنداً . وهذا الوصف إنما يتحقق بعد تحقق الاستناد لأنه ما لم يسند

أحد الطرفين إلى الآخر لم يصر أحدهما مسنداً إليه والآخر مسنداً ، والمتقدم

على النسبة إنما هو ذات الطرفين ولا يبحث لنا عنها » (١٢) .

ومهما حاول النصار هذا المنهج أذ يدعوه بالبراهين العقلية فإن البلاغة

التي يقاس بها الكلام ويحكم على حسنه وروعته لا يمكن أن يعطى منهج بحثها

هذا التعليل وان يصطنع لها هذا المنهج اصطفاها يعدها عن روحها الفنية . ولكن هل تجع السكاكي في هذا المنهج ؟ هل حصر موضوعات علم المعاني حصراً دقيقاً ؟ الواقع انه لم ينجح في هذا التقسيم الذي بناء على المنطق فعصر به موضوعات علم المعاني حصراً مزقق به أوصالها تمزيقاً أفقدتها كل روح وباعد بينها وبين ما يتطلبه الفن الأدبي الذي ينبغي أن يعتمد - أول ما يعتمد - على الفوق . وتوضيح ذلك نقول انه قسم مباحث هذا العلم بحسب ركني الجملة - المسند اليه والمسند - وعلى هذا الأساس ذكر التقديم - مثلاً - في المسند اليه تارة وفي المسند تارة أخرى ، وفعل مثل ذلك بالتأخير ، والحذف ، والذكر ، والتعريف والتكثير . وكان من الدقة أن يبحث كل موضوع في فصل ليجمع اجزاءه ويستوفي أصوله وأركانها وبذلك يتسقى المنهج وتضح الاهداف . ومقارنة عامة بين ما كتبه السكاكي في هذه الموضوعات وما كتبه عبد القاهر الجرجاني وضياء الدين بن الاثير توضح مدى جور السكاكي على هذه المباحث ، فبعد أن كان الفارس يقرأ في « دلائل الاعجاز » أو « المثل السائر » موضوعات فيها متعة وتحليل ، وجسجسج لاجزاء الموضوع الواحد ، صار يقرأ في « مفتاح العلوم » موضوعات تحرق اجزاؤها وتناثر في عدة أبواب لا يخرج منها القارئ إلا بصور حائلة وقواعد جامدة وقد يلجأ ليكون فكرة واضحة الى أن يلهم شتات الموضوع الواحد ويضم بعضها الى بعض وفي ذلك اشاعة للجهد وإفساد لليلافة .

وبحثت خروج الكلام عن مقتضى الظاهر كوضع المفسر موضع الظاهر ووضع المظهر موضع المفسر والاتفات في المسند والمسند اليه ليس دقيقاً لأن هذه الموضوعات ليست خاصة بواحد منهما وانما تدخلهما . وقد أشار السكاكي الى ذلك فقال : « واعلم أن هذا النوع - أعني نقل الكلام عن الحكاية الى الغيبة - لا يختص المسند اليه » (٣٢) . وكان عليه أن يبحث كل

موضوع من هذه الموضوعات في فصل واحد لا في مبحثين هما المسند  
والمسند اليه .

وتكلم على استعمال المضارع مكان الماضي في الحالات المنتزعة لتفيد  
الفعل بالشرط مع أن الاخبار عن الفعل الماضي بالمضارع أو المستقبل نوع من  
الانتزاع كما صرح به بعض البلاغيين كابن الأثير الذي قسم الانتزاع الى  
ثلاثة أقسام : قسم في الرجوع عن الغيبة الى الخطاب وعن الخطاب الى الغيبة ،  
وقسم في الرجوع عن الفعل المستقبل الى فعل الأمر وعن الفعل الماضي الى  
الأمر ، وقسم في الاخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي<sup>(٤٤)</sup> .  
وعقد السكاكي فصلا للفعل وما يتعلق به من ترك وإثبات ، وإظهار وإخفاء ،  
وتقدير وتأخير ، مع أن الفعل مسند وكان عليه أن يبحث في باب المسند ويذكر  
إله يأتي فعلا كما يأتي اسما وجملة . ولكننا في هذا الصدد لا بد من أن نحدد  
له تنبيه الى اشتراك كثير من الباحث التي ذكرها في المسند اليه ، فقد قرر وهو  
يتكلم على الحالة المنتزعة لقصر المسند اليه على المسند أن القصر لا يختص  
بالمسند اليه وإنما يدخل المسند أيضا ويجري بين الفاعل والمفعول وبين  
المفعولين ، وبين الحال وذي الحال وبين كل طرفين ، قال : « واعلم أن القصر  
كما يكون للمسند اليه على المسند يكون أيضا للمسند على  
المسند اليه ، ثم هو ليس مختصا بهذا البين بل له شيوخ  
وله تفرعات فالأولى أن نورد للكلام في ذلك فصلا ونؤخره الى تمام  
التعرض لما سواه في قانوننا هنا ليكون الى الوقوف عليه أقرب »<sup>(٤٥)</sup> . وصنع  
مثل ذلك في بحث الأيجاز والانتزاع ، والفصل والوصل ،  
والتعريف والتكثير ، والقصر ، في القانون الأول أي باب الخبر ، وليس في  
ذلك دقة لأن هذه الموضوعات تدخل المطلب أيضا . وقد أشار المتقدمون الى  
تلك فقال عبدالقاهر : « انه لا يجوز أن يكون نظم الكلام وترتيب أجزائه في

(٤٤) المثل السائر ج ٢ ص ٤ - ١٩ .

(٤٥) مفتاح العلوم ص ٩٤ .

الاستفهام معنى لا يكون له ذلك المعنى في الخبر ، وذلك ان الاستفهام استخبار ،  
والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك فإنا كان كذلك كان محالاً أن  
يفترق الحال بين تقديم الاسم وتأخيره في الاستفهام فيكون المعنى إذا قلت :  
« أزيد قائم ؟ » غيره إذا قلت : « أقام زيد ؟ » ثم لا يكون هذا الافتراق في  
الخبر ، ويكون قولك : « أزيد قال ؟ » و « قام زيد » سواء ذلك ، لأنه  
يؤدي الى أن تستطه أمراً لاسيل فيه الى جواب أو أن تستبث المعنى على  
وجه ليس عنده عبارة يشته لك بها على ذلك الوجه «<sup>(٦٧)</sup> . وقال : « وإذا قد  
عرفت الحكم في الابتداء بالنكرة في الاستفهام فابشر الخبر عليه «<sup>(٦٨)</sup> .

وكان تقسيم السكاكي لعلم المعاني أساساً في دراسة هذا العلم ، وقد قال  
الخطيب القزويني في تعرضه : « هو علم يعرف به أحوال النطق العربي  
التي بها يطابق مقتضى الحال «<sup>(٦٩)</sup> . وقال : وقيل : « يعرف « دون « يعلم «  
رعاية لما اعتبره بعض الفضلاء من تخصيص للعلم بالكليات والمعرفة بالجزئيات  
كما قال صاحب القانون<sup>(٧٠)</sup> في تعريف الطب : « الطب علم يعرف به أحوال  
بدن الإنسان » ، وكما قال الشيخ أبو عمر<sup>(٧١)</sup> - رحمه الله - : « التصريف  
علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم » . وذكر تعرض السكاكي وقال :  
« وفيه نظر إذ التسبع ليس بعلم ولا صادق عليه فلا يصح تعريف شيء من العلوم  
به » . ثم قال : « وأعني بالتراكيب تراكيب اللفاء » . ولا شك ان معرفة البلغ  
من حيث هو ببلغ متوقفة على معرفة البلاغة وقد عرفنا في كتابه بقوله :  
« البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حداً له اختصاص بتوفيقه خواص  
التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها » . فان أراد

(٦٧) دلائل الامجاز ص ١٠٨ .

(٦٨) دلائل الامجاز ص ١٠٩ .

(٦٩) الايضاح ص ١٢ ، التلخيص ص ٣٧ .

(٧٠) هو ابن سينا .

(٧١) هو ابن الحاجب صاحب الكافية في النحو والشافية في الصرف .

بالتراكيب في حد البلاغة تراكيب البلغاء ، وهو الظاهر ، فقد جاء الدور ، وان أراد غيرها فلم يبينها ، على أن قوله « وغيره » مبهم لم يبين مراده به .  
وتعرف السكاكي اكثر دقة وشمولا ؛ لانه عرض كل ما يتصل بطسم المعاني وحدد أبعاده تحديداً واضحاً وان كان فيه شيء من صرامة وثبوت .

وحصر القزويني هذا العلم في ثمانية أبواب :

الأول : أحوال الاسناد الخيري .

الثاني : أحوال المسند اليه .

الثالث : أحوال المسند .

الرابع : أحوال متعلقات الفعل .

الخامس : القصر .

السادس : الانشاء .

السابع : الفصل والوصل .

الثامن : الايجاز والاطناب والمساواة .

ورجح العصر ان الكلام إما خبر أو إنشاء ، لانه إما أن يكون لنسبه خارج تطابقه أو لامتطابقه ، أو لا يكون لها خارج . الأول الخبر والثاني الانشاء . ثم الخبر لا بد له من اسناد ومسند اليه ومسند ، وأحوال هذه الثلاثة هي الأبواب الثلاثة الأولى ؛ ثم المسند قد يكون له متعلقات إما كان فعلاً أو متصلاً به أو في معناه كاسم الفاعل والمفعول ، وهذا هو الباب الرابع ثم الاسناد والتعلق كل واحد منهما يكون إما بقصر أو بغير قصر وهذا هو الباب الخامس ، والانشاء هو الباب السادس . ثم الجملة إذا قرنت بأخرى فتكون الثانية إما معطوفة على الأولى أو غير معطوفة وهذا هو الباب السابع . ونظف الكلام البليغ اما زائد على أصل المراد لفائدة أو غير زائد عليه وهذا هو الباب الثامن .



وهذا المنهج يختلف قليلاً عن منهج السكاكي وهو أقرب إلى الدقة ؛ لأن  
 القزويني ضمّ الموضوعات المتشابهة في فصول مستقلة وكذلك في بحثه الصق  
 بالبلاغة وروحها من صاحب « مفتاح العلوم » الذي مزقها كل مزق . ولكن  
 هذا المنهج لا يجمع الأجزاء ويوحّد الأبواب كل التوحيد ، أي أنه طلل قريبا  
 من منهج السكاكي الذي سيطر على البلاغيين وطلت كتبهم تقسم علم المعاني  
 هذا التقسيم ولم يخرج عنه معظم المتأخرين والمحدثين . وحاول المرحوم أمين  
 الخولي أن يضع منهجا جديداً للبلاغة في كتابه « فن القول»<sup>(١١١)</sup> وكانت مباحث  
 علم المعاني من الموضوعات التي مستها ذلك المنهج ، وقد أدخل النكرة والمعرفة  
 في باب الكلمة من حيث هي جزء الجملة ، واتبع ذلك الالتفات وأنواع المعارف  
 والتصر والتوسع والتطبيق والتعبير عن المثني بالواحد وما إلى ذلك مما ذكره  
 البلاغيون في الخروج على مقتضى الظاهر . وأدخل في الباب ثمة الاستهام  
 والثناء والنهي وما تؤديه أدواتها من المعاني وراء الطلب ، والحق بها صيغ  
 الأمر والاختيار والانتفاء ودلالة إحداها على الأخرى وأثر تبادلها في  
 الاستعمال . وتحدث في النظم أو تأليف الجمل عن التقديم والتأخير ، والحذف  
 والذكر ، وتكلم في الجملة على ربط جزأي الجملة بالاستثناء ، والتوكيد ،  
 والتصر بالأدوات « أنا » و « ما » و « إلا » وأدخل أدوات الشرط على  
 الجملة وأثره ، والإيجاز والامتداد . وذكر في باب الفقرة الفصل والوصل  
 وإيجاز الفقرة وإطنابها . وهذا التوزيع لمباحث علم المعاني أقرب من توزيع  
 السكاكي والقزويني ، فقد فرقها الخولي وباعد بينها ، فكان بعضها في الوضع  
 اللغوي للكلمة من حيث هي جزء الجملة ، أو من حيث الاستعمال ، وكان  
 بعضها في النظم أو تأليف الجمل وبعضها في الجملة والفقرة . ولولا توزيع  
 هذه المباحث في الكتب القديمة لكان منهج السكاكي والقزويني أنسب من  
 المنهج الذي رسمه الخولي .

(١١١) ينظر فن القول ص ٢١٦ وما بعدها .

إن وضع منهج جديد لعلم المعاني لا يزال بعيداً عن المتألم ولكن النظر في كتب التأخرين يوحى بمنهج أقرب إلى البلاغة من المنهج القديم الذي مزق أوصل البحث الواحد . وزي أن يضم علم المعاني الأبواب الآتية :

الأول : علم المعاني وصلته بنظرية النظم التي أولها عيد القاهر أهمية كبيرة .

الثاني : الخبر والانتشاء وما يتصل بها من أساليب وخروج على المعنى الحقيقي .

الثالث : أحوال الجملة ، وضم تعريفها والفرق بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية ، والتعريف والتشكيك ، والذكر والحذف ، والتقديم والتأخير ، والفصل .

الرابع : الفصل والوصل .

الخامس : الإيجاز والإطناب والمساواة .

السادس : الخروج على مقتضى الظاهر مثل وضع المضمحل موضع المظهر ووضع

المظهر موضع المضمحل ، وأسباب الخروج ، والقلب ، والأسلوب الحكيم ،

والتغليب ، والالتفات ، وغيرها من الموضوعات الأخرى كالاتقال من

خطاب الواحد إلى خطاب الاثنين ، والاتقال من خطاب الواحد إلى

خطاب الجمع ، والاتقال من الاثنين إلى الواحد ، والاتقال من الاثنين

إلى الجمع ، والاتقال من الجمع إلى الواحد والاتقال من الجمع

إلى الثنية .

وقد تجلى هذا المنهج وتطبيقه في كتابنا « أساليب بلاغية » وهو ليس

بعيد عن منهج السكاكي والتزويني ، ولكنه يوجد الأجزاء ويبحث الموضوع

الواحد في فصل أو باب ، وبذلك تكون أصول علم المعاني أو أبوابه متناسقة

يرتبط بعضها ببعض . وليس في منهج الخولي مثل هذا التناسق أو الارتباط ،

فقد أراد أن ينسق مباحث العلماء ولكنه وقع فيما وثقوا فيه حينما اعتدوا

على المسند والمسنود إليه في تقسيم الموضوعات . ولكن منهج علم المعاني يقل

مع . محاولة الباحثين . مجالاً للنظر والتدقيق لأن البلاغة ليست من العلوم التي

استقرت وإنما هي كما قال القدماء « لم تنطج ولم تحترق » أي أن سبيل القول فيها لم تتوقف وإن الطريق إلى فنونها طويل . وهذه مزية فن القول الذي قال النحوي عنه : « فلكم هي خطة فن القول وتنسيق بحوته ، لا نقول أنها في صورتها الأخيرة بل نقول أنها تخطيط لمحاولة فأمل أن تظل أيدى الدهر - لو أمكن ذلك - رهن التغيير والتعديل وهدف التجديد والتحسين يضيف إليها ويحذف منها وينسقها من تهيأت له القدرة الصادقة على ذلك وكانت له فيه بصيرة خيرة ليظل هذا الفرس للفن القولي صدى لحياة أهله وسبيلا لتحقيق غاياتهم في الحياة الوجدانية الراقية » (١٢) وإذا كان علم المعاني قريبا من النحو أو توخى معاني النحو ، فإنه يختلف عنه في معالجة الموضوعات ، وقد فصل القول في ذلك عند القاهر الجرجاني وانتهى إلى أننا لا نريد المعاني الأول وإنما المعاني الثواني وهي عنده معنى المعنى . ولخص المتأخرون فائدة علم المعاني فقال بهاء الدين السبكي : « ولعلك تقول : أي فائدة لعلم المعاني لأن المتردات والركبات علمت بالمعلوم الثلاثة - اللغة والنحو والصرف - وعلم المعاني لغالبه من علم النحو ، كلا إن غاية النحوي أن ينزل المتردات على ما وضعت له ويركبها عليها ووراء ذلك مقاصد لا تتعلق بالوضع مما يتفاوت به أغراض المتكلم على أوجه لا تنتهى ، وتلك الأسرار لا تعلم إلا بعلم المعاني . والنحوي - وإن ذكرها - فهو على وجه إجباري يتصرف فيه البياني تصرفا خاصا لا يصل إليه النحوي ، وهنا كما أن معظم أصول الفقه من علم اللغة والنحو والحديث وإن كان مستقلا بنفسه . واعلم أن علمي أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل ، فإن الخبر والانتفاء اللذين يتكلم فيهما المعاني هما موضوع غالب الأصول وإن كل ما يتكلم عليه الأصولي من كون الأمر للوجوب والنهي للتحريم ومسائل الأخبار والمصوم والخصوص والأطلاق والتقييد والأجسال والتفصيل والتراجع كلها ترجع إلى موضوع علم المعاني ، وليس في أصول الفقه ما ينفرد

(١٢) فن القول ص ٢٢٢ .

به كلام الشارع عن تحريم إلا الحكم الشرعي والقياس وأشياء يسيرة»<sup>(١٤٦)</sup> .  
 وهذا ما أطال الكلام عليه عبد القاهر الذي قال أن الصحة في الكلام هي  
 الخطوة الأولى أما الخطوة الثانية فهي فهم الكلام واستخلاص ما فيه من المعاني  
 الثبوتية التي يدل عليها ، ولذلك كان علم المعاني مهما في معرفة الأساليب  
 البلاغية وإثرائها بعد أن فقد النحو رونقه وأصبح قواعد لا تبنى إلا  
 بالأعراب والبناء والموامل والجمل المنطقي الذي لا يقدم اللغة كثيرا .

### التطبيق :

ثم يبحث معظم البلاغيين الأوائل موضوعات علم المعاني لأن اهتمامهم كان  
 منصبا على فنون البيان والبديع . ولعل أحمد بن فارس كان من أسبق الباحثين  
 إلى هذه المسألة ، فقد عقد في كتابه « الصحاحي » بابا باسم « معاني الكلام »  
 وقال : « هي عند أهل العلم عشرة : خبير واستخيار ، وأمر ونهي ، ودعاء  
 وطلب ، وعرض وتحذيف ، وتمن وتمجيب»<sup>(١٤٧)</sup> ، ويدخل هذا الباب في الخبر  
 والانشاء . وتكلم على موضوعات أخرى تعد من أركان علم المعاني مثل التقديم  
 والتأخير ، والحذف والاختصار ، والتكرار وبعض ما يدخل في الخروج على  
 مقتضى الظاهر وهي : الواحد وفراد به الجمع ، والجمع وفراد به الواحد ،  
 واثنان ومقاطبة الواحد بلفظ الجمع ، والاتينات .

وكان عبد القاهر الجرجاني من أشهر الذين تحدثوا عن علم المعاني في  
 كتب « دلائل الإعجاز » وسماه نظما وقال في تعريفه : « معلوم أن ليس النظم  
 سوى تعليق الكلام بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض»<sup>(١٤٨)</sup> ، وقال :

وقد علمنا بأن النظم ليس سوى حكم من النحو نصفي في توجيه

وقال : « وأعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه

(١٤٦) عروض الإعراب ج ١ ص ٥١ .

(١٤٧) الصحاحي ص ١٧٩ .

(١٤٨) دلائل الإعجاز ص (٥١)

علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناجسه التي نهجت فلا تزيد عنها ، وتحتفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها . وذلك أنا لا نعلم شيئا يتنيه الناظم ينظره غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في الغير الى الوجوه التي تراها في قولك : « زيد منطلق » و « زيد يطلق » و « يطلق زيد » و « منطلق زيد » و « زيد منطلق » و « المنطلق زيد » و « زيد هو منطلق » . وفي الشرط والجزاء الى الوجوه التي تراها في قولك : « إن تخرج أخرج » و « إن تخرج أخرجت » و « إن تخرج أنا أخرج » و « أنا أخرج إن خرجت » و « أنا إن خرجت أخرج » . وفي الحال الى الوجوه التي تراها في قولك : « جاءني زيد مسرعا » و « جاءني يسرع » و « جاءني وهو مسرع » أو « هو يسرع » و « جاءني قد أسرع » و « جاءني وقد أسرع » ، فيعرف لكل من ذلك موضعه ويحيى به حيث ينبغي له . وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم يتفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلاما من ذلك في خاص معناه نحو أن يحيى بـ « ما » في هي الحال و بـ « لا » إذا أراد هي الاستقبال و بـ « إن » فيما يرجع بين أن يكون وأن لا يكون و بـ « إذا » فيما علم أنه كائن . وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء ، وموضع الفاء من موضع « ثم » وموضع « أو » من موضع « ثم » وموضع « لكن » من موضع « بل » ويتصرف في التعرف والتكثير والتقديم والتأخير في الكلام كله ، وفي الحذف والتكرار والاضمار والظهار فيضع كلاما من ذلك مكانه ويستعمل على الصحة وعلى ما ينبغي له . هنا هو السبيل فليست بواجب شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا وخطؤه إن كان خطأ الى النظم ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له . فلا ترى كلاما قد وصف بصحة ظم أو فساده ، أو وصف بجزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك الجزية

وذلك النقل الى معاني النحر وأحكامه ووجدته يدخل في أصل من أصوله  
وتصل باب من أبوابه (١٦٦) .

فمعاني النحر أو النظم تشمل الخبر ، وأركان الجملة ، وما يتعلق بالسند  
والسند اليه من شرط وحال ، وتصل الفصل والوصل ومعرفة مواقعها ،  
ومعاني الواو والفاء وثم ويل ولكن ، والتعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير ،  
والحذف والتكرار ، والاتسار والالطهار + والترق بين هذه الأساليب ليس  
فرقا في الحركات وما يقرأ على الكلمات وإنما في معاني العبارات التي يحدثها  
ذلك الوضع والنظم الدقيق + ولذلك فليست العمد في معرفة قواعد النحر  
وحدها ولكن فيما تؤدي اليه هذه القواعد والأصول من معاني ، ونيسر  
الثرة باللغة ومعرفتها لأن ذلك لا يؤدي الى التفاوت بين الكلام ، ولا من أجل  
العلم بأغنى الترويق والوجوه فتستد الى اللغة ولكن للعلم بوضعها وما  
ينبغي أن يصنع فيها ، وليست بسلامة الحروف وإنما بالنظم الذي يعطي  
الكلمات والأعراب معنى دقيقا + فالحسن والتفضل والروعة ترجع الى النظم  
ودقة ، وقد أقام عبدالقاهر نظريته في اعجاز القرآن الكريم والسراقات الأدبية  
على هذه الفكرة وربط صور البيان كالتشليل والاستعارة والكناية بها . ومن  
يدعي تعليقه وربطه الصور بالنظم قوله : « وإذا قد عرفت ذلك فاصد الى  
ماتواصفوه بالحسن وتساهدوا له بالفضل ثم جعلوه كذلك من أجل النظم  
خصوصا دون غيره مما يستحسن له الشعر أو غير ذلك مما لا يدخل في النظم ،  
والأمله ، فإننا رأيناك قد ارتحت واهتزرت واستحسنت فاطظر الى حركات  
الأربعية ثم كانت وعند ماذا ظهرت ؟ فانك ترى عياة أنزه الذي قلت لك كما  
قلت . اعيد الى قول البحرني :

بلونا خراباً من قد نرى      لنا إن رأينا لفتح ضريبا  
هو المرء أبنت له العاديا      ت حوماً وشيكا ورأيا صليبا

تتعل في خلقسي سؤدد      سباحاً مرجى وباساً مويبا  
فكالكيف إن جثته صارخاً      وكالكبحر إن جثته مستثيا

فاذا رأيتها قد راتك وكثرت عندك ووجدت لها اهتماماً في نفسك فعد  
فاظر في السبب واستقص في النظر ، فانك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قد تم  
وأخر ، وعرف ونكر ، وحذف وأضر ، وأعاد وكرر ، وتوخى على الجملة  
وجها من الوجوه التي يقتضيا علم النحو فأصاب في ذلك كله ، ثم لطف  
موضع صوابه وأتى مآتي بوجوب التفضيلة + أفلا ترى أن أول شيء يروفتك منها  
قوله : « هو المرء أبدت له الحادثات » ثم قوله : « تتعل في خلقي سؤدد »  
يتكبر « السؤدد » وإضافة الخلقين إليه ، ثم قوله : « فكالكيف » وصلته  
بالفاء مع حذف المبتدأ ؛ لأن المعنى لا محالة فهو كاليف + ثم تكرره الكاف  
في قوله : « وكالكبحر » ثم أن قرن إلى كل واحد من التشبيهين شرباً جوابه  
فيه ، ثم أن أخرج من كل واحد من الشرطين حالاً على مثال ما أخرج من  
الأخر وذلك قوله : « صارخاً » هناك و « مستثيا » هنا - لا ترى حسناً  
تنسبه إلى النظم ليس سببه ما عدت أو ما هو في حكم ما عدت فاعرف ذلك .  
وإذا أردت أنظر أمراً في هذا المعنى فاظر إلى قول إبراهيم بن العباس :

فلو إذنيا دهرٌ وأنكر صاحبٌ      وسلط أعداءٌ وغاب نصيرٌ  
تكون عن الأحواز داري بنجوة      ولكن مقاديرٌ جرت وأمورٌ  
وإني لأرجو بعد هذا محسداً      لأفضل ما يرجى أخٌ وويزرٌ

فاذك ترى مآري من الروق والطلاوة ومن الحسن والحلاوة ، ثم تشقه  
السبب في ذلك فتجده انما كان من أجل تقديمه الطرف الذي هو « إذنيا »  
على عامله الذي هو « تكون » وأن لم يقل : « ولو تكون عن الأحواز داري  
بنجوة إذنيا دهر » ثم أن قال : « تكون » ولم يقل : « كان » ثم أن تكثر  
« الدهر » ولم يقل : « ولو إذنيا الدهر » ثم أن ساق هذا التنكير في جميع ما

أنى به من بعد ، ثم أن قال : « وأنكر صاحب » ولم يقل : « وأنكرت صاحباً » .  
 لا ترى في البيتين الأولين شيئاً غير الذي عدته لك تجعله حسناً في النظم :  
 وكله من معاني النحو — كما ترى — وهذا السبيل أبداً في كل حسن ومزية  
 رأيتها قد نسا إلى النظم ولفضل وشرف حيل فيها عليه « (١٧١) » .

وهذا تحليل يقوم على العلاقات بين الكلم ، وهو تحليل يعطي النص قيمة  
 لأنه يظهر مزجه ويوضح ما بين كلماته من صلة وما توحى به من صور تصد  
 المعنى وتبرزه . ولم يستمد البلاغيون من هذا المنهج ومضى السكاكي  
 والقزويني وشراح التلخيص يلخصون كلام عبد القاهر وملتقطون بعض أسئلة  
 ويشركون تحليله للنصوص وملاحق منهجه النقدي . وقد حاول ضياء الدين بن  
 الأثير أن يقترب من عبد القاهر ولكن<sup>١٧٢</sup> إزراءه النحو وتشجيعه على التحاق  
 أبعد عن المنهج اللغوي التحليلي الذي أبدع فيه المتقدم ، فهو يقول عن ابن  
 جني : « لكن فن التصاحفة والبلاغة غير فن النحو والأعراب » (١٧٣) . ولولا هذا  
 الموقف لجارى عبد القاهر لأنه كان يشعر بما للنظم من قيمة وقد قال عنه :  
 « هو سيك الألفاظ بعضها مع بعض » (١٧٤) ، ثم قال : « فاما النظم فإن له  
 أوصافاً أربعة :

الأول منها : أن تكون الألفاظ واضحة بيّنة ليست بغريبة الاستعمال .

الثاني : أن تكون الألفاظ حلوة في الهمس سهلة في التطق ، غير مستثقلة  
 ولا مستكرهة .

الثالث : أن تكون كل لفظة من الألفاظ ملائمة لأختها التي تليها ، غير فائرة  
 عنها ولا مباينة لها .

(١٧١) دلائل الإيجاز من ٦٧ - ٦٩ .

(١٧٢) المثل السائر ج ١ ص ٢٨٢ ، وينظر الاستعمارة من ١٢ وما بعدها .

(١٧٣) الاستعمارة من ٥٨ .



الرابع : أن لا يكون في الالفاظ تقديم وتأخير يستلحق به المعنى فيجيء نظم الكلام مضطرباً .

لهذه أوصاف أربعة تتعلق بالالفاظ ومتى عري الكلام المنظوم والمنثور منها لم يكن فصيحاً ، وإن عري عن شيء منها نقص منه جزء من الصراحة . وفي ضوء ذلك نظر ابن الأثير الى الأساليب البلاغية ، وأوضح مثال على ذلك كلامه على التقديم والتأخير ، وهو من الموضوعات التي أدخلها المتأخرون في علم المعاني . قال : « وهذا باب طويل عريض ، يشتمل على أسرار دقيقة منها ما استخرجته أنا ، ومنها ما وجدته في أقوال علماء البيان » (٢٠) وقسده الى ضربين :

الأول : يختص بدلالة الالفاظ على المعاني ، ولو أختار المقدم أو قديم المؤخر لتغير المعنى .

الثاني : — يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك ولو أختار لما تغير المعنى .

والضرب الأول قسمان : أحدهما يكون التقديم فيه هو الأبلغ ، والآخر يكون التأخير فيه هو الأبلغ . ومن الأول تقديم الموصول على المتصل وتقديم الضمير على المتبداً وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على العامل . والثاني هو المعاملة المنوية كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها على الموصوف وتقديم الصلة على الموصول .

والضرب الثاني : لا يحرصه جداً ولا ينتهي الى تسرح ، ومن ذلك تقديم السبب على المسبب وتقديم الأكثر على الأقل .

ومنهج ابن الأثير في التحليل يعتمد على أساسين :

الأول : المعنى وهو الذي يحدد موضع الكلمات ويظهر قصد الأديب .

(٢٠) القل السائر ج ٢ ص ٢٨ .

الثاني : نسق العبارة وانسجام الالفاظ ومراعاة ما توجبه الصياغة من صور .  
 قال : « وقال علماء البيان - ومنهم الزمخشري رحمه الله - : إن تقديم  
 هذه الصورة المذكورة لنا هو للاختصاص ، وليس كذلك . والذي عندي فيه  
 أن يستعمل على وجهين : أحدهما الاختصاص ، والآخر مراعاة نظم الكلام ،  
 وذلك أن يكون ظنه لا يحسن إلا بالتقديم ، وإذا آختر المتقدم ذهب ذلك  
 الحس ، وهذا الوجه أبلغ وأؤكد من الاختصاص . فاما الأول الذي هو  
 الاختصاص فنحو قوله تعالى : « أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون . ولقد  
 آوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطننك عنك ولتكونن  
 من الخاسرين » . بل الله فاعبد « وكن من الشاكرين »<sup>(٢١)</sup> . فانه  
 لما قيل : « بل الله فاعبد » ولم يقل « بل اعبد الله » لانه إذا تقدم وجب  
 اختصاص العبادة به دون غيره . ولو قال : « بل اعبد » ليجاز إيقاع الفعل على  
 أي مفعول شاء .

وأما الوجه الثاني الذي يختص بنظم الكلام فنحو قوله تعالى : « إياك  
 نعبد وإياك نستعين »<sup>(٢٢)</sup> . وقد ذكر الزمخشري في تفسيره أن التقديم في  
 هذا الموضع قصد به الاختصاص وليس كذلك فانه لم يقدم المفعول فيه على  
 الفعل للاختصاص وإنما قدم لبيان نظم الكلام ، لانه لو قال : « نعبدك  
 ونستعينك » لم يكن له من الحسن ما لقوله : « إياك نعبد وإياك نستعين » .  
 ألا ترى أنه تقدم قوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين » الرحمن الرحيم . مالك  
 يوم الدين »<sup>(٢٣)</sup> فجاء بعد ذلك قوله : « إياك نعبد وإياك نستعين » وذلك مراعاة  
 حسن النظم السجعي الذي هو على حروف النون ، ولو قال : « نعبدك  
 ونستعينك » لذهبت تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن ، وهذا غير خلاف على

(٢١) سورة الزمر ، الآيات ٦٤ - ٦٦ .

(٢٢) سورة الفاتحة ، الآية ٥ .

(٢٣) سورة الفاتحة ، الآيات ٢ - ٤ .

أحد من الناس فضلاً عن آرياب علم البيان . وعلَى نحو منهُ ورد قوله تعالى : « فَأَوْجِسْ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى . فَلَمَّا لَا تَخِفْ بِإِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى »<sup>(٢٤١)</sup> .  
وتقدير الكلام : « فَأَوْجِسْ مُوسَى فِي نَفْسِهِ خِيفَةً » وإنما قدّم المفعول على الفاعل وفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول ويعرف الجر قصداً لتحسين النظم .  
وعلى هذا فليس كل تقديم لما مكانه التأخير من باب الاختصاص فيبطل إذن ما ذهب إليه الرمضري وغيره «<sup>(٢٤٢)</sup> .

ويختلف تحليل ابن الأثير عن تحليل معاصره السكاكي الذي ذكر قواعد تقديم المسند اليه وتأخيره من غير أن يقف عليها ويحلل النصوص ، فهو يقول عن المسند اليه : « وأما الحالة التي تقتضي تقديمه على المسند فهي متى كان ذكره أهم ، ثم إن كونه أهم يقع باعتبارات مختلفة »<sup>(٢٤٣)</sup> . ثم يحدد تلك الاعتبارات منها : لأن أصله التقديم . أو لأنه متضمن للاستفهام ، وأما لأنه ضمير الشأن والقصة ، وأما لأن في تقديمه تشويقاً للسامع إلى الخبر ليتمكن في ذهنه ، وأما لأن اسم المسند اليه أصلح للتساؤل فيقدم ، وأما لأن تقديمه ينبئ عن التظيم والمقام يقتضي ذلك ، وأما لأنه يفيد زيادة تضييع . وليس في هذه القواعد ما يوضح التقديم والتأخير ويبرز أهميته ويوسط معناه مع أن عبد القاهر قد تحدث عن هذا الموضوع وأوضح المعاني المختلفة التي تقدمها صياغة العبارة حينما يقع فيها تقديم أو تأخير . قال : « هو باب كثير القوائد ، جمّ المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يتشترط لك عن بديعة ويضفي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعراً يروقك مسعده ، ولفظ لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولفظ عندك أن قدّم فيه شيء ، وحوال اللفظ عن مكان إلى مكان »<sup>(٢٤٤)</sup> . ومثال تحليله للتقديم والتأخير كلامه على الاستفهام ، قال : « وهذه مسائل لا يستطيع أحد أن يمتنع من التفرقة بين تقديم ما قدّم

(٢٤١) سورة طه ، الآيات ٦٧ - ٦٨ .

(٢٤٢) المثل السائر ج ٢ ص ٢٦ - ٢٠ .

(٢٤٣) مفتاح العلوم ص ٦٢ . (٢٤٤) دلائل الإعجاز ص ٨٢ .

فيها وتترك تقديمه + ومن أبين شيء في ذلك الاستهزام بالهزيمة لأن موضع الكلام على أنك إذا قلت : « أتلت ؟ » فبدأت بالفعل كأن الشك في الفعل نفسه وكان لغرضك من استهزامك أن تعلم وجوده + وإذا قلت : « أنت فعلت ؟ » فبدأت بالاسم كأن الشك في الفاعل من هو ؟ وكان التردد فيه + ومثال ذلك أنك تقول : « أبيت النار التي كنت على أن تبنيها ؟ » - « أقلت الشعر الذي كان في فمك أن تقوله ؟ » - « أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه ؟ » + تبدأ في هذا ونحوه بالفعل لأن السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه ، لا لك في جميع ذلك متردد في وجود الفعل وانتفاءه مجوزاً أن يكون قد كان وأن يكون لم يكن + وتقول : « آلت بيت هذه النار ؟ » - « آنت قلت هذا الشعر ؟ » - « آنت كتبت هذا الكتاب ؟ » فبدأ في ذلك كله بالاسم ، ذلك لأنه لم تكن في الفعل أنه كان ، كيف وقد أشرت إلى النار بنية والشعر مقولاً والكتاب مكتوباً + وأنا شككت في الفاعل من هو ؟ فبدأ من الترق لا يلفظه دافع ولا يشك فيه شك ، ولا يفتي فساد أحدهما في موضع الآخر + فلو قلت : « آنت بيت النار التي كنت على أن تبنيها ؟ » - « آنت قلت الشعر الذي كان في فمك أن تقوله ؟ » - « آنت فرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه ؟ » خرجت من كلام الناس + وكذلك لو قلت : « أبيت هذه النار ؟ » - « أقلت هذا الشعر ؟ » - « آكتبت هذا الكتاب ؟ » قلت ما ليس بقول ، ذلك لفساد أن تقول في الشيء المشاهد الذي هو نصب عينيك أموجود أم لا ؟ وما يعلم به ضرورة أنه لا تكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم ، أنك تقول : « أقلت شعراً قط ؟ » - « أرايت اليوم انساناً ؟ » فيكون كلامك مستقيماً + ولو قلت : « آنت قلت شعراً قط ؟ » - « آنت رأيت انساناً ؟ » أخطأت ، وذلك أنه لا معنى للسؤال عن الفاعل من هو في مثل هذا ؛ لأن ذلك إنما يتصور إذا كانت الإشارة إلى فعل مخصوص نحو أن تقول : « من قال هذا الشعر ؟ » و « من بنى هذه السدار ؟ » و « من أتاك اليوم ؟ » و « من أذن لك في الذي فعلت ؟ » وما أشبه ذلك مما يمكن أن ينص فيه على معين ،

لأنما قيل شعر على الجملة ورؤية انسان على الاملاق فيحال ذلك فيه لانه ليس  
ما يختص بهذا دون ذلك حتى يسأل عن عين فاعله • ولو كان تقديم الاسم  
لا يوجب ما ذكرنا من أن يكون السؤال عن الفاعل من هو ؟ وكذلك يصح أن  
يكون سؤالاً<sup>١٢٨</sup> عن الفعل اكان أم لم يكن ، لكان ينبغي أن يستقيم لك «<sup>١٢٩</sup>» .

فالتقديم والتأخير يخضع للمعنى وللهدف الذي يرمى اليه المتكلم ، ولم  
يكن عينا أن يعنى العرب في كلامهم بذلك وأن يرصد البلاغيون والنقاد ،  
وأوضح ما في كلام عبد القاهر ثلاث مسائل :

الأولى : ان الابتداء بالفعل في الاستفهام معناه ان الشك في الفعل نفسه  
وان الغرض من الاستفهام أن يعلم المستفهم وجوده •

الثانية : ان الابتداء بالاسم في الاستفهام معناه ان الشك في الفاعل من هو ؟  
وان التردد كان فيه •

الثالثة : ان الاستفهام لا يكون عينا وانما يأتي حينما يتطلبه الموقف ولذلك  
لا يصح الاستفهام إذا كان المعنى معروفا أو ان المسؤول عنه نصب العينين •

وهذا التحليل فريد في البلاغة العربية لانه يقوم على العلاقات بين الكلام  
وموقع الكلمة في العبارة ، وتقديم كلمة أو تأخيرها يغير المعنى وينقله من حال  
الى حال • ولا يفت الامر عند المعنى الحقيقي وانما يعتمد الى خروج الاستفهام  
الى أغراض أخرى كالتقرير والتوبيخ وهو ما تحدث عنه البلاغيون المتأخرون •  
ولكنهم لم يسمعوا في دراسته ولم يطلوا هذا النوع من الاستفهام كما حله  
عبد القاهر الذي قال : « واعلم أن هذا الذي ذكرت لك في الهزة وهي  
للاستفهام قائم فيها إذا هي كانت للتقرير ، فانما قلت : « أنت فعلت ذلك ؟ »  
كان غرضك أن تقرر به الفاعل ، بين ذلك قوله تعالى حكاية عن قول لمرود :  
« أنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم ؟ »<sup>١٣٠</sup> • لاشبهة في أنهم لم يقولوا

(١٢٨) دلائل الإعجاز ص ٨٧ - ٨٨ . (١٢٩) سورة الانبياء : الآية ٦٢ .

ذلك له - عليه السلام - وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأستقام قد كان ، ولكن أن يقر - بأن منه كان ، وقد أشاروا له الى التمسك في قولهم : « أنت فعلت هنا ؟ » وقال هو - عليه السلام - في الجواب : « بل فعله كبيرهم هنا » . ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب : « فعلت » او « لم أفعل » . فان قلت : أو ليس إذا قال : « أفعلت ؟ » فهو يريد أيضا أن يقره بأن الفعل كان منه ، لا بانه كان على الجبلة ، فأي فرق بين العالين ؟ فانه اذا قال : « أفعلت ؟ » فهو يقره بالفعل من غير أن يردده بينه وبين غيره وكان كلامه من يوهم انه لا يدري أن ذلك الفعل كان على الحقيقة . وانما قال : « أنت فعلت ؟ » كان قد ردد الفعل بينه وبين غيره ولم يكن منه في نفس الفعل تردد ، ولم يكن كلامه كلام من يوهم انه لا يدري أكان الفعل أم لم يكن ، بدلالة أنك تقول ذلك والفعل ظاهر موجود مشار اليه كسأ رأيت في الآية (١٢٠) . واكتفى السكاكي والتزويني بنقل الآية الكريمة حينما ذكرا خروج الاستفهام الى معنى التقرير (١٢١) من غير أن يفتا عليها ويحللها ويظهر ما فيها من معنى التقرير . وبذلك تحولت الموهبة الأدبية والفنون الفني الى قواعد ثابتة تقرر ليحفظها الفارس بلا تشل لها أو تأثر بالنصوص وجالها .

وللفعل المضارع في الاستفهام موقع غير موقع الماضي ، وقد تحدث عنه عبد القاهر وأوضح الهدف منه فقال : « وإذا قد بيَّنا الفرق بين تقديم الفعل وتقديم الاسم والفعل ماض ، ينبغي أن ينظر فيه والفعل مضارع . والقول في ذلك أنك إذا قلت : « أفعل ؟ » و « أنت فعل ؟ » لم يخل من أن تريد الحال أو الاستقبال ، فان أردت الحال كان المعنى شبيها بسا مضى في الماضي فاذا قلت : « أفعل ؟ » كان المعنى على أنك أردت أن تقرره بفعل هو يفعله وكنت كمن يوهم انه لا يعلم بالحقيقة أن الفعل كائن . واذا قلت : « أنت فعل ؟ » كان المعنى على أنك تريد أن تقرره بانه الفاعل ، وكان أمر التمسك في وجوده

(١٢٠) دلائل الإعجاز ص ٨٨ - ٨٩ .  
(١٢١) مفتاح العلوم ص ١٥١ ، الإيضاح ص ١٢٨ .

ظاهراً وبعبث لا يحتاج السى الاقرار باه كائن . وإن أردت بـ « تفعل »  
المستقبل كان المعنى اذا بدأت بالفعل على انك تعدد بالانكسار الى الفعل نفسه  
وتوهم انه لا يكون أو انه لا ينبغي أن يكون . فمثال الأول :

أبتلنسى والمترفي؟ مضاجعي ومسنونة زُرقي<sup>١</sup> كآيايبر آفتوالا

لهذا تكذيب منه لانسان تهدده بالقتل وانكار أن يقدر على ذلك  
وستطيعه . ومثله أن يطعم طامع في أمر لا يكون مثله فتجهله فتقول :

« أروضي عنك فلان وأنت مقيم على ما يكره<sup>٢</sup> » - « أتجد عنده ما نحب  
وقد فعلت وصنعت<sup>٣</sup> » . وعلى ذلك قوله تعالى : « أنزلناكموها وأقسم لها  
كارهون<sup>٤</sup> » (٣٣) .

ومثال الثاني قولك للرجل يركب الخطر : « أتخرج في هذا الوقت<sup>٥</sup> » -  
« أتذهب في غير هذا الطريق<sup>٦</sup> » - « أتغرد بشك<sup>٧</sup> » ، وقولك للرجل  
يضيع الحق : « أتسى قديم إيمان فلان<sup>٨</sup> » - « أتترك صحبته وتتغير عن  
حالته معه لأن تغير الزمان<sup>٩</sup> » كما قال :

أترك أن قلت<sup>١٠</sup> دراهم خالد زيارته إني إذن<sup>١١</sup> للتيسم<sup>١٢</sup>

وجملة الأمر انك تنحو بالانكار نحو الفعل فان بدأت بالاسم قلت :  
« أنت تفعل<sup>١٣</sup> » أو قلت : « أهو يفعل<sup>١٤</sup> » كنت وجهت الانكسار الى نفس  
المذكور وأيت أن تكون بموضع أن يجيء منه الفعل ومن يجيء منه وأن  
يكون بتلك المثابة<sup>١٥</sup> (٣٣) .

ومثال آخر هو الالتفات الذي كان الفن الأول من محاسن الكلام التي  
ذكرها ابن المعتز ، وقد قال في تعريفه : « هو انصراف المتكلم عن مخاطبة الى  
الاخبار وعن الاخبار الى مخاطبة وما يشبه ذلك . ومن الالتفات الانصراف  
عن معنى يكتون فيه الى معنى آخر<sup>١٦</sup> » . وتبعه كثير من البلاغيين في

(٣٣) دلائل الانحياز ص ٩١ - ٩٢ .

(٣٤) سور هود ، الآية ٢٨ .

(٣٥) البدع ص ٥٥ .

مصطلحه وتعرفه غير ان ابن وهب ساء « الصثرقة »<sup>(٣٤١)</sup> وساء اسامة بن منقذ « الانصراف »<sup>(٣٤٢)</sup> واهتم الفارسيون بهذا الاسلوب وتحدث عنه بالتفصيل الزمخشري في كتابه والسكاكي في مفتاحه والترويتي في ايضاحه وابن الاثير في مثله السائر والزرکشي في برهانه . وقال الزمخشري وهو يفسر قوله تعالى : « إياك تعبد » وإياك نستعين<sup>(٣٤٣)</sup> : « فان قلت : لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب ؟ قلت : هذا يسي الالتفات في البيان وقد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ، ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى : « حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم »<sup>(٣٤٤)</sup> وقوله تعالى : « والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقفا »<sup>(٣٤٥)</sup> . وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة آيات :

تطاول ليثك بالأسودِ      ونام الظبي ولم ترقدِ  
وبات وبانت له ليلةٌ      كليلة ذي العسر الأرمدِ  
وذلك من بأجاني      وخبرته عن أبي الأسودِ

وذلك على عادة افتتاحهم في الكلام وتصرفهم فيه ، ولأن الكلام إذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك أحسن طريقة لنشاط السامع وإيقاظاً للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد . وقد تختص مواقفه بفوائده ، وما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهيات فخطب ذلك المعلوم المميز بتلك الصفات فقيل : « إياك من هذه

(٣٤١) البرهان في وجوه البيان ص ١٥٢ .

(٣٤٢) البديع في نقد الشعر ص ٢٠٠ . (٣٤٧) سورة الفاتحة : الآية ٥ .

(٣٤٤) سورة يونس ، الآية ٢٢ . (٣٤٥) سورة فاطر ، الآية ٦ .



صفاته تخص بالعبادة والاستماعة ، لان عبد لمحرك ولا نستعينه « ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا يتحقق العبادة إلا به » (٩٠) .

ولا يخرج كلام السكاكي عن ذلك إلا ما اضاف من أمثلة قليلة قال بعدها : « وأمثال ما ذكر أكثر من أن يضبطها القلم ، وهذا النوع قد يختص بمواقفه بلطائف قلما تتضح إلا لأفراد بلغائهم أو للحذاق المهرة في هذا الفن والعلماء النحارير . ومتى اختص موقعه بشيء من ذلك كسأه فضل بهاء ورونق وأورث السامع زيادة هزّة ونشاط ووجد عنده من القبول أرفع منزلة ومحل إن كان ممن يسع ويعقل » (٩١) . وقطر اليه ابن الاثير نظرة أصق وقال : « وهذا النوع وما يليه هو خلاصة علم البيان التي حولها يفتدون واليها تستند البلاغة وعنها يعنعن . وحقيقته مأخوذة من الثقافات الانسان عن يمينه وشماله ، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا ، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لانه ينتقل فيه من صيغة الى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر الى غائب أو من خطاب غائب الى حاضر أو من فعل ماضٍ الى مستقبل أو من مستقبل الى ماضٍ أو غير ذلك مما يأتي ذكره منفصلاً . ويسمى أيضاً « شجاعة العربية » وانما سمي بذلك لأن الشجاعة هي الاقدام ، وذلك ان الرجل الشجاع يركب مالا يستطيعه غيره ويتورد مالا يتورده سواه ، وكذا هذا الالتفات في الكلام فان اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات » (٩٢) .  
وقسمه الى ثلاثة أقسام :

- الاول : الرجوع من الغيبة الى الخطاب ، ومن الخطاب الى الغيبة .
- الثاني : الرجوع من الفعل المستقبل الى فعل الأمر ، ومن الفعل الماضي الى فعل الأمر .
- الثالث : الأخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي .

(٩٠) الكشف ج ١ ص ١١ - ١٢ .

(٩١) مفتاح العلوم ص ٩٦ .

(٩٢) القل السائر ج ٢ ص ١ : الجامع الكبير ص ٩٨ .

وأحسن ما في بعته الأمثلة الكثيرة التي وضح بها كلامه ، وردده رأي  
الزمخشري ومن تابعه في فائدة أسلوب الالتفات . وقد وضح ابن الأثير  
رأيه بقوله :

« وقال الزمخشري - رحمه الله - إن الرجوع من الغيبة إلى الخطاب  
أما يستعمل للتفنن في الكلام والانتقال من أسلوب إلى أسلوب نظرية  
لنشاط السامع وإيقاظاً للاصغاء إليه . وليس الأمر كما ذكره ، لأن الانتقال  
في الكلام من أسلوب إلى أسلوب إن لم يكن إلا نظرية لنشاط السامع  
وإيقاظاً للاصغاء إليه فإن ذلك دليل على أن السامع يلهو من أسلوب واحد  
فينتقل إلى غيره ليجد نشاطاً للاستماع . وهذا قد دحض في الكلام لا وصف  
له ، لانه لو كان حسناً ما مل ، ولو سلمنا إلى الزمخشري ما ذهب إليه  
لكان أمراً يبرجد ذلك في الكلام المطول ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك ، لانه  
قد ورد الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة في مواضع  
كثيرة من القرآن الكريم ويكون مجزوع الجانبين مما يبلغ عشرة ألفاظ  
أو أقل من ذلك ومفهوم قول الزمخشري في الانتقال من أسلوب إلى  
أسلوب إنما يستعمل قصداً للمخالفة بين المنقول عنه والمنقل إليه لا قصداً  
لاستعمال الأحسن . وعلى هذا فإذا وجدنا كلاماً قد استعمل في جميعه  
الايجاز ولم ينتقل عنه أو استعمل في جميعه الاطناب ولم ينتقل عنه ،  
وكان كلا الطرفين قائماً في مرقبه قلنا : هذا ليس بحسن إذ لم ينتقل فيه  
من أسلوب إلى أسلوب ، وهذا قول فيه ما فيه ، وما أعلم كيف ذهب  
على مثل الزمخشري مع معرفته بنص النصاحة والبلاغة . والذي عندي في  
ذلك أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب  
لا يكون إلا " فائدة انتفضه ، وذلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب  
إلى أسلوب غير أنها لا تهدف بعد ولا تحبب بضايط ، لكن يضار  
إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها . فإنا قد رأينا الانتقال من الغيبة إلى  
الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب ثم رأينا ذلك بعينه وهو ضد

الأول قد استعمل في الانتقال من الخطاب الى الغيبة قطعنا حيثسند ان  
الفرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لايجري على وثيرة واحدة  
وانما هو منصور على الناية بالمعنى المقصود ، وذلك المعنى يتشعب شعبا  
كثيرة لا تنحصر ، وانما يؤتى بها على حسب الموضوع الذي ترد فيه <sup>(١٢٧)</sup> .

وطريقة ابن الاثير في اظهار روعة الالفاظ ضرب من الأمثلة والتعليق  
عليها والاشارة الى ما فيها من روعة وجلال ، وهذه الطريقة أضع في  
معالجة البلاغة وتحليل النصوص . ومن ذلك قوله : « قاما الرجوع من  
الغيبة الى الخطاب فكتوله تعالى من سورة الفاتحة : « الحمد لله رب  
العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين .  
إهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم <sup>(١٢٨)</sup> » هذا رجوع من  
الغيبة الى الخطاب ، وما يختص به هذا الكلام من التوائد قوله : « إياك  
نعبد وإياك نستعين » بعد قوله : « الحمد لله رب العالمين » فانه انما عدل  
فيه من الغيبة الى الخطاب لان الحمد دون العبادة ، ألا تراك تحمد نظيرك  
ولا تبعده ؟ فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع  
الغيبه في الخبر فقال : « الحمد لله » ولم يقل : « الحمد لك » . ولما صار  
الى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال : « إياك نعبد » فضابط بالعبادة  
اصراطها بها وتقربا منه — عز اسمه — بالانتهاء الى محدود منها . وعلى  
نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال : « صراط الذين أنعمت عليهم »  
فأصرح بالضبط لما ذكر النعمة ثم قال : « غير المنضوب عليهم » عطفا على  
الأول ، لان الاول موضع التقرب من الله بذكر نفسه ، فلما صار الى ذكر  
الغضب جاء باللفظ منحرفا عن ذكر الغاضب فأستد النعمة اليه لفظا وزوي  
عنه لفظ الغضب تحننا وطمنا . فاقتر الى هنا الموضوع وتناسب هذه المعاني  
الشرعية التي الاقدام لا تكاد تظفرها والأفهام مع قربها صافحة عنها ، وهذه

(١٢٧) مثل السالرج ٢ ص ٤ - ٥ . (١٢٨) سورة الفاتحة : الآيات ٢ - ٧ .

السورة قد انتقل في أولها من الغيبة الى الخطاب لتنظيم شأن المخاطب ثم انتقل في آخرها من الخطاب الى الغيبة لتلك العلة بعينها وهي تنظيم شأن المخاطب ايضا ، لأن مخاطبة الرب - تبارك وتعالى - بإستاد النعمة اليه تنظيم لمخاطبه ، وكذلك ترك مخاطبته بإستاد الغضب اليه تنظيم لمخاطبه ، فينبغي أن يكون صاحب هذا الفن من النصاحة والبالغة علما بوضع أنواعه في مواضعها على اشتباهها (١٥٥) .

ومن ذلك تعليقه على بيتي تأبط شرا :

باني قد لقيت القول تهوي      بههب كالمحيفة صمحصحان

فأضربها بلا دهن فخرت<sup>١</sup>      صريعا لليدين وللجبر ان<sup>(١٦)</sup>

قال : « فانه قصد أن يصور تقومه الحال التي تمنع فيها على ضرب

القول كأنه يصرفهم إياها مشاعرة للتعجب من جرائته على ذلك الهول ، ولو قال : « فخرتها » عشنا على الأول لزالست هذه الفائدة المذكورة .

فإن قيل : إن الفعل الماضي أيضا يتخيل منه السامع ما يتخيله من المستقبل ، قلت في الجواب : إن التخيل يقع في الفعلين معا ، لكنه في أحدهما - وهو

المستقبل - أوكد وأشد تخيلا ، لأنه يستحضر صورة الفعل حتى كأن السامع ينظر الى فاعله في وجود الفعل منه - ألا ترى أنه لما قال تأبط شرا :

« فأضربها » تخيل السامع أنه مباشر للفعل ، وانه قائم بإزاء القول وقد رفع سببه ليضربها ، وهذا لا يوجد في الفعل الماضي ، لأنه لا يتخيل السامع

منه إلا فعلا قد مضى من غير الحضور للصورة في حالة سماع الكلام الدال عليه ، وهذا لا خلاف فيه (١٥٦) .

(١٥) المثل السائر ج ٢ ص ٥ - ٦ .

(١٦) السهب : الأرض المستوية - الصمحصحان : الأرض الواسعة - الجبران : مقدم هنتق البعير .

(١٧) المثل السائر ج ٢ ص ١٦ - ١٧ .

إن هذا التحليل لاسلوب الالتئام يعطي صورة جلية لما كان عليه المنهج النقدي عند ابن الأثير ، وهو منهج يقوم على العلاقة اللغوية وما توحى من معنى أولاً وعلى الذوق الرفيع . أما مذهب السكاكي والقزويني وشرائح التلخيص فيقوم على القاعدة وكثيراً ما تختق القاعدة في إثارة المعنى وتقديم ما فيه من تأثير . ومن هنا كان الأخذ بمنهج عبدالقاهر وابن الأثير في التحليل ضرورة تتطلبها النزعة الفنية في البلاغة والنقد ، وهي نزعة تثل مرتبطة بالأدب مادام فيه عرق ينبض وما دام فيه إبداع وتجديد . ومما يسوغ ذلك الأخذ ان الرجلين اطلقا من علاقات الكلم فيما بينها أي من التركيب اللغوي المرتبط بالاسلوب والذوق الأدبي الرفيع ، وهما ركنا تحليل النصوص ، ومن الوقوف على معناها والتأثر بما فيها من صور أو الأحياء بالتأثير .

### المصادر :

- ١ - أساليب بلاغية - الدكتور احمد مطلوب . القاهرة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ٢ - الاستدراك - ضياءالدين بن الأثير - تحقيق الدكتور حنفي محمد شرف . القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٣ - الإيضاح - الخطيب القزويني . القاهرة .
- ٤ - البديع - ابن المعتز . تحقيق كرايشكونسكي . لندن ١٩٢٥ م .
- ٥ - البديع في نقد الشعر - أسامة بن منقذ . تحقيق الدكتور احمد احمد بدوي والدكتور حامد عبد المجيد . القاهرة ١٢٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
- ٦ - البرهان في وجوه البيان - ابن وهب الكاتب . تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديشي . بغداد ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- ٧ - الجامع الكبير في صناعة المقولوم من الكلام والمنثور - ضياءالدين بن الأثير . تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد . بغداد ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .
- ٨ - دلائل الأيجاز - عبد القاهر الجرجاني . تحقيق محمد رشيد رضا . القاهرة ١٣٧٢ هـ .

- ٩ - الصاحبي - احمد بن فارس - تحقيق الدكتور مصطفى الشويش - بيروت  
١٣٨٢هـ - ١٩٦٤م .
- ١٠ - هروس الافراج في شرح للخصي الفتحاح - بهاء الدين السبكي . ( مطبوع  
في كتاب شروح التلخيص ) القاهرة ١٩٣٧م .
- ١١ - فن القول - امين الخولي . القاهرة ١٩٤٧م .
- ١٢ - الكشاف - جلاله الزمخشري . القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ -  
١٩٥٢م .
- ١٣ - المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر - ضياء الدين بن الاثير - تحقيق  
محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .
- ١٤ - المطول - سعد الدين التفتازاني . تركيا . ١٣٢٠هـ .
- ١٥ - مفتاح العلوم - السكاكي . القاهرة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٦م .



( ٤ )

## الفنون البلاغية

النهج :

الفنون البلاغية هي : التشبيه والمجاز والكتابة - أو ما ساءه المتأخرون علم البيان - والمحسنات اللفظية والمعنوية - أو ما سواه البديع .  
وعلم البيان هو « معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة فصي وضوح الدلالة عليه وبالتقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ فصي مطابقة الكلام لتسام المراد منه »<sup>(١)</sup> . وتتضح في هذا التعريف عدة حقائق :

الاولى : ان هناك معنى واحداً يراد التعبير عنه في طرق مختلفة .

الثانية : ان التعبير عن ذلك المعنى الواحد قد يكون بالزيادة وقد يكون بالتقصان .

الثالثة : ان ذلك التعبير بالزيادة أو بالتقصان يكون لهدف هو الاحتراز عن الخطأ في مطابقة الكلام لتسام المراد منه .

وشرح السكاكي هذا التعريف وأوضحه في الفصل الثاني من قسم البلاغة وقال : « والخوض فيه يستدعي تمهيد قاعدة ، وهي ان محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالتقصان بالدلالات الوضعية غير ممكن ، فإذ أردت تشبيه الخد بالورد في الحمرة مثلاً وقلت : « خد يشبه الورد » امتنع أن يكون كلام مؤدب لهذا

---

(١) انظر على المترجمين التبريين في معهد تطوير اللغة العربية في إسطنبول سنة ١٩٨١ م .

(١) مفاتيح العلوم ص ٧٧ .

المعنى بالدلالات الوجودية أكمل منه في الوجود أو أنقص . فإنا إذا  
أقمت مقام كل كلمة منها ما يراد منها ، فالسامع إن كان عالماً بكونها موضوعة  
لتلك المفاهيم كان فيه منها كنهه من تلك من غير تفاوت في الوجود  
وإلا لم يفهم شيئاً أصلاً ، وإنما يمكن ذلك في الدلالات العقلية مثل أن  
يكون الشيء تعلق بآخر والثالث ، فإذا أريد التوصل بواحد منها إلى  
المتعلق به ، فتمسى تفاوت تلك الثلاثة في وضوح التعلق وخصائه صحح في  
طريق إفادته الوجود والغياب . وإذا عرفت هذا عرفت أن صاحب علم  
البيان له فضل احتياج إلى التعرض لأنواع دلالات الكلام<sup>(٢)</sup> . وتكلم على  
الدلالات وبنى تقسيم علم البيان عليها فأخرج التشبيه منه لأن دلالة وضعية  
لا يمكن بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ، وحصر الموضوعات الأخرى  
بقوله : « وإذا عرفت أن إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأسي إلا  
في الدلالات العقلية وهي الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما  
كزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه ، ظهر لك أن علم البيان مرجعه اعتبار  
الملازمات بين المعاني . ثم إذا عرفت أن الزوم إما تصور بين الشيئين فإما  
أن يكون من الجانبين كالذي بين الأمام والخلف بحكم العقل أو بين طول  
القامة وبين طول التجاد بحكم الاعتقاد ، أو من جانب واحد كالذي بين العلم  
والحياة بحكم العقل ، أو بين الأسد والجرأة بحكم الاعتقاد - ظهر لك أن  
مرجع علم البيان اعتبار هاتين الجهتين : جهة الانتقال من ملزوم إلى لازم ،  
وجهة الانتقال من لازم إلى ملزوم . ولا يريك بظاهرة الانتقال من أحد لازمي  
الشيء إلى الآخر ما إذا انتقل من بياض الثلج إلى البرودة فرجعه ما ذكر  
ينتقل من البياض إلى الثلج ، ثم من الثلج إلى البرودة  
فتأمل . وإذا ظهر لك أن مرجع البيان هاتان الجهتان  
علمت انصباب علم البيان إلى التعرض للمجاز والكنية فإن المجاز ينتقل فيه  
من الملزوم إلى اللازم كما تقول : « رغبنا الغيث » والمراد لازمه وهو النبت .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٥٦ .



وقد سبق أن اللزوم لا يجب أن يكون عقليا بل إن كان اعتقاديا إما لعرف أو  
 لعرف عرف ، « صح البناء عليه ، وأما نحو قولك : « أمطرت السماء بناء » أي  
 نيتا من المجازات المنتقل فيها عن اللازم الى المزموم فنسخرط في سلك  
 « رعينا الغيث » . وإن الكناية ينتقل فيها من اللازم الى المزموم كما تقول :  
 « فلان طويل النجاد » فلا يصار الى جعل النجاد طويلا أو قصيرا إلا لكون  
 القامة طويلة أو قصيرة ، فلا علينا أن نتخذها أصليا»<sup>(١٢)</sup> .

لقد حصر السكاكي علم البيان في بحثين هما : المجاز والكناية لأن  
 دلالتها عقلية ، أما التشبيه فقد أخرجه من البيان لأن دلالاته وضعية . وفيهم  
 من ذلك أن هذا الفن من الحقيقة لا المجاز ، ولكنه - مع ذلك - لم يستطع  
 أن يعمده عن علم البيان وهو الكثير الاستعمال في اللغة ، وله مزايا تورث  
 الكلام حسنا وجبالا . واضطر الى أن يصطحب طريقة فيها تكلف فقال :  
 « ثم إن المجاز - أعني الاستعارة - من حيث أنها من فروع التشبيه لا تحقق  
 بمجرد حصول الانتقال من المزموم الى اللازم ، بل لابد فيها من مقدمة تشبه  
 شيء بذلك المزموم في لازم له ، تستدعي تقديم التعرض للتشبيه فلا بد من  
 أن تأخذ أصلا ثالثا وقدمه ، فهو الذي إذا مورث فيه ملكت زمام التعرّب  
 في فنون البحر البياني»<sup>(١٣)</sup> . وليس التشبيه فنا طارئا وإنما هو كثير الدوران  
 في كلام العرب ، وقد قال اليربود : « والتشبيه جارح كثير في الكلام - أعني  
 كلام العرب - حتى لو قال قائل : هو أكثر كلامهم لم يمسد»<sup>(١٤)</sup> . فلم  
 البيان هو التشبيه والمجاز بأنواعه والكناية على الرغم مما حاول السكاكي  
 اصطناحه لأخراج التشبيه من البيان .

ولم يقف السكاكي عند هذه المسألة في دراسة علم البيان وإنما أسرف  
 في تقسيمه وتفرجج مباحثه ، واستخدم مصطلحات بعيدة عن فن القول في

(١٢) مفتاح العلوم ص ١٥٧ .

(١٣) مفتاح العلوم ص ١٥٧ .

(١٤) الكامل ج ٢ ص ٨١٨ .

ذلك التقسيم . ومن أمثلة ذلك الاسراف تقسيه طرفي التشبيبه السى أنواع كثيرة تربط بالحسي والعقلي والتخييلي والوهي ، وتقسيه الاستعارة الى ثمانية أنواع هي : الاستعارة المصرح بها التحقيقية مع القطع ، والاستعارة المصرح بها التخيلية مع القطع ، والاستعارة المكنية ، والاستعارة الأصلية ، والاستعارة التبعية ، والاستعارة المجردة ، والاستعارة الترشيفية . الى جانب تنوع الاستعارة الى خمسة أنواع كتنوع التشبيه اليها وهي : استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي أو بوجه عقلي ، واستعارة معقول لمعقول ، واستعارة محسوس لمعقول ، واستعارة معقول لمحسوس . ومن ذلك تقسيه المجاز الى خمسة أنواع منها الاستعارة التي قسمها الى ثمانية أقسام وأضاف اليها خمسة أنواع ، وتقسيه الكناية الى الكناية المطلوب بها نفس الموصوف ، والكناية المطلوب بها نفس الصفة ، والكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف .

وكان هذا التقسيم أساساً في دراسة علم البيان ، وقد قلل الخطيب القزويني في تعريفه : « هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه »<sup>٦٦</sup> . وكان قوله : « بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه » مدعاة للكلام على الدلالات . وذكر — كما ذكر السكاكي — أن إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة لا يتأني بالدلالة الوضعية ، لأن السامع إن كان عالماً بوضع الاقلام لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض وإلا لم يكن كل واحد منها دالاً<sup>٦٧</sup> وانما يتأني بالدلالات العقلية لجواز أن يكون للشيء لوازم بعضها أوضح لزوماً من بعض . قال : « ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له فهو مجاز وإلا فهو كناية ، ثم المجاز منه الاستعارة وهي ما تبنى على التشبيه ، فتبين التعرض له ، فانحصر المقصود في التشبيه والمجاز والكناية . وقدّم التشبيه على المجاز لما ذكره من ابتداء الاستعارة التي هي مجاز على

(٦) الإيضاح ص ٢١٢ ، التلخيص ص ٢٢٥ .

التشبيه . وقدم المجاز على الكناية لسزول معناها منزلة الجزء من الكل<sup>(١٧)</sup> . وبذلك استقرت مباحث علم البيان فكانت التشبيه والمجاز والكناية ، ودراستها بهذا الترتيب دقيق وإن حاول السكاكي والقزويني وشراح التلخيص إخراج التشبيه لأن دلالاته وضعية – ولكنهم على الرغم من ذلك – قدموه على المجاز لأن أحد أنواعه وهو الاستعارة مبني عليه .

وحاول أبو محمد القاسم الجلساني أن يدرس موضوعات علم البيان دراسة أخرى فعدّ الجنس الثاني من كتابه للتخييل وأدخل فيه التشبيه والاستعارة والمبالغة والمجاز ، وعدّ الجنس الثالث للاستعارة وأدخل فيه الكناية والتعريض والتلويح والابهام والتعمية والرمز والتورية<sup>(١٨)</sup> . وقد يكون هنا المنهج أكثر دقة ، لأن التشبيه والاستعارة وأنواع المجاز الأخرى متصل بالتخييل ، ولأن الكناية والتعريض والتورية ترتبط بالإشارة والمحة الفعالة . ولكن هنا المنهج لم يستدّ وظل منهج السكاكي ومن تعاه نحوه عمدة الباحثين حتى هنا العصر الذي تعالت فيه دعوات التجديد ، وكان المرحوم أمين الخولي من أكثر الباحثين اقتداراً على وضع منهج جديد لفن القول ، وقد أدخل التشبيه والاستعارة والكناية في صور الإيضاح المعلن<sup>(١٩)</sup> . وليس ذلك دقيقاً ، لأن هذه الفنون يقصد بها الخفاء أحياناً ، وتسميتها « التخييل » كما فعل الجلساني أقرب ، قال : « هذا الجنس من علم البيان يشتمل على أربعة أنواع تشترك فيه ويحل عليها من طريق ما يحتمل المتواطىء على ما تعه ، وهي نوع التشبيه ، ونوع الاستعارة ، ونوع المبالغة – وتقوم بدعوه التخييل – ونوع المجاز . وهذا الجنس هو موضوع الصناعة الشعرية<sup>(٢٠)</sup> » .

والحق السكاكي علم البديع بالبلاغة وقال بعد أن انتهى من بحث علمي المعاني والبيان : « وإذ قد تقرر أن البلاغة برجعيتها ، وأن الصراحة بتوعيتها ،

(١٧) الإيضاح ص ٢١٢ ، التلخيص ص ٢٢٧ .

(١٨) المنزوع البديع ص ٢١٨ ، ٢٦٢ .

(١٩) فن القول ص ٢٢١ . (٢٠) المنزوع البديع ص ٢١٨ .

ما يكسو الكلام حلة التزين وروقه أعلى درجات التحسين ، فهنا وجوه  
 مخصوصة كثيراً ما يشار إليها لتصد تحسين الكلام ، فلا ضير أن نشير إلى  
 الأعراف منها ، وهي قسان : قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى  
 اللفظ<sup>(١١)</sup> . ولم يسبقها بديعاً ، وكان بدر الدين بن مالك أول من أطلق  
 عليها ذلك وقال في تعريف علم البديع : « هو معرفة أنواع الفصاحة<sup>(١٢)</sup> »  
 وقسمه إلى محسنات لفظية ومحسنات معنوية ، والمعنوية أما مختصة بالافهام  
 والتبيين وأما مختصة بالتزين والتحسين ، أي أن البديع عنده ثلاثة أقسام  
 وهو ما لم يأخذ به البلاغيون ، وحينما ألف الخطيب القزويني « التلخيص »  
 و « الإيضاح » فصل علم البديع فصلاً تاماً عن البلاغة التي جعلها  
 محصورة في المعاني والبيان ، وقال : « إن البلاغة في الكلام مرجعها إلى  
 الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وإلى تمييز الكلام الفصح من  
 غيره . والثاني - أعني التمييز - منه ما يثبت في علم متن اللغة أو التصرف  
 أو النحو ، أو يدرك بالحس ، وهو ما عدا التعقيد المعنوي . وما يحتز به  
 عن الأول - أعني الخطأ - وهو علم المعاني - وما يحتز به عن الثاني -  
 أعني التعقيد المعنوي - هو علم البيان . وما يعرف به وجوه تحسين الكلام  
 بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته هو علم البديع<sup>(١٣)</sup> » . وقال  
 عن البديع : « هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على  
 مقتضى الحال ووضوح الدلالة<sup>(١٤)</sup> » .

والبديع عنه ضربان : ضرب يرجع إلى المعنى ، وضرب يرجع إلى  
 اللفظ ، ومن الأول : المطابقة بالمقابلة ، ومراعاة النظر ، والأرصاء ،  
 والاستطراد ، والمزاوجة ، والتورية . ومن الثاني : الجناس ، ورد العجز  
 على الصدر ، والسجع ، والموازفة ، والقلب ، والتشريع ، ولزوم ما لا يلزم .

(١١) مفتاح العلوم ص ٢٠٠ .

(١٢) المصباح ص ٧٥ .

(١٣) الإيضاح ص ١١ : التلخيص ص ٣٦ .

(١٤) الإيضاح ص ٢٢٤ ، التلخيص ص ٢٤٧ .

والبديع - عند القزويني - يصود على الكلام بالتحسين العرضي لا الذاتي مع أن كثيراً من الرواة يقتضيان الحال ويحتاج اليها الأديب كمنحة التفسير ، والمقابلة ، والمطابقة ، والمبالغة ، وسار أكد البلاغين على خطأ وخالفه بعضهم ، قال بهاء الدين السبكي : « يحتل أن يراد بعد معرفة رعاية تطبيقه ووضوح الدلالة ، ويكون المراد هو قواعد يعرف بها وجوه التحسين ووجوه التطبيق والوضوح . ومعرفة التطبيق والوضوح سابقان على معرفة التحسين فيكون المعاني والبيان جزأين للبديع . ويحتل أن يراد قواعد يعرف بها بعد معرفة التطبيق والوضوح وجوه التحسين فلا يكون المعاني والبيان جزأين للبديع بل مقدمتين له ، وقد صرحوا بأن المراد هو الأول . . . . . والحق الذي لا يتزعج فيه منصف أن البديع لا يشترط فيه التطبيق ولا وضوح الدلالة ، وأن كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال ومن الأيراد بطرق مختلفة ومن وجوه التحسين قد يوجد دون الآخرين . وأدل برهان على ذلك أنك لا تجدهم في شيء من أمثلة البيان يتعرضون الي بيان اشتغال شيء منها على التطبيق ولا تجدهم في شيء من أمثلة البديع يتعرضون لاشتغاله على التطبيق والأيراد . بل تجد كثيراً منها خالياً عن التشبيه والاستمارة والكتابة التي هي طرق علم البيان . هذا هو الانصاف وإن كان مخالفاً لكلام الأكثرين (١٥٠) » .

واضطربوا في توزيع فنون البديع فوضعوا قسماً منها في علم المعاني وأعادوا بعضها في علم البديع ، وطئة ذلك أنهم كانوا ينظرون اليه من زاويتين:

- الأولى : أن تحسبه عرضي .
- الأخرى : أن تحسبه ذاتي .

ومن ذلك الالتفات ، فقد تحدث عنه السكاكسي في علم المعاني وقال : « وبسبب هذا النقل التاماً عند علماء المعاني ، والعرب يستكثرون منه ويرون

(١٥٠) مروس الانراج ج) ص ٢٨٢ -

الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسن طريقة لشفاظه وأملا باستدرار أصغائه» (١٦٦) ، وأدخله ثانية في علم البديع وعمده من المحسنات المعنوية ، ولكنه لم يتكلم عليه واكتفى بقوله : « وقد سبق ذكره في علم المعاني » (١٦٧) ، وكان الزمخشري قد عدّه من البيان (١٦٨) وإن لم يقصد به علم البيان الذي ضبطه السكاكي بتعريفه وإنما يريد به البيان بعاما الواسع ، قال السكاكي تردد في وضع الالتفات وعطل ابن معثوب المغربي ذلك بقوله : « فإن قلت : لأي وجه خصصت به علماء المعاني مع أن عدّة الالتفات من البديع أقرب ، لأن حاصل ما فيه أنه يزيد طرافة وحسن طريقة فيصني إليه لطرافته وابتداعه ولا يكون الكلام به مطابقا لمتنصّي الحال فلا يكون من علم المعاني ، فضلا عن كونه يختص بهم فيسونه به دون أهل البديع ؟ قلت : أما كونه من الأحوال التي تذكر في علم المعاني فنصحيح كما إذا اقتضى المقام قائلته من طلب مزيد الأصغاء لتكون الكلام سؤالا ، أو مدحا أو إقامة حجة أو غير ذلك ، فهو من هذا الوجه من علم المعاني ، ومن جهة كونه شيئا طرفيا مستهدفا يكون من علم البديع ، وكثيرا ما يوجد في المعاني مثل هذا فليتهم ، وأما تخصيص علماء المعاني بالنسبة فلا حرج عليه ، والله أعلم » (١٦٩) .

ولولا تقسيم السكاكي للبلافة إلى علومها الثلاثة ما احتاج المغربي وغيره إلى هذا التحلل والافتراق في التأويل ، لأن الالتفات لا يستعمل من غير أن يؤدي معنى فيكون مطابقا لمتنصّي الحال وتكون فيه طرافة وملاوة . إن الانتقال من أسلوب إلى آخر لا يكون ، إلا إذا اقتضى الحال ذلك وأريد

(١٦٦) مفتاح العلوم ص ٩٥ .

(١٦٧) مفتاح العلوم ص ٢٠٢ .

(١٦٨) الكشاف ج ١ ص ١١ .

(١٦٩) مواهب الفتح ج ١ ص ٤٦٤ .

به نوع من الابداع والمتممة الثنية ، ولذلك ينطبق عليه تعريفنا علم المعاني وعلم البديع ، أي أنه من مقاصد الكلام وأساليب التعبير . لقد تآمر المتأخرون الى الالتفات هذه النظرة الجامعة ، فهو من البديع إن كان تحسينه عرضياً ، ومن المعاني إن كان تحسينه ذاتياً ، وأشار الدسوقي السلي هذه المسألة فقال : « واعلم أن المحسنات البديعية إنما يكون تحسينها عرضياً إذا اعتبرت من حيث أنها محسنة وهي من هذه الجهة يبحث عنها نبي علم البديع . وأما إذا اعتبرت من حيث أنها مطابقة لمقتضى الحال لتكون الحال اقتضاها كانت موجبة للحسن الذاتي ومن هذه الجهة يبحث عنها نبي علم المعاني . ولهذا ذكر المصنف فيه الالتفات الذي هو من المحسنات البديعية »<sup>(٢٠)</sup> . وقال المغربي : «إن البديعيات إذا قصد بها مناسبة الأحوال التي أوردت لأجلها عادت معاني ، والمعاني إذا دُخل عن تلك المناسبات فيها وأُتي بها لأجل طرائفها فقط كانت بديعيات»<sup>(٢١)</sup> . وليس وراء هذا النزاع كثير فائدة لأن كل فن بديعي إذا استعمل بدقة وعناية ووضع الوضع الذي يقتضيه المعنى كان جميلاً سواء عدّ تحسينه عرضياً أم ذاتياً .

وجاء بعد القزويني أصحاب البديعيات ولكنهم لم يريدوا بالبديع المحسنات المعنوية واللغوية وحدها وإنما فنون البلاغة كلها أي أن ظنهم كانت قريبة من نظرية ابن المعتز وأبي هلال العسكري وابن رشيق وأسامة ابن منقذ . ولم تؤثر البديعيات كثيراً في البحث البلاغي ، وساد منهج السكاكي والقزويني وشراح التلخيص ، وأصبح البديع خاصة بالمحسنات التي يؤتى بها لتحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة . وحاول المحدثون أن يحددوا في منهج البديع وبحثوا فنونه تصنيفاً جديداً يقوم على جميع الأقسام والنظائر ومنهم أودر مرقص الذي ردها الى الموافقة ، والمغاظة ، والترتيب والمبالغة ، والاستدراج ، والتلميح ، وحسن التعليل ،

(٢٠) حاشية الدسوقي ج ١ ص ١٣١ .

(٢١) مواهب الفتح ج ٢ ص ٢٢٤ .

والإيهام ، والتنسيق ، والتوليد ، والكلام الجامع<sup>(٢٢٢)</sup> . وأدخل في  
المخالفة - مثلا - الطباق ، والمقابلة ، وإيهام المتضاد ،  
والمناقضة والعكس والتزيق والسلب والإيجاب والرجوع والاستفراك .  
ومنهم أئیس المقدسي الذي ردها الى ستة أبواب هي : التعادل ، والتواظر  
اللفظي ، والتواظر المعنوي ، والمقابلة ، والخروج عن المعتاد ، والأياء الى  
الغرض<sup>(٢٢٣)</sup> . وأدخل في التعادل - مثلا - التوازن والمباينة والسجع  
والتسيط والترصيع والتزاوج . وهذا أقرب الى ما ذكره السجاسي الذي  
حصر البلاغة في عشرة أبواب هي : الإيجاز ، والتخييل ، والإشارة ،  
والمبالغة ، والرصف ، والمظاهرة ، والتوضيح ، والاتساع ، والاقتناء ،  
والتكرير . وذكر في الرصف - مثلا - الأرصاء والمقابلة والاتينات  
والتقسيم والتسهيل .

ووزع المرحوم أمين الخولي بعض فنون البديع على عدة أبواب  
فذكر في الكلمة من حيث هي عنصر لغوي : الجنس ، والسجع ، والترصيع ،  
والتصریح ، ورد العجز على الصغر ، ولزوم ما لا يلزم ، ووضع في الكلمة  
- من حيث هي جزء الجملة - الالتفات ووضع في صور الأيضاح المعلن القلب  
وأسلوب الحكيم والمبالغة والتأكيد المدح بما يشبه الذم والتضييع والتهميم  
والإهباب والتهمك والتجاهل ، ووضع في صور التعبير المضللة السرمد  
والأياء ، والالغاز ، والتورية والاستخدام والاتساع<sup>(٢٢٤)</sup> . وهذا توزيع  
طريف وان كان أسلوب الحكيم - مثلا - ليس من صور الأيضاح المعلن  
وانما هو من صور التعبير المضللة. ويتفق رأي الخولي - بعد ذلك - أقرب  
الأراء في توزيع فنون البديع وإن لم يكن الأخير .

#### التطبيق :

ليس في كتب البلاغة المتأخرة ما يقع كثيرا في دراسة فنون البيان

(٢٢٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد التاسع عشر ص ٢٨١ .

(٢٢٣) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ( المجلد الثلاثون ) ص ٣٥ .

(٢٢٤) فن القول ص ٢١٧ - ٢٢٢ .



والبدیع لأن أصحابها كالسكاكي والخطيب والفروسي وسعدالدين  
 الشافزاني وبيهاالدين السبكي وابن يعقوب المغربي والدمسوقي أرسلوا في  
 التقسيم وضبط القواعد والاقوال من الأمثلة وتحليلها . ولعل العودة إلى  
 الكتب التي تقدمتها كالمثل السائر لابن الأثير ودلائل الاعجاز وأسرار  
 البلاغة لعبدالقاهر تفي عن هذه الكتب المتأخرة ، وترجع إلى البلاغة  
 العربية أصالتها ، لأن ابن الأثير وعبدالقاهر اعتصما على التحليل العلمي  
 أولا وعلى الذوق السليم ثانيا ، أي أن القاعدة والذوق كانا أساس الابداع  
 في كتبها . والوقوف على هذه الكتب يرفد البحث البلاغي بالجددة والظرافة  
 ويقود إلى عمل نقدي خلاق يدع فيه الناقد أبنا ابداع .

لقد تحدث السكاكي عن التشبيه وقال إنه « مستدع طرفين مشبها  
 ومشبها به واشتركا بينهما من وجه وانترافا من آخر » مثل أن يشتركا  
 في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو بالعكس . فالأول كالإنسانين إذا اختلفا  
 صفة طولاً وقصراً ، والثاني كالطيرين إذا اختلفا حقيقة انساءً وفرساً .  
 وإلا فانت خبير بأن ارتجاع الاختلاف من جميع الوجوه حتى التعين يأبى  
 التمدد فيطل التشبيه ، لأن تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفاً بمشاركته  
 المشبه في أمر ، والشيء لا يتصف بنفسه كما أن عدم الاشتراك بين الشئين  
 في وجه من الوجوه ينسلك محاولة التشبيه بينهما لرجوعه إلى طلب الوصف  
 حيث لا وصف ، وأن التشبيه لا يصر إلى إلا لغرض وإن حاله تفاوت  
 بين القرب والبعد ، وبين القبول والرد<sup>(٢٥)</sup> . وهذا هو معنى التشبيه عند  
 البلاغيين غير أن السكاكي أسرف في التفسيرات والنظر إلى هذا الصن  
 نظرة عقلية ، وتحدث عن طرفيه ووجه الشبه والغرض منه وأحواله . وليس  
 الغريب مثل هذا التفصيل ولكن الغريب أنه لم يظهر دواعي التشبيه والتشليل  
 مثلما أظهرها عبدالقاهر الذي قسم التشبيه إلى ضربين<sup>(٢٦)</sup> :

(٢٥) مفتاح العلوم ص ١٥٧ .

(٢٦) أسرار البلاغة ص ٨٠ .

الأول : أن يكون من جهة أمر يبين لايحتاج فيه الى تأويل مشغل أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة ، أو أن تجمع الصورة واللون معاً كقول الشاعر :

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى كعتقود ملاحية حين نوراً  
الآخر : أن يكون الشيء محصلاً بضرب من التأويل مثل : « هذه حجة كالشمس في الظهور » وقد شبهت الحجة من جهة ظهورها ، ولكن هذا التشبيه لا يتم إلا بتأويل . قال « حقيقة ظهور الشمس وغيرها من الاجسام أن لا يكون دونها حجاب ونحوه ما يحول بين العين وبين رؤيتها ، ولذلك يظهر الشيء لك ولا يظهر لك إذا كنت من وراء حجاب أو لم يكن يشك وبينه ذلك الحجاب . ثم تقول ان الشبهة ظن بالحجاب فيما يدرك بالعقول لأنها تمنع القلب رؤية ماهي شبهة فيه كما يمنع الحجاب العين أن ترى ما هو من وراءه ، ولذلك توصف الشبهة بأنها اعترضت دون الذي يروم القلب ادراكه ويصرف فكره للوصول اليه من صحة حكم أو لساده . فإنا ارتفعت الشبهة وحصل العلم بمعنى الكلام الذي هو الحجة على صحة ما ادعى من الحكم قيل : « هذا ظاهر كالشمس » أي ليس هناك مانع عن العلم به ولا للتوقف والتكافؤ فيه مسأغ ، وان المنكر له إما مدخول في عقله أو جاهد مباحث ومصرف في العناد ، كما ان الشبهة الطالعة لا يشك فيها ذو بصير ولا يشكرها إلا من لا ظهر له في انكاره . فقد احتجت نفسي بتحصيل الشبه الذي أبته بين الحجة والشمس التي مثل هذا التأويل كما نسرى » (٢٧٦) .

وما طريقة التأويل يتفاوت تفاوتاً شديداً ، فمنه ما يضرب مأخذه ويسهل الوصول اليه ويعطي المقادة طوعاً حتى انه يكاد يدخل الضرب الأول الذي ليس من التأويل في شيء ، ومنه ما يحتاج فيه الى قسر من

التأمل ، ومنه ما يدق ويضض حتى يحتاج في استخراجِه الى قفص ووية  
والطب فكرة ، وفي ذلك مجال واسع للتفنن في القول ووصول الى أرفع  
فنون التشبيه وهو التشيل الذي يكون وجه الشبه فيه عقلياً مفرداً أو  
مركباً غير حقيقي ومحتاجاً في تحصيله الى تأويل كقول ابن المعتز :

استبرَّ على مَنَصَّرِ الحَسُو دِر ، فإن صَبَّرَكَ قائله  
فالتَّسَار تَأْكُلُ بَعْضُهُمَا إِنْ لَمْ تَجِيْدُ مَا تَأْكُلُه  
وقول صالح بن عبدالقدوس :

وإنَّ من أدَبته في الطَّبَا كالعسود يَنقُصُ المَاء في غَرْمِ  
حتى تراء مَورِقاً قاصراً بعد الذي أَبْصَرْت من يَبْسه  
وهذه الأبيات تحتاج الى تأويل ولا تفهم الصلة بين الاطراف إلا بقراب  
من التأمل وإطالة النظر .

والتشيل الذي هو أولى أن يسمى كذلك ما لا يحصل إلا من جملة  
من الكلام أو جملتين أو أكثر حتى أن التشبيه كلما أو غل في كونه  
عظيماً محضاً كانت الحاجة الى الجملة أكثر كقوله تعالى : « إنما مثل الحياقِرِ  
الدينا كماءٍ أُنزِلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرضِ مما يَأْكُلُ الناسُ  
والأنعامُ حتى إذا أَخَذَتِ الأرضُ زُخْرُفَها وازْهَيْتْ وطمأنت أهلُها  
أنهم قادرون عليها أتاهم أمرنا ليلاً أو نهاراً فطمأناها حصيداً كأن لم  
تكنْ بالأْسِ » (٢٢٨) . فقد كثرت الجمل حتى اتسا زى في هذه الآية  
الكريمة عشر جمل إذا فصلت ، والشبهه منتزح من مجموعها من  
غير أن يمكن فصل بعضها من بعض ولا حذف شيء منها ، فلو حذفت  
جملة واحدة من أي موضع كان أخل ذلك بالفهم من التشبيه ولم يبق  
الصورة المركبة . ولا ينبغي أن تعد الجمل في هنا النحو بعد التشبيهات

التي يضم بعضها الى بعض والأمراض الكثيرة التي كل واحد منها متعرد  
 ينضم بل بعدة جملة تشسكي ثانية منها على أوثة وثالثة على ثابثة وهكذا .  
 فإن ما كان من هذا الجنس لم ترتب له الجبل ترتيباً مخصوصاً حتى يجب  
 أن تكون هذه سابقة وتلك قالية لها والثالثة بعدها . فني قولنا : « زيد  
 كالأسد بأساً ، والبحر جوداً ، والسيف مضاً ، واليد بجهداً » لا ينبغي أن  
 ترتب هذا الترتيب دائماً بل تستطيع أن تقدم وتؤخر فيه من غير أن تختل  
 الصورة ، وكذلك قول الشاعر :

العشيرة منك والوجود دنا لير والطراف الأكمة غنم

فستطيع أن ترتب ترتيباً آخر لولا الوزن ولاستطيع ذلك في الآية ،  
 لأن كل جزء فيها يتوحد الى الجزء الذي يليه .

ومن أروع صور التحليل عند عبد القاهر كلامه على التمثيل ، وهو  
 على وجهين (٢٩١) :

الأول : أن يجيء في أعقاب المعاني .

الأخر : أن يبرز المعنى باختصار في معرضه وينقل عن صورته الأصلية  
 الى صورته . قال : « واعلم أن ما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء  
 في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورته  
 الأصلية الى صورته كسأها آية وكسبها منية ورفع من أقدارها وشبه من  
 لارها وضاعف قوامها في تحريك النفوس لها ودعا القلوب اليها واستثار لها  
 من أنامي الأفتدة صباية وكلها وقصر الطباع على أن تعطىها محبة وشغفا .  
 فإن كان مدحا كان أبيي وأفخم ، وإن كان ذمياً كان مثه أوجع ، وإن كان  
 حياجا كان برهانه أنور ، وإن كان افتخاراً كان شاره أمد ، وإن كان احتذاراً  
 كان الى التبول أقسرب ، وإن كان وعظاً كان أشفى للصدر ، وهكذا الحكم

(٢٩١) إمرار البلاغة ص ١٠١ وما بعدها .

إذا استقرت فنون القول وضروبه وتثبت أوابه وشعره وإن أوتت أن تعرف ذلك وإن كان قلَّ الحاجة فيه إلى التعرف ويستني في الموقف عليه عن التوقيف فأنظر إلى نعر قول البحري :

دانر على أيدي العتاة وشاح " عن كل ندر في الندى وضسريب  
كالبدر أنكرطه في العلو وضوؤه للمصيبة السارين جنة قريبير  
وفكر في حاله وحال المعنى ملك وأنت في البيت الأول لم تنسب إلى  
الثاني ولم تدبر نصرته إياه وتشيله له فيما يلي الإنسان عيشاء وسؤدي  
إليه فأضراء ثم قهبا على الحال وقد وقتت عليه وتأملت طرفيه فسألت  
علم بعد ما بين حالتك وشدة تناوبها في تسكن المعنى لديك وتحيه إليك  
وبله في فسك وتوفيره لانسك وتحكم لي بالصدق فيما قلت والحق  
فيما ادعيت « . فالتشكيل ينهل ويجود بمقدار تأثيره في النفوس وليسنا  
التأثير أسباب وعقل ، فأول ذلك وأظهره أن أنس النفوس موقوفه على أن  
تخرجها من حضي إلى جلي وتأيها بصرح بعد مكني وأن تردنا في الشري  
تعلقها إياه إلى شيء آخر هي بشاه أطم وثقتها به في المعرفة أحكم ، بعد  
أن تنقلها عن العقل إلى الاحساس وعما يعلم بالسكر إلى ما يعلم بالاضطرار  
والطبع ، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركز فيها من جهة التبع  
وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في الترة والاستحكام  
وبلوغ الثقة فيه غاية التمام كما قالوا : « ليس الخير كالثابتة » و « لا اللين  
كاللين » فلماذا يحصل بهذا العلم هذا الأأس ، أي الأأس من جهة  
الاستحكام والقوة .

وضرب آخر من الأأس وهو ما يرجبه تقدم الالف كما قيل : « ما الحب  
إلا للحبيب الأول » ، ومعلوم أن العلم الأول أنس النفس أولا  
عن طريق الحواس والطباع ، ثم من جهة الفكر والروية فهو  
إذن أسخى بها رحما وأقوى لديها فعما وأقدم لها صحة وأكد  
عندنا حرمة . فأت إذن مع الشاعر وغير الشاعر إذا وقع المعنى في فسك

غير مثل ثم مثله كمن يغبر عن شيء من وراء حجاب ثم يكشف الحجاب  
ويقول : هاهو ذا فأبصره تجده على ما وصفت .

والمعاني التي يجيء التشليل في بعضها على ضربين :

الأول : غريب بديع يمكن أن يخالف فيه ويضحي امتناعه واستحالة  
وجوده وذلك نحو قول المتنبي :

فإن تشق الأمامَ وأنت منهم فإن المسكَ بعضُ دهر العزالِ

الأخر : أن لا يكون المعنى الممثل غريباً يحتاج في دعوى كونه على  
الجملة إلى بينة وحجة وإثبات كتقول الشاعر :

فأصبحتُ من ليلى الخداة كقائمه على الماء خاتته فزوجُ الأصابعِ

فائدة التشليل وسبب الالس في الضرب الأول يتن لائح لأنه يفيد  
فيه الصحة وينفي الريب والشك ويؤمن صاحبه من تكذيب المخالف وتهمم  
الشكر وتهكم المعترض . وأما الضرب الثاني فإن التشليل وإن كان لا يفيد  
في هذا الضرب من الفائدة فهو يفيد أمراً آخر يجري مجراه وذلك أن  
الوصف كما يحتاج إلى إقامة الحجة على صحة وجوده في نفسه وزيادة  
الثبت والتقوى في ذاته وأصله فقد يحتاج إلى بيان التصدير فيه ووضع  
قياس من غيره يكشف عن حده ويميل في القوة والضعف والزيادة  
والنقصان .

وسبب ثالث موجب لهذا الحسن وذلك التأثير هو أن تصور الشيء من  
الشيء في غير جنسه وشكله والتقاط ذلك له من غير محله واجتلابه إليه  
من اليف البعيد باباً آخر من الظرف واللفظ ومنها من مذاهب الأسمان  
لا يخفى موضعها من العقل . وأحضر شاهد على هذا أن تظفر إلى تشبيه  
الشاهدات بعضها ببعض فإن التشبيهات سواء كانت مشتركة أم خاصة  
مقصورة على قائل دون قائل تراها لا يقع بها اعتداد ولا يكون لها موقع من  
السامعين ولا تهز ولا تحرك حتى يكون الشبه مقرواً بين شيئين مختلفين في

الجنس ، فتشبه العين بالترجس عامي مشترك معروف في أجيال الناس جازم في جميع العادات ، وأنت ترى بعد ما بين العينين وبينه من حيث الجنس ، وتشبيه الثريا بما شبهت به من عقود الكرم المنسور ، والتلجج المفضض والوشاح المتصل وأشباه ذلك خاصي ، والتباين بين التشبه والتشبه به في الجنس على ما لا يخفى . وهكذا إذا استقرت التشبيهات وجهدت التباعد بين الشئين كلما كان أشد كانت الي النفوس أعجب وكانت النفوس لها أطرب وكان مكانها الي أن تحدث الاربعية أقرب . وذلك أن موضع الاستحسان ومكان الاستطراف والمثير للفتن من الأرياح والمثائف للناظر من المرأة والمؤلف لأطراف البهجة المك ترى بها الشئين متباينين ومؤلفين مختلفين وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض وفي خلقة الانسان وخلال الروض ، وهكذا طرائف تشال عليك إذا فصلت هذه الجيلة وتبعت هذه اللجة ، ولذلك تجد تشبيه البنسج في قوله :

ولا زوردية ترهبو بزرقتهما      بين الرفاض على حشر اليواقيت  
كأثما فوق قاعات شعثن بها      أرائق النار في أطراف كبريت

أغرب وأعجب وأحق بالولوع وأجمل من تشبيه الترجس بندا من درة حشوهن عقيق ، لأنه أراك شبا نبات غض يرف وأوراق وطية ترى الماء منها يشف من لهب نار في جسم مستوئم عليه اليس ويد في الكلف . ومبنى الطباع وموضوع الجيلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يمد ظهوره وخرج من موضع لم يبعدهن له كانت حياطة النفوس به أكثر وكان بالشغف منه أجمل .

وإذا ثبت هذا الأصل وهو أن تصور التشبه بين المختلفين في الجنس مما يحرك قوى الاستحسان ويثير الكلامن من الاستطراف فإن التمثيل أخص شيء بهذا الشأن وأسبق جازم في هذا الرهان . وهل تشك في أنه يصل عمل السحر في تأليف التباين حتى يختصر لك بعد ما بين المشرق

والتقرب ويصنع ما بين المشتم والمعرق ، وهو يريك للمعاني المثلة بالأوهام  
شبهاً في الأشخاص المائلة والأشباح القائمة وينطق لك الأخرس ويعطيك  
البيان من الأعجم ويريك الحياة في الجساد ويريك التام عين الأعمى  
فيأتيك بالحياة والموت مجموعين والماء والنار مجتمعين .

وسبب رابع لوها الحسن والتأخير هو أن المعنى إذا أتاك مثلاً فهو  
في الأكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك الى طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له  
والهمة في طلبه ، وما كان منه اللفظ كأن امتناعه عليك أكثر وإيقاظه  
أشهر واحتجاجه أشد . ومن الركوز في الطباع ان الشيء إذا نيل  
بعد الطلب له أو الالتحاق اليه ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أعلى وبالمرّة  
أولى فكان موقفه من النفس أجل واللفظ وكانت به أضن وأشفق ، ولذلك  
ضرب المثل لكل مالطف موقعه يبرء الماء على الظأ كما قال القاسمي :

وهنّ يشبهنّ من قوله يصصينّ به مواقع الماء من ذي العتلة الصادي  
وأشياء ذلك مما ينال بعد مكابدة الحاجة اليه وتقدم المطالبة من  
الضئ به .

ومضى عبدالقاهر في تحليل التشليل وكشف عن جماله وتأثيره في  
النفوس ، وعرض لفصاحته وبلاغته وقال إن فصاحته علفية أو معنوية  
لا لفظية ، وذلك « انه ليس من عاقل يشك إذا نظر في كتاب يزيد بن الوليد  
الى مروان بن محمد حين بلغه انه يتلأ في بيعته : « أما بعد فاني أراك  
تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيها شئت  
والسلام » . يعلم أن المعنى انه يقول له : « بلغني أنك في أمر البيعة بين  
رأين مختلفين ، ترى قارة ان تباع وأخرى ان تمتع من البيعة ، فإذا  
أتاك كتابي هذا فاعمل على أي الرأي شئت » . وان لم يعرف ذلك من  
لفظ التقديم والتأخير أو من لفظ الرجل ولكن بان علم انه لا معنى لتقديم  
الرجل وتأخيرها من رجل يدعى الى البيعة ، وان المعنى اني اطلب ان



يقول : «إن مثلك في ترددك في أن تباع وبين أن تنتع مثل رجل قائم ليذهب في أمر فبعلت نفسه تراه تارة» أن الصواب في أن يذهب وأخرى أنه في أن لا يذهب فجعل يقدم رجلاً تارة ويؤخر أخرى . . وهكذا كل كلام كان ضرب مثل لا يخفى على من له أدنى تمييز أن الأغراض التي تكون للناس في ذلك لا تعرف من الالتفات ولكن تكون المعاني الحاصلة من مجروح الكلام أدلة على الأغراض والمقاصد» (٢٠) .

ومثال آخر هو الاستعارة التي تعدّ أهم صور التخيل ، وقد بحثها البلاغيون بصور مختلفة ، ولكن نتيج السكاكي في بحثها ساد الدراسات البلاغية وأحالتها قواعد لا تحصى كثيراً وأقسامها يطل المدارس فيها . وكسان معاصره ابن الأثير أجد منه عن القواعد والتقسيمات لقد نظر إليها نظرة تعتمد على الفوق ولم يحكم فيها الأصول المنطقية والتعليلات العقلية ، وعلق على قوله تعالى : «المر كتاب» أثرائاه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور» (٢١) بقوله :

«فالظلمات والنور استعارة للكفر والايان أو للضلال والهدى والمستعار له مطوي الذكر كانه قال : لتخرج الناس من الكفر الذي هو كالظلمة إلى الايمان الذي هو كالنور» (٢٢) . وقال بعد أن ذكر آيات ذلك الجن :

لما ظنرت الي عن حندي المها ووسكتت عن متفتح الشوادر  
وعفقتت بين قضيب بلذ أهيفر وكثيب رمل عقدة الزنار  
عشرت حدي في الثرى لك طامعاً وعزمت فيك على دخول النار

وهذه الآيات لا تجد لها في الحسن شريكاً ولأن يسي قائمها شعوراً  
أولى من أن يسي ديكا» (٢٣) . وقال بعد آيات ذلك الجن الأخرى :

(٢٠) دلائل الإعجاز ص ٢٢٨ .

(٢١) سورة ابراهيم ، الآية ١ .

(٢٢) المثل السائر ج ١ ص ٢٧١ . (٢٣) المثل السائر ج ١ ص ٢٧٧ .

لا ومكان الصليب في النهر مثلك ومجرى الزمان في الخطر  
والخال في الخد إذ أشبهته ورمقه بسنك على شوى يتر  
وحاجب منذ خطه قلمك إلى حسن بحر البهاء لا العشر  
واقصوان فيك منتظهم على شبيه من رأسك الضمر  
« فاليق الرابع هو المخصوص بالاستعارة ، والمستعار له هو  
الشعر والريث » (٢١) .

وليس في هذا التحليل عمق ولكنه يستند على الذوق ويفصح عن  
الهدف بأقرب عبارة . وكان تحليل عبدالقاهر للاستعارة أحسن وأقرب  
إلى المنهج اللغوي المتشد على العلاقات بين الكلم ، قال عن : « وسألت  
باعتناق المظي الأبطالح » : « وليست الغرابة في قوله : « وسألت باعتناق  
المظي الأبطالح » على هذه الجملة وذلك أنه لم يرغب لأن جعل المظي في سرعة  
سيرها وسهولته كالماء يجري في الأبطالح فإن هذا شبه معروف ظاهر ، ولكن  
الدقة واللفظ في خصوصية ألقاها بأن جعل « سال » فعلاً للأبطالح ثم  
عداه بالباء ثم بأن أدخل الاعتناق في البيت فقال : « باعتناق المظي » ولم  
يقبل بالمظي ، ولو قال : « سألت المظي في الأبطالح » لم يكن شيئاً . وكذلك  
الغرابة في البيت الآخر ليس في مطلق معنى « سال » ولكن في تعديته بـ « على »  
والياء ، وبأن جعل فعلاً لقوله « شعاب الحي » . ولولا هذه الأمور كلها  
لم يكن هذا الحسن ، وهذا موضع يدق فيه الكلام (٢٢) . وهذا تحليل  
لغوي أظهر روعة الاستعارة ، وقد حلل عبدالقاهر هذه الاستعارة تحليلاً  
آخر وسور المعنى مجسداً في الأبيات :

ولما قضينا من ميني كل حاجة ومسح بالاركان من هو مسح  
وشدت على دهم الهادي رحانا ولم ينظر الغادي الذي هو رائج  
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وسألت باعتناق المظي الأبطالح

(٢٢) القل السائر ج ١ ص ٣٧٧ . (٢٥) دلائل الإيجاز ص ٦٠ .

قال : « اظهر هل تجد لاستحسانهم وحسنهم وثباتهم ومدحهم مندرفاً  
إلا الى استعارة وقعت بموقعها وأصابت غرضها ، أو حسن ترتيب تكامل  
معه البيان حتى وصل المعنى الى القلب وصول اللفظ الى السمع واستقر في  
الفهم مع وقوع العبارة في الاذن ، وإلا الى سلامة الكلام من العشو  
غير المفيد ، والفضل الذي هو كالزيادة في التحديد وهي داخل المصاني  
المقصودة مداخله الطفيلي الذي يستقل مكانه والاجنبي الذي يكره  
حضوره ، وسلامته من التقصير الذي يفترق معه السامع الى طلب زيادة  
بقيت في فس المتكلم فلم يدل عليها بلفظها الخاص بها واعتمد دليل حال  
غير مفسح أو نيابة مذكور ليس لتلك النية يستلج . وذلك ان أول  
ما يتفكك من محاسن هذا الشعر انه قال : « ولما قضينا من منى كل حاجة »  
فبصر عن قضاء المناسك بأجمعها والخروج من فروضها وسنتها من طريق  
أمكنه أن يقصر مع اللفظ وهو طريقة العموم ثم نبه بقوله : « ومسح  
بالأركان من هو مسح » على طواف الرضاع الذي هو آخر الأمر ودليل  
المسح الذي هو مقصوده من الشعر ، ثم قال : « أخذنا بأطراف الأحاديث  
بيننا » فوصل بذكر مسح الأركان ما يليه من زم الركاب وركوب الركبان .  
ثم دل على بقية « الأطراف » على الصفة التي يختص بها الرضخان في السفر  
من التصرف في فنون القول وشجون الحديث أو ما هو عادة المتطوفين من  
الإشارة والتلويع والرمز والاياء ، وأما بذلك عن طيب النفوس وقوة  
التشاط وفضل الاعتباط كما توجه أئمة الاصحاب وأئمة الأحياب ،  
وكما يليق بحال من وفق لقضاء العبادة الشريفة ورجا حسن الأياب وتسم  
روائع الأجابة والأوطان واستماع التهاني والتحايا من الخلائق  
والأخران ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة طبق فيها مفصل التشبيه وأفاد  
كثيراً من الفوائد بلطف الوحي والتببيه ، فصرح أولاً بما أوما اليه فسي  
الأخذ بأطراف الأحاديث من أنهم تنازعوا أحاديثهم على ظهور الرواحل وفي  
حال التوجه الى المنازل ، وأخير بعد بسرعة السير ووطء القهبر ، إذ جعل

سلامة سيرها بهم كأنها تسيل به الأباطح ، وكان في ذلك ما يؤكد ما قبله لأن الظهور إذا كانت وطيفة وكان سيرها السير السهل السريع زاد ذلك في نشاط الركبان ، ومع ازدياد النشاط يزداد الحديد طيباً . ثم قال : « بأعناق المطي » ولم يقل « بالمطي » لأن السرعة والبطة<sup>٢٣٦</sup> يظهران غالباً في أعناقها وبين أمرها من هوائها وصورها ، وسائر أجزائها تستند إليها في الحركة وتتبعها في الثقل والخفة ويمبر عن المرح والنضباط إذا كان في أضها بأفعل لها خاصة في العنق والرأس ويدل عليهما بمائل مخصوصة في المقادير<sup>(٣٦٦)</sup> .

هذه صورة لتحليل عبدالقاهر وإن كان متأثراً فيه بابن جني<sup>(٣٦٧)</sup> ، وقد أظهر فيه روعة الاستعارة والعلاقة بين الجمل التي أحدثت مشاهد لا يحسن بها إلا<sup>٢٣٧</sup> من شهد موسم الحج وذاق حلاوة الشوق إلى الأهل والأوطان<sup>٢٣٨</sup> . وكان ابن قتيبة قد نظر إلى الأبيات نظرة تختلف عن نظرة ابن جني وعبدالقاهر ورأى أنها ما حسن لفظه وطاب وليس وراء ذلك كبير معنى . قال : « هذه الألفاظ — كما ترى — أحسن شيء مخرج ومضارع ومقاطع، وإذا نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته: ولما قطعنا أيام منى واستلنا الأركان وعالينا أبلنا الاقضاء ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح ، ابتداءً في الحديث وسارت المطية في الأبطح »<sup>(٣٦٨)</sup>

وفرق كبير بين هذا التحليل وتحليل ابن جني وعبدالقاهر اللذين جعلنا المعنى تجسيدا ، وجعلنا السامع يهتز للأبيات ويمتريه الشوق إلى موقف الحج وطواف الوداع والتأهب للعودة إلى الأهل والوطن . وفي ذلك تأثير للاستعارة التي تجلت في الأبيات ، وهي استعارة جاءت من ارتباط الكلم وأخذ بعضه بأطراف بعضه الآخر .

(٣٦٦) اسرار البلاغة ص ٢٢ — ٢٣ .

(٣٦٧) الخصائص ج ١ ص ٢١٨ — ٢٢٠ .

(٣٦٨) الشعر والشعراء ج ١ ص ٦٦ — ٦٧ .

وليست فنون البديع بأقل أهمية من فنون البيان ، فقد حفل الشعر الجاهلي وكتاب الله العزيز وحديث الرسول الكريم والشعر الإسلامي بصور كثيرة منه ، فالمطابقة والمذهب الكلامي والمبالغة وغيرها من المحسنات المنوية يتطلبها المعنى ويقتضيها التعميم والجناس والسجع والموازنة وغيرها من المحسنات المنوية تثير في النفس مالا يثيره الكلام حينما يجيء مخلوفاً من عذب اللفاظ .  
ولعل الذي جعل الأديبه والنقاد يفرون من صور البديع هو ما أرفقه فيه المتأخرون من الأكتار منها والتسابق في إيجاد الروان الجديدة لايقبلها الذوق الرفيع . وكان الأوائل قد اكتفوا بما له أثر في الكلام ، ويوضح ذلك في كتاب « بديع القرآن » لابن أبي الأصبغ المصري الذي جمع كثيراً من فنون البديع التي جاءت في كتاب الله وكان لها موقع حسن وبيان بليغ .  
وأهل الخطيب القزويني كثيراً ما كان شائعا في عصره لأنه لم يجد فيها روعة وجالا ، قال بعد أن انتهى من بحث البديع : « وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنفين منها ما يتعين احواله لأحد سببين لعدم دخوله في فن البلاغة نحو ما يرجع في التحسين الى الخط دون النظم مع انه لا يخلو من التكلف كتكون الكلمتين متماثلتين في الخط وكون الحروف متقوطة أو غير متقوطة ونحو ما لا أثر له في التحسين كما يسمى التريده . أو لعدم جدواه نحو ما يوجد في كتب بعض المتأخرين ما هو داخل فيها ذكرناه كما ساء الايضاح فانه في الحقيقة راجع الى الأطناب ، أو خلط فيه ، كما ساء حسن البيان»<sup>(١٣٦)</sup> .

ومثال فنون البديع الجناس أو التجنيس وهو فن اهتم به البلاغيون والنقاد ، ووضع ابن المعتز ثاني فنون بديعه الخمسة وقال : « وان تجيء الكلمة تجالس أخرى في بيت شعر وكلام»<sup>(١٣٧)</sup> . واهتم به عبدالقاهر وأشار الى بعض أنواعه وذكر أنه لا يحسن إلا اذا اقتضاه المعنى وتطلبه ، قال : « فانك لا تجد تجنيسا مقبولا ولا سجا ممتنا حتى يكون المعنى هو الذي

(١٣٦) الايضاح ص ٤٠١ . (١٣٧) البديع ص ٢٥ .

طلبه واستدعاء وساق نحوه ، وحتى تجده لا تبني به بدلاً ولا تجد عنه  
حولاً . ومن هنا كان أعلى تجنيس تسميه وأعلى وأحقه بالحسن وأولاه  
ما وقع من غير قصد من التشكلم الى اجتزابه وتأهب لطلبه ، أو ما هو الحسن  
ملاسته . وإن كان مطلوباً — بهذه المنزلة وفي هذا الصوة وذلك كما يتناولون  
به أبداً من قول الشافعي — رحمه الله تعالى — وقد سئل عن التبيذ فقال :

« أجمع أهل الحرمين على تحريمه » . وما تجده كذلك قول البحري :

يخشى عن المجد الغي\* وليس ترى في مؤدد أرباً لغير أرب

وقال : « فإن ساعدك الجد كما ساعدني قوله : « أو دعاني أمّت بما

أو دعاني » وكما ساعد أبا تمام في نحو قوله :

وأجدثتم\* من بعد إتهام داركم فيادشع\* أشجديني على ساكني نجف

فذاك ، وإلا\* أطلقت السنة العيب وأفضى بك طلب الاحسان من حيث

ثم يحسن الطلب الى أمثل الاساءة واكبر الذنب « . وعمل جسد الجناس

بقوله : « أما التجنيس فانه لا تسحسن تجانس اللفظين إلا اذا كان موقع

معنيهما من العقل موقفاً جيداً واما يمكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً .

أراك استضفت تجنيس أبي تمام في قوله :

ذاهبت\* بذهبه الساحة قانتوت\* في الظنون\* أمذهب\* أم مذاهب\*

واستحسن تجنيس القائل : « حتى فجا من خوفه وما فجا » وقول

المحدث :

فلتراه فيما جنسى فلظفراه أو\* دعاني أمّت\* بما أو دعاني

لأمر يرجع الى اللفظ ؟ أم لانه رأيت الفائدة ضمنت عن الاول وقسمت

في الثاني ؟ ورايتك لم يرد به « مذهب » و « مذهب » على ان أسماك

حروفاً مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكورة ؟ ورايت الآخر

قد أعاد عليك اللفظة كأنه يندمك عن الفائدة وقد أصطاعها ، ويوهيك لأنه لم

يردك وقد أحسن الزيادة ووفاهما ؟ فهذه السورة صار التجنيس وخصوصا المستوفي منه المثق في الصورة من حطى الشعر ومذكورا في أقسام البديع » . وقال « واعلم أن التكتة التي ذكرتها في التجنيس وجعلتها العلة في استجابة الفضيحة وهي حسب الأفادة مع أن الصورة صورة التكرير والاعادة وإن كانت لا تظهر الظهور التام الذي لا يمكن دفعه إلا في المستوفي المثق الصورة كتوله :

ما مات من كثرهم الزمان فانه يحيا لدى يحيى بن عبد الله

أو المرنو الجاري هذا المجري كتوله :

فالطراء فيما جنى فالطراء أو دعاني أمت بما أودعاني

فقد تتصوّر في غير ذلك من أقسامه أيضا ، كما يظهر ذلك فيه ما كان نحو قول أبي تمام :

يدون من أيدهم عواصر عواصم تصول بأسيافهم قواضير قواضير

وقول البحتري :

لئن صدقت عينا قريت أنتسرم صوانم إلى تلك الوجوه الصوادف  
وذلك أنك توهم قيل أن يرد عليك آخر الكلمة كاليم من « عواصم »  
والياء من « قواضب » أنها هي التي مضت وقد أرادت أن تعينك ثانية وتعود  
إيها مؤكدة حتى إذا تمكن في نفسك تمامها ووعي سمك آخرها انصرفت  
عن نكك الأول وزالت عن الذي سبق من التخيل ، وفي ذلك ما ذكرت لك من  
طوع الفائدة بعد أن يخاطبك اليأس منها وحصول الريح بعد أن تعالط فيه  
حتى ترى أنه رأس المال<sup>(٤١)</sup> . وهذا أسبق تعليل لجمال الجناس  
وذلك حينما يطلبه المعنى ويستدعيه ، وقد سار التزويرني على خطى عبدالقاهر  
في الحديث عن تأثير هذا الفن وجماله<sup>(٤٢)</sup> . ونقل السبكي عن صاحب

(٤١) أسرار البلاغة ص ٦ - ١٩ ، دلائل الإعجاز ص ٤٠١ - ٤٠٣ .

(٤٢) الإيضاح ص ٢٨٤ .

« كثر البلاغة » أن أهمية التجنيس هي الميل إلى الاسماء اليه ، فإن مناسبة الالفاظ تحدث ميلاً واسماءً اليها ، ولأن اللفظ المشترك إذا حصل على معنى ثم جاء المراد به معنى آخر كان للنفس تشويق اليه<sup>(١٢٧)</sup> . ولو نظر البلاغيون إلى هذا الفن كما نظر عبدالقاهر اليه ما أصبح فناً قبيحاً ، ولأخذ موقفه الصحيح الذي يقتضيه المعنى وشطبه الجرس البديع .

وحاول المحدثون أن يملأوا مجال هذا الفن فقال الدكتور ابراهيم سلامة إنه لا يخرج عن نظرية تناعي المعاني وتناعي الالفاظ في علم النفس ، فهناك الالفاظ متفقة كل الاتفاق أو بعكسه في الجرس وأختها فسي المعنى كما يولد المعنى الأول معنى ثانياً وثالثاً . وهذه الناحية النفسية هي التي تشرح لنا كيف يقع التجنيس للشاعر دون معناه إذا كان ملماً بلغته محسناً بنوعياً ، عالماً بتصاريفها واشتقاقها<sup>(١٢٨)</sup> . وأرجع علي الجندي مجاله إلى ثلاثة أسباب :

الأول : تناسب الالفاظ في الصورة كلها أو بعضها ، وهو ما يطمئن إليه القوق ويرتاح له .

الثاني : التجاوب الموسيقي الصادر من تماثل الكلمات تماثلاً كاملاً أو ناقصاً فيطرب الأذن ويوق النفس ويهز أوتار القلوب .

الثالث : التلاعب الإحكاذي الذي يلجأ اليه المجنسان لاختلاب الأذهان واختضاع التفكير<sup>(١٢٩)</sup> .

ولا يتكاد كلام هذين الباحثين يخرج عما ذهب اليه عبدالقاهر وإن استخدمنا المصطلحات الحديثة كتداعي الالفاظ وتناعي المعاني والتجاوب

(١٢٧) عروض الافراج ج١ ص ٢١٢ .

(١٢٨) بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ص ١١٧ .

(١٢٩) فن الجشاس ص ٢٩ .



ومثال آخر من فنون البديع هو « حسن التعليل » وذلك « أن يمدح لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي »<sup>(٤٦)</sup> . وهذا الفن من التخييل عند عبدالقاهر ، قال : « ولوح آخر وهو أن يمدح في الصفة الثابتة للشيء ، انه انما كان لعله يصفها الشاعر ويختلفها إما لأمر يرجع الى تعظيم الممدوح أو تعظيم أمر من الأمور »<sup>(٤٧)</sup> . ومن الغريب في ذلك قول الشاعر :

لو لم تكن نية الجوزاء خيد منته لما رأيت عليها عيقد<sup>١</sup> مشتطير<sup>٢</sup>

فقد عكلك اجتماع النجوم حول الجوزاء بأنها استعداد لخدمة الممدوح وإلا لما انتظم ذلك الانتظام . ومنه قول المتنبي :

لم تحبك فإلك السحاب<sup>٣</sup> وانما حبتك به فصيها الرطباء<sup>٤</sup>

فالسحاب لم تنزل المطر لأنها حبتك من نائل الممدوح وكرمه فكانت كالعرق الذي يتصب من جسم الممدوح . وقد تكون الشيء علة مشهورة عن طريق العادات والطباع ، ثم يجيء الشاعر فينتج أن يكون لتلك العلة المعروفة وضع له علة أخرى كقول المتنبي :

ما به قتل أعاديه ولكن بقي إخلاق<sup>٥</sup> ما رجو الذئاب<sup>٦</sup>

والمعروف ان قتل الرجل لعدوه يكون للدفاع عن النفس أو حماية الوطن ولكن المتنبي لم يذكر هذه العلة وانما قال إن سيف الدولة يقتل أعاديه لأجل إتمام الذئاب التي وعدا بأن يقدم لها لحم الاعضاء ، وهو يغل ذلك لكي لا يخلف وعده .

(٤٦) الإيضاح ص ٣٦٧ .

(٤٧) أسرار البلاغة ص ٢٥٦ .

ودراسة عبدالقاهر لهذا الفن من أبداع الدراسات القديمة وأحسنها ،  
 ولم يضب إليها أحد ما يكتسبها جدة أو بطورها ، وكل ما فعله الآخرون  
 أنهم لخصوا كلامه وأمثلة ، فالتزويهي - مثلاً - قسم حسن التعليل  
 إلى أربعة أقسام ؛ لأن الوصف إما ثابت قصد بيان طئه أو غير ثابت أريد  
 إتيانه ، والاول إما أن لا يظهر له في المادة علة أو يظهر له علة غير المذكورة ،  
 والثاني إما ممكن أو غير ممكن . وكلام عبدالقاهر أقرب من هذا الكلام إلى  
 دلالة حسن التعليل لأنه لم يقسم هذا الفن تقسيماً عقلياً ولم يدخل الممكن  
 وغير الممكن ؛ لأن الأمر يتعلق بالتخييل ، والتخييل ربما لا يكون ممكناً .  
 ولذلك جاءت دراسة عبدالقاهر طريقة لهذا الفن الذي يرتبط بالخيال والسى  
 ذلك أشار المحدثون فقال حامد عبدالقادر : « أما التعليل الأدبي وهو المسمى  
 بحسن التعليل فأساسه الخيال والعاطفة ، والعرض منه التأثير في الوجدان  
 وإدخال السرور على السامع بدخه أو التخفيف من وقع مصيبة أصابته  
 أو شدة ألم ألم به . . . أما التعليل العلمي فرده إلى العقل والتدبر العقلي  
 والبحث في طبائع الأشياء ، » . وفرق بينها من جانب آخر فقال : « إن  
 التعليل العلمي لتعليل واقعي موضوعي يرجع فيه العالم إلى الواقع والحقيقة ،  
 وإن التعليل الأدبي لتعليل ذاتي فني يرجع فيه الأديب إلى ذوقه الفني وخياله  
 الأدبي وعاطفته الجمالية » (١٨) . ولهذا نزعة فنية تظهر ما فني فنون البديع  
 من نعانٍ وصور وتكشف عما وراءها من دلالات ثابتة عن كثيرين .

(١٨) دراسات في علم النفس الأدبي من ١٩٦٩ - ١٩٧٠ .

## المصادر :

- ١ - أسرار البلاغة - عبدالقاهر الجرجاني . تحقيق ريش . استانبول ١٩٥٤م .
- ٢ - الإيضاح - الخطيب القزويني . القاهرة .
- ٣ - البديع - ابن المنذر . طبعة كرانسكونسكي . لندن ١٩٣٥م .
- ٤ - البديع في نقد الشعر - أسامة بن منقذ . تحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوي والدكتور حامد عبدالجيد . القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م .
- ٥ - بديع القرآن - ابن أبي الأصميص المصري . تحقيق الدكتور حفني محمد شرف . القاهرة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧م .
- ٦ - بلاغة أرسطو بين العرب واليونان - الدكتور إبراهيم سلامة . القاهرة ١٩٥٢م .
- ٧ - التلخيص - الخطيب القزويني . تحقيق عبدالرحمن البرتلوني . القاهرة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢م .
- ٨ - حاشية الدسوقي على شرح التفتازاني - محمد بن محمد الدسوقي . ( مطبوع في شروح التلخيص - القاهرة ١٩٣٧م ) .
- ٩ - الخصائص - ابن جني . تحقيق محمد علي التجار . القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م .
- ١٠ - دراسات في علم النفس الأدبي - حامد عبدالقادر . القاهرة ١٩٤٩م .
- ١١ - دلائل الإعجاز - عبدالقاهر الجرجاني . تحقيق محمد رشيد رضا - القاهرة ١٣٧٢ هـ .
- ١٢ - الشعر والشعراء - ابن قتيبة . تحقيق أحمد محمد شاكر . الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٦٦م .
- ١٣ - عروس الأفراح - بهاء الدين السبكي ( مطبوع في شروح التلخيص ) .
- ١٤ - فن الجناس - علي الجندي . القاهرة ١٩٥٤م .
- ١٥ - فن القول - أمين الخولي . القاهرة ١٩٤٧م .
- ١٦ - الكشاف - جزاره الرمضاني . القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣م .
- ١٧ - القل السائر في ادب الكتاب والشاعر - ضياء الدين بن الأثير . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . القاهرة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩م .
- ١٨ - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .
- ١٩ - المصباح - بدر الدين بن مالك . القاهرة ١٣٤٩ هـ .
- ٢٠ - مفتاح العلوم - السكاكي . القاهرة ١٩٣٦م .
- ٢١ - المنزج البديع - ابو محمد القاسم السجلماسي . تحقيق علاء الغازي . الرباط - المغرب ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠م .
- ٢٢ - مواهب الفناح ابن يعقوب القزويني - ( مطبوع في شروح التلخيص ) .



(٥)

## البلاغة بين المنطق والتذوق

ليس ما أقوله اليوم جديداً فقد قلته أمس وسأقوله غداً ما نامت اللغة العربية بخالصة كخلود العروبة والقرآن . وقد يكون القول أكثر شعراً في هذه الأيام بعد أن أخذت البلاغة تنحصر في الدراسات الحديثة وخيل لبعضهم أن عهداً قد انتهى وأنه قد جاءت مقاييس جديدة هي أحسن مما كان العرب يعالجون إليه ، حتى إذا ظهرت النيوية ودخلت الدراسات اللغوية والتفكيرية عاد الباحثون إلى البلاغة العربية واتخذوا عبدالقاهر الجرجاني إماماً .

ولست البلاغة ما يكلفني حيناً ويرجع إليه أحياناً ؛ لأنها « فن القول » الذي يتشعب في الكلام العذب منه ويرجع إليه . وكان هذا الفن عبدة المفسر وزاد الأديب وارتبط منذ نشأته بالأعجاز وأصبح متعلماً من معالم الثقافة ، ولا يكاد يدرس ينأى عنه وإن آمن بما نقل إلى العربية في عهد الأزدहार . وما الصلوة عنه إلا تنكر للأسالة وإبتعاد عن السبيل القويم ، وليس تجديدياً ما يشيع اليوم من قطيعة بينه وبين الفارسيين ولا تحوراً ما يرسف في أخلاه قوم أضاعوا الماضي والحاضر فأنام في درب لا يفضي إلى مسارب النور .

---

التيت هذه المحاضرة في مقر الاتحاد العام للادباء والكتاب العراقيين مساء يوم الأربعاء ٢١ تشرين الثاني ١٩٨٤ الموافق ٢٧ صفر ١٤٠٥ هـ وعرضت في بعض المجلات والبرامج العراقية مثل مجلة الف باء وجريدة الجمهورية وجريدة بغداد الصائفة بالانكليزية ، ونشرت في مجلة آفاق عربية ( آذار ١٩٨٥ ) - العدد الثالث .

لقد نشأ أن البلاغة هي ما قرأه في كتب المتأخرين وأنها قواعد صارومية صيغت بأسلوب عقيم ، وأن لا سبيل إلى التطوير والتجديد وما علونوا أنها سررت بمراحل كثيرة تطورت خلالها وتلوت بألوان مختلفة وطبعوا مؤثرات اثبتت بعضها من البيئة العربية كالقرآن الكريم واللغة والنحو والأدب ، وازدهر بعضها في سلس العلوم المستحدثة كالمطبخ والتبليغ وعلم الكلام ، وكان هناك المؤثران : الأصولي والمستحدث سببا في ظهور اتجاهين مبدئين في البلاغة العربية هما « المدرسة الكلاسيكية » و « المدرسة الأدبية » . وأمر هذين الاتجاهين أو المدرستين قديم وقد تبناه أبو هلال العسكري ( ٤٢٩هـ ) اليهما وقال : « وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين والبا قصده فيه تصدق صنائع الكلام من الشعراء والكتاب فلهذا لم أطلق الكلام في هذا الفصل »<sup>(١)</sup> . وقال جلال الدين السيوطي ( ٩١١هـ ) وهو يترجم نفسه « ورزقت البحر في سبعة علوم : التصريح والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبدع على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهمل الفلسفة »<sup>(٢)</sup> . ولو لم تكن معالم هذين الاتجاهين واضحة ما سرح أبو هلال بذلك منذ عهد مبكر ولا افتخر السيوطي بأنه درس البلاغة على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة وعلم الكلام . وذلك يؤكد وقوع البلاغة بين النطق والتذوق ووضوح بعض السمات لكل اتجاه ، ولعل أهم ما تصنف به طريقة البلاغة المنجاة بالتحديد والتعريف والتقسيم المنطقي والاهتمام بجعل التعريف جامعا مانعا ، واستخدام أساليب الفلسفة والمنطق في تحديد الموضوعات وتقسيمها وحصرها واستخدام الألفاظ الفلسفية والمنطقية والافتقار من الأمثلة الأدبية وتلويحها وإطلاق الأحكام العقلية . وأهم ما تتسم به طريقة العرب والبلغاء الاعتماد على التحديد والتقسيم وإن حثت إلى ذلك قننى غير تعنى وقفاذ والتزام التصحيح التام للأصول المنطقية.

(١) كتاب الصناعيين ص ٩ .  
 (٢) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ج ١ ص ١٥٧ .

وتجنب اقتباس المنطقيات ومسائل الفلسفة ، وإطلاق الأحكام الأدبية، ولذلك كانت تظل مرة ولاستطيع التعليل مرقأخرى ، لأنها ترجع الروعة والجمال الى الذوق والاحساس الفني<sup>(٣)</sup> .

إن هذين الاتجاهين يمثلان واقع البلاغة العربية في عهد ازدهارها ولكن هل كانت بينهما قطيعة ؟ وهل كان كل اتجاه يسعى بعيداً عن الاتجاه الآخر ؟ لقد كان البلاغي يمزج بين المذهبين في كثير من الأحيان ، لأن الاعتماد على القاعدة وحدها أو على الذوق وحده أمر لا يتحقق في الدراسات المبينة على نظرة علمية ومنهج دقيق ، والبلاغة والتقد من هذه الدراسات وليسا أحكاماً تطلق من غير وعي أو برهان . فالجاحظ ( - ٢٥٥ هـ ) - وهو رأس فرقة اعتزالية سببت الجاحظية - يميل الى الناحية الأدبية ويحكم الذوق ، وأبو هلال الذي حاول الابتعاد عن طريقة المتكلمين اتجه نحوهم في العرض والتقسيم . وكان عبدالقاهر الجرجاني ( - ٤٧١ هـ او ٤٧٤ هـ ) يميل الى المدرسة الكلامية في كتابه « دلائل الإعجاز » ويتجه الى المدرسة الأدبية في كتابه « أسرار البلاغة » ويمزج بينهما في كثير من الأحيان . وكان يحيى بن حمزة الطوسي ( - ٧٤٩ هـ ) قد جمع بين الاتجاهين في كتابه « الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز » . ولكن على الرغم من هذا الامتزاج كانت سمات كل اتجاه واضحة ، ولعل الموازنة بين متعاصرين هما السكاكي ( - ٦٣٦ هـ ) وابن الاثير ( - ٦٣٧ هـ ) توضح أوجه الاختلاف بين المدرستين .

قسم الأول البلاغة الى علمين متمييزين هما : علم المعاني وعلم البيان ، وحصر موضوعات كل علم حصراً منطقياً والحق بهذا البديع الذي عسده وجوهاً يرقى بها لتزيين الكلام ، وأدخل الأساليب الكلامية والفلسفية في

(٣) التفصيل ينظر : البلاغة عند السكاكي ص ١٠١ ، القزويني وشروح التلخيص ص ٣٥ ، دراسات بلاغية ونقدية ص ١٤ ، البلاغة العربية ص ٢٥ ، البلاغة والتطبيق ص ٢٠ .

معالجة القضايا الأدبية . وقسم الثاني البلاغة الى الصناعة النظمية وهي الالفاظ وبعض فنون البديع كالجمع والتجنيس والترصيع ولزوم ما لا يلزم والموازنة اختلاف صيغ الالفاظ وامثالها والمعاظلة النظمية والمناصرة بين الالفاظ في السبك . والصناعة المتوية وهي الاستعارة والتشبيه والتجريد والاتفات والايجاز والالطاب والتكرار والكناية والسرقات وغيرها . ولم يحصر الموضوعات حصراً منطقياً ولم يدخل الأساليب الكلامية فهي بحث القضايا الأدبية لانه كان ثائراً على تلك الأساليب وكان يعدّ ابن سينا والفارابي وامثالهما رجالاً أصلهم أرسطو وأفلاطون .

أما معالجة الموضوعات فتفتح في عرض الاستعارة عندهما إذ يبدأ السكاكي هذا الفن الذي أدخله في علم البيان بتعريفه قائلاً : « هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدمياً دخول المشبه في جنس المشبه به »<sup>(١)</sup> على ذلك بائناك للمشبه ما يخص المشبه به «<sup>(٢)</sup> . ويدخل في هذا التعريف القسام الاسميان للاستعارة - هما : الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية . وقد أوضح ذلك بالتشيل الذي ذكره بعد التعريف فقال : « كما تقول في الحمام أسد وأنت تريد به الشجاع مدمياً أنه من جنس الأسود فثبت للشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنس مع سدّ طرق التشبيه بافراده في الذكر » . وهذا مثال التصريحية ، أما المكنية فنماتها كما قال : « أو كما تقول إن الملية أنشبت أظفارها وأنت تريد بالملية السبع بادعاء السبعية لها وانكار أن تكون شيئاً غير سبع فثبت لها ما يخص المشبه به وهو الأظفار » . ثم تحدث عن انسابها المختلفة وذكر لكل لسون أمثلة قبيلة اقتطع بعضها من أمثلة عبدالقاهر .

وبدا ابن الاثير يبحث الاستعارة-بالسلام على رجوعها الى المعنى لا اللفظ وقسم المجاز الى قسمين : توسع في الكلام وتشبيه ، والتشبيه

(١) مفتاح العلوم ص ١٧٤ .

ضرطان : تشبيه قام وتشبيه محذوف ، فالتشبيه التام أن يذكر المشبه والمشبه  
 به ، والتشبيه المحذوف أن يذكر المشبه دون المشبه به . وفسر قبيص  
 الاستعارة والتشبيه المحذوف الأداة ، وعرف الاستعارة بقوله : « والذي  
 عندي من ذلك أن يقال : حدة الاستعارة نقل المعنى من لفظ الى لفظ لمشاركة  
 بينهما مع طي<sup>٥٦</sup> ذكر المنقول اليه ؛ لانه إذا احتز فيه هذا الاحتراز اختص  
 بالاستعارة وكان حدة لها دون التشبيه . وطريقه انك تريد تشبيه الشيء  
 بالشيء مظهراً ومضراً ونجياً الى المشبه فتعيه اسم المشبه به وتجريه  
 عليه »<sup>٥٧</sup> . ولم يقسم الاستعارة الى أقسامها المعروفة وانما تحدث عن  
 أقسام المجاز التي ذكرها الامام الغزالي وقال إنها ترجع الى ثلاثة أنواع :  
 التوسيع والتشبيه والاستعارة . ثم بدأ بالأمثلة التي يستفيد منها المتعلم  
 ما لا يستفده من ذكر الحد والحقيقة ، وهي أمثلة كثيرة بدأها بقوله تعالى :  
 « الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور<sup>٥٨</sup> » ثم قال :  
 « فالظلمات والنور استعارة للكفر والايان أو الضلال والهدى ، والمستعار  
 له مطوي الذكر كانه قال : لتخرج الناس من الكفر الذي هو كالظلمة الى  
 الايمان الذي هو كالنور »<sup>٥٩</sup> . وهذا تحليل واضح لقوله تعالى يبين  
 الاستعارة فيه بلا استخدام للأساليب العظيمة أو الكلامية في العرض  
 والتأويل . وقال مطلقاً على آيات ذلك الجن :

لما ظنرت الي عن حدائق المها      وبسكت عن مفتاح النواجر  
 وعقدت بين قسيب يانم اعياف      وكثير ومثلر عقدة الزنارجر  
 عفت عندي في الثرى لك طائفا      وعزمت فيك على دخول النار

(٥٦) المثل السائر ج ١ ص ٢٦٥ .

(٥٧) سورة ابراهيم ، الآية ١ .

(٥٨) المثل السائر ج ١ ص ٢٧٤ .



« وهذه الأبيات لا تجد لها في الحسن شريكا ، ولأن يسمي قائمها شحورا  
أولى من أن يسمي ديكاً »<sup>(١٨)</sup> . وقال عن أبيات ذلك الجن أيضا :

لا مكان الصليب في الكعبر من كثر ومجرى الزمار في الخضم  
والخال في الخد إذ أثبتته وردة منك على شري يسر  
واقصوانك بيك منظم على شبيه من والسفر الخمر  
« فليت الرابع هو المخصوص بالاستعارة ، والمستعار له هو الشعر  
والربيع »<sup>(١٩)</sup> .

وقال عن بيت البحري :

وصافقه في كفه تنكفي بها على أرواس الأعداء خشن سحاب  
« وهذا من النمط الثاني الذي شغلت براعة معناه وحسن سبكه عن النظر  
إلى استعارته ، والمراد بالسحاب الخشن الأصابع »<sup>(٢٠)</sup> . وقال السكاكي :  
« أظن حين أراد استعارة السحاب لأفامل بين المدوح قريبا على ما جرت  
به العادة من تشبيه الجواد بالبحر الفياض تارة وبالسحاب الهطل أخرى ماذا  
صنع ؟ ذكر أن هناك صاعقة ثم قال : من « نصله »<sup>(٢١)</sup> فيبين أن تلك الصاعقة  
من نصل سيفه . ثم قال : « على أرواس الأقران » ثم قال : « خشن » فذكر  
العبد الذي هو عدد جميع أفامل اليد فجعل ذلك كله قرينة لما أراد من  
استعارة السحاب للأفامل »<sup>(٢٢)</sup> . وهذا الشرح أكثر توضيحا من كلام ابن  
الثير وأقرب إلى مفارك المتعلمين وإن كان الأول يسمي الجباب الفني منا

(١٨) المثل السائر ج ١ ص ٢٧٧ .

(١٩) المثل السائر ج ١ ص ٢٧٧ .

(٢٠) المثل السائر ج ١ ص ٢٨٠ .

(٢١) زوامة السكاكي لبيت :

وصافقه من نصله تنكفي بها على أرواس الأقران خشن سحاب

(٢٢) مفتاح العلوم ص ١٧٧ .

رقيقاً ويرتك السامع يسبح في دنيا الخيال . وتظهر الموازنة أن السكاكي  
يسيل الى الحد الجامع المانع وهو مهم في الدراسات العلمية ، وأن  
ابن الاثير يرمي الى معنى الاستعارة من غير ضبط لأركانها وتحديد لأقسامها .  
وتبدو استفادة الاول من المصطلحات العلمية في تقسيم الاستعارة ، فهو  
يذكر التحقيق والتخييل والاسلي والتبهي والتصریح والكنایة والقطع  
والحل والحسي والعقلي ، وليس في كلام الثاني شيء من ذلك لأنه يفر  
من هذه التقسيمات والمصطلحات . ويبدو الجور على الناحية الأدبية  
في أمثلة السكاكي فهو لا يذكر إلا أبياتا قليلة تمثل الاستعارة بأنواعها الشابة  
التي حصرها ، وذكر ابن الاثير عشرات الأبيات والقطع الشعرية وعلق عليها  
تعليقا ذوقيا واكتفى بالعبارة الموجية والسحة الثالثة ولم يسرف في التأويل  
كما فعل السكاكي الذي أحال مباحث البلاغية ميداناً للجدل وعرض  
أساليب علم الكلام .

إن هذه الموازنة العجلى توضح اختلاف المدرسة الكلامية عن المدرسة  
الأدبية في التعرف والتقسيم والتحليل ، وهو اختلاف ينبع من طبيعة المنهج  
الذي اتبعته كل مدرسة ومن ثقافة المؤلف وذوقه ، وهو اختلاف تقتضيه  
الدراسات الأدبية لولا أنه يسرف في التحل ويسم في التحكم العقلي عند  
أصحاب المدرسة الكلامية ويوغل في الأيجاز أو اللبس عند أصحاب  
المدرسة الأدبية . وهذا الاختلاف لا يؤدي الى القطيعة بين المدرستين أو  
يلغي دور البلاغة في تعويم الأدب ، فهي « فن القول » أو طرائق التعبير  
التي يمرض بها الأديب أفكاره وصورها في أسلوب متميز يسم صاحبه وبدل  
عليه دون غيره ، وهذا من أهم صفات الأديب ، أي أنه صاحب أسلوب ،  
وليس غريصاً أن يقال بعد ذلك : « إن الأسلوب من الرجل نفسه »  
أي هو طابع الكتاب وإمضاؤه على الفكرة . فالبلاغة مهمة  
للأديب ولن يتفنى عنها النقد لأنه يفقد جزءاً من وسائله إذا ما أهملها أو  
أنشأ عنها ، وكان العرب قد جمعوا بين البلاغة والنقد وعدوها فناً واحداً

ولا يكاد كتاب قديم ينفرد بالبلاغة أو النقد إلا ما كان من الكتب المتأخرة التي اتخذت السكاكي إماماً .

وفرق المصرون بين البلاغة والنقد وقالوا : « إن البلاغة ترشدنا بقواعدها إلى الطرق والوسائل التي تجعل كلامنا نافعا ومؤثرا ، والنقد يضع لنا المقاييس العامة التي نقدر بها ما في الكلام من فائدة أو قوة أو جمال » (١٣٦) . أي أن البلاغة أقرب إلى الناحية الفنية ما دامت قواعدها تقود إلى الإبداع ، وأنها أكثر ما تعنى بالأسلوب . أما النقد فيأتي دوره بعد أن تتم عملية الإبداع ويضمرضى " الأدب " على مقياسه ليحكم عليه ، وأنه يتناول المعاني والأساليب ، ولذلك كانت دائرته أوسع ميدانا . وليس هنا التريق دقيقا ، لأن البلاغة وإن كانت ترشد الأديب غير أنها تشمل المعاني والأساليب أي أنها وسيلة مهمة من وسائل النقد . وقد حملت قديما هذا المعنى وتحمله اليوم الدراسات المبينة على تحليل الكلام كما فعل عيناقتا قبل سبعة قرون وأولى التحليل اللغوي أهمية عظيمة وبنى عليه أروع نظرية تمثلت في « النظم » . قال وهو يتحدث عن الأسلوب الرفيع والتركيب البديع : « وإذا عرفت ذلك فاعبد إلى ما تواسفوه بالحصن وتشاهدوا له بالفضل . ثم جعلوه كذلك من أجل النظم خصوصا دون غيره مما يتحسن له الشعر أو غير الشعر من معنى لطيف أو حكمة أو أدب أو استعارة أو تجنيس أو غير ذلك مما لا يدخل في النظم وتامله ، فإذا رأيتك قد ارتجت واهتزت واستحنت ، فانظر إلى حركات الارضية مم كانت وعندما ظهرت ؟ فانك ترى عينا أن الذي قلت لك كما قلت . اصعد إلى قول البحرسي :

بطوة ضرائب من قد نرى      فما إن رأينا لفتح ضريبا  
هو المرء أبعدت له الحادتا      ت عزوما وشيكا ورأيا عليا

(١٣٦) الأسلوب ص ٧ .

تثقل في ظني سؤدد      ساحاً مرجسي وبأى مهيل

فكالييف إن جته صارخاً      وكالبحر إن جته مشيب

فإذا رأيتك قد راتك وكثرت عندك ووجدت لها اهتزازاً في ضحك فعد  
فاظر في السبب واستمع في النظر فإفك تطم ضرورة أن ليس إلا أن  
قدم وأخر ، وعرف ولكرر ، وحذف وأضر ، وأعاد وكسر ، وتوخى  
على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو لأصاب في ذلك كله  
تم لطف موضع سوايه وأنى مأنى يوجب الضميلة - ألا ترى أن أول شيء  
يروئك منها قوله « هو المرء البتة » له الحادلات » ثم قوله : « تتشكل في ظني  
سؤدد » بتكرير السؤدد وإضافة المطلقين إليه ، ثم قوله « فكالييف »  
وعطفه بالفاء مع حذفه المبتدأ لأن المعنى لا محالة « فهو كالييف » . ثم  
تكريره الكيف في قوله : « وكالبحر » . ثم أن قرن انى  
كل واحد من الشبهين شرعاً جوابه فيه ، ثم أن أخرج  
من كل واحد من الشرطين حالاً على مثال ما أخرج من الآخر  
وذلك قوله « صارخاً » هناك و « مشيباً » هنا . لا ترى حسناً تنبه الى  
النظم ليس سببه ما عدت أو ما هو في حكم ما عدت فاعرف ذلك . وإن  
أردت أظهر أمراً في هذا المعنى فاظر الى قول ابراهيم بن العباس :

ظرو إذ نيا دهرٌ وأنكر صاحبٌ      وسئل أهداءٌ ولهاب لصيرٌ

تكون عن الأحواز ناري بنجوة      ولكن مقاديرٌ جرت وأمورٌ

وإنسي لأرجو بعد هذا محسناً      لأفضل ما يرجى أخٌ ووزيرٌ

فإفك ترى مأنى من الروق والطلاوة ومن الحسن والحلاوة ثم  
تتفقد السبب في ذلك فتجد إننا من أجل تعديبه الطرف الذي هو « إذ نيا »  
على عاملة الذي هو « تكون » وأن لم يقل « ظلو تكون عن الأحواز ناري  
بنجوة إذ نيا دهر » ثم قال : « تكون » ولم يقل « كان » ثم أن تكسر

« البحر » ولم يقل « إذ تبا البحر » ثم أن ساق هذا التشكير في جميع ما أتى به من بعد ، ثم أن قال « وأتكر صاحب » ولم يقل « وأتكرت صاحباً » . لا ترى في البيتين الأولين شيئاً غير الذي عدته لك تجعله حسناً في النظم وكله من معاني النحو كما ترى . وهكذا السبيل أبداً في كل حسن ومزية رأيتها قد لبأ إلى النظم وفضل وشرف حيل فيها طيه « (١٤) » .

وهذا تحليل يقوم على العلاقات بين الكلم ، وهو تحليل يعطي النفس قية لأنه يظهر مزيته ويوضح ما بين الفاضل من صلة وما توجهه من صور تجسد المعنى وتبرزه . وقد عبد عبدالقاهر فيه إلى إيضاح أثر الذوق وسعى إلى تبيان قية القاعدة ، فهو في النصف الأول من تحليله يدعو إلى تأمل النفس وتدوقه وتسير إلى حكم أطلفه ؛ ولكنه لا يرضى بالذوق وحده ولا يتبع بالحكم إن لم يشعه تحليل وتعليل ؛ وهذا ما فعله في النصف الثاني من كلامه فكان بذلك فاقداً يجمع بين القاعدة والذوق لا شارحاً ولم يبق في تحليله عند مباحث علم المعاني وإنما أمعن في تحليل فنون البيان بالأسلوب منه وطبق نظرية « النظم » على المجاز فقال عن أبيات الشاعر :

ولما قضينا من متى كل حاجة      ومسح بالأركان من هو ماسح  
وشدعت على دهم المهارى رحلتنا      ولم ينظر العادي الذي هو راح  
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا      وسالت بأعناق المني الأباطح  
« وليست الغاية في قوله : « وسالت بأعناق المني الأباطح » على هذه الجملة ، وذلك أنه لم يتعرب لأن جعل المني في سرعة سيرها وسهولة كالماء يجري في الأبطح ، فإن هذا شبه معروف شاعر ، ولكن الدقة واللفظ في خصوصية ألدعا بأن جعل « سال » فعلاً للأباطح ثم عداه بالياء بأن

(١٤) دلائل الإعجاز ص ٦٧-٦٦ .

أدخل « الامتاع » في البيت فقال « بأعناق المطي » ولم يقل « بالمطي » ولو قال : « سالت المطي في الأباطح » لم يكن شيئا ، وكذلك الغواية في البيت الآخر ليس في مطلق معنى « سأل » ولكن بمعنيته « على » والباء ، وبأن جعل فعلا لقوله « شعاب الحي » ، ولولا هذه الأمور كلها لم يكن هذا الحسن ، وهذا موضع ينق الكلام فيه <sup>(١٥١)</sup> .

وهذا تحليل لغوي أظهر روعة الاستعارة ، وقد حل عبدالقاهر الأبيات فيها تحليلا آخر لا يبعد كثيرا عن السابق وصور المعنى مجسدا فيها ، قال : « أقرر هل تجد لاستعابهم وحدهم وتناهم ومنحهم منصرفا إلا إلى استعارة وقعت موقعها وأصابت فرضها أو حسن ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع واستقر فيهم مع وقوع العبارة في الأذن ، وإلا إلى سلامة الكلام من العشو غير المفيد والفضل الذي هو كإثراء في التحديد ، وشيء داخل المعاني المقصودة بمداخلة الطفيلي الذي يستقل مكانه والأجنبي الذي يكره حضوره وسلامته من التضمير الذي يضطر مع السامع إلى تطلب زيادة بقيت في نفس المتكلم فلم يهل عليه بلنظها الخاص واعتمد دليل حال غير منصح أو نية مذكور ليس لتلك النية يستصلح <sup>(١٥٢)</sup> ، ومضى يحلل الأبيات متأثرا بابن جني ( ٣٩٢ هـ ) <sup>(١٥٣)</sup> واستفيدا من نظريته في النظر التي أطال الكلام عليها في كتابه « دلائل الإيجاز » ، وقد فاق ابن جني في إظهار روعة الاستعارة وتبيان العلاقة بين الجدل التي أحدثت مشاهد لا يحسن بها إلا من شهد موسم الحج وذاق حلاوة الشوق إلى الأهل والوطنين ، وكان ابن قتيبة ( ٣٧٦ هـ ) قد نظر إلى الأبيات نظرة أخرى ورأى أنها ما حسن لفظه وطاب وليس وراء ذلك كبير معنى ، قال : « هذه الأقوال — كما ترى —

(١٥١) دلائل الإيجاز ص ٦٠ - يريد به قول الشاعر :

سالت عليه شعاب الحي حين دعا      أنصاره بوجوه كالذئابر

(١٦) أسرار البلاغة ص ٢٩ .

(١٧) الخصائص ج ١ ص ٢١٨ .

أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع ، وإذا نظرت الى ما تحتها من المعنى  
 وجدته : ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان وعالينا إبنا الانتضاء ومضى  
 الناس لا ينتظر القادي الرائح ، ابتنا نسي الحديث وسارت المطسي في  
 الأبطح» (١٤٤) . وفرق " كبير بين هذا القول وتحليل عبدالقاهر الذي جعله  
 المعنى تجسيدا ، وجعل السامع يهتز للآيات ويمتريه الشوق الى موقفه الحج  
 وطواف الوداع ، والتأهب للمودة الى الأوطان ، وفي ذلك تأثير للاستعارة التي  
 تجلت في الآيات ، وهي استعارة جاءت من ارتباط الكلم واخذ بعضها  
 برقاب بعض لا من الكلم وحده أو جرس الاضطرار . وكلام ابن قتيبة ليس  
 مقصدا ، لانه حكيم " يعتمد على الذوق وحده . وكلام عبدالقاهر يتزع مسرعا  
 طيبا قوامه الشرح والتحليل . والوقوف على مواطن الصحة والروعة والجودة  
 والاستحسان ، ولا ينسى الذوق وأثارة المشاعر بما يقدم من عبارات ويوحى  
 من جو يظهر المعنى واضحا . وليس كذلك ابن قتيبة أو غيره من اعتسوا  
 على الذوق وحده واتخذوه مقياسا في تقديم لهم يرفقوا لانهم لم يفنوا  
 الفارسيين ، وعلقت عباراتهم حلوة تتردد من غير تأثير أو اقتناع .

وليست فنون البديع بأقل أهمية من علمي المعاني والبيان ، وقد حفل  
 بها الشعر القديم والقرآن الكريم وجاءت معبرة عن المعنى غير تعبير ، ولكن  
 المتأخرين من القدماء أفسدوها بما أضاقوا من زخارف أثقلت الكلام وأفسدته  
 قنبا عنه الذوق . قال عبدالقاهر : « فانك لا تجد تجسيدا مقبولا ولا سجعاً  
 حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستضاء وساق نحوه ، وحتى تجده  
 لا تبقي به بدلا ولا تجد عنه حولا . ومن هنا كان أحلى تجسيس تسمعه  
 وأعلاه وأحقه بالحسن وأولاه ما وقع من غير قصد من المتكلم الى اجتلابه  
 وتأهب لطلبه ، أو ما هو لحسن ملائمته . وإن كان مطلوبوا . بهذه المنزلة  
 وفي هذه الصورة ، وذلك كما يتلون به أبدا من قول الشافعي . رحمه الله

(١٤٤) الشعر والشعراء ج ١ ص ٦٦-٦٧ . يجد القارئ بعض النصوص  
 قد تكررت في هذا الكتاب ، لانه مجموعة بحوث .

تعالى - وقد سئل عن النبيذ فقال : « أجمع أهل الحرمين على تحريمه » (١٩١) ، وهذا هو الصواب لأن البديع ليس حلية تقتصر ولا زينة ينبو عنها الذنوب ، وإنما هو وسيلة من وسائل التعبير كما يلاحظ في القرآن الكريم وكلام العرب البليغ .

لقد جمع عبدالقاهر في بلاغته ولقده بين القاعدة والذوق فكان نقداً ذا منهج وبلاغياً صاحب رأي سديد . ولم يستعد البلاغيون من هذا المنهج الواضح ومضى السكاكي ( - ٦٢٦ هـ ) والفروزي ( - ٧٣٩ هـ ) وشراح التلخيص يلخصون كلام عبدالقاهر ويتقنون بعض أمثله مضيفين إليها الكثير من مسائل الفلسفة والمنطق وعلم الكلام ، تاركين تحليله وملاحج منحه النقدي . وقد حاول ابن الاثير أن يقترب من عبدالقاهر ولكن إزراءه النحو وتسميه على النحاة (١٩٢) أبعدته عن منهج عبدالقاهر التحليلي . ولولا هذا الموقف واعماله النحو لجبى المتقدم لأنه كان مهتماً بالنظم ولكن كما فيه أو أراد أن يفهمه فهو عنده « سبك الألفاظ بعضها مع بعض » (١٩٣) وكان عند عبدالقاهر نوحى معاني النحو ، وهذا مدلول أوسع مدى وأرحب أفقا ، وقد ظهر في « دلائل الإعجاز » شعوراً جلياً يدل على أصالة وابتاع .

لقد حدد ابن الاثير أوصاف النظم بأربعة هي : أن تكون الألفاظ واضحة بيّنة ليست بغريبة الاستعمال ، وأن تكون حسوة في الفهم سهلة في النطق غير مستثقة ولا مستكرهة ، وأن تكون كل لفظة من الألفاظ ملائمة لاختها التي تليها غير غافرة عنها ولا مبيّنة لها ، وأن لا يكون نسي الألفاظ تقديم وتأخير يستغلق به المعنى فيجبه نظم الكلام مضطرباً . وهذه الأوصاف تتعلق بالألفاظ حينما تألف ، وقد حددها ابن الاثير بهذه الصورة

(١٩١) اسرار البلاغة ص ١٠ .

(٢٠١) ينظر المثل السائر ج ١ ص ٢٨٢ ، الاستدراك ص ١٢ .

(٢١١) الاستدراك ص ٥٨ .



لأنه كان يعطي النقطه المفردة قيمة ومشرق بين واحدة وأخرى ، أما  
عبدالقاهر فقد أعطاها المزية من خلال النظم ، وهذا فرق واضح بين الرجلين  
جاء من اختلافهما في المنهج وإن حاول الثاني أن يسير على خطى الأول في  
دراسة التقديم والتأخير وأن ينتفع من منهجه في دراسة الالتفات ، فقد ذهب  
البلغيون الى أن الكلام إذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان ذلك أحسن  
مطرية لنشاط السامع وإيقاظه للإصغاء اليه من اجرائه على أسلوب واحد<sup>(٢٢)</sup> .  
وقرأ اليه ابن الأثير نظرة أصح وقال : « إن الانتقال من الخطاب الى الغيبة  
أو من الغيبة الى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضت ، وذلك الفائدة أمر  
وراء الانتقال من أسلوب الى أسلوب غير انها لا تحدد بعدد ولا تضبط  
بضابط ، ولكن يشار الى مواضع منها ليقاس عليها غيرها ، فإنا قد رأينا  
الانتقال من الغيبة الى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب ثم رأينا ذلك  
بعينه وهو ضد الأول قد استعمل في الانتقال من الخطاب الى الغيبة ،  
فعلينا أن الفرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على  
وتيرة واحدة وإنما مقصور على الغاية بالمعنى المقصود ، وذلك المعنى يتشعب  
شعباً كثيرة لا تحصر وإنما يترتب بها على حسب الموضوع الذي ترد فيه<sup>(٢٣)</sup> .  
ومطرقته في الظاهر روعة الالتفات هي سرّيب الأمثلة والتعليق عليها  
والإشارة الي ما فيها من روعة وجمال ، ولكنه لا يترك التليل والتوضيح ،  
فهو عند كلامه على سورة الفاتحة وما فيها من التفات يقول : « وما يختص  
به هذا الكلام من القوائد قوله : « اياك نعبد و اياك نستعين » بعد قوله :  
« الحمد لله رب العالمين » فانه انما عدل فيه من الغيبة الى الخطاب لأن الحمد  
دون العبادة ، ألا تراك تحمد ظنرك ولا تبيده ؟ فلما كانت الحال كذلك  
استعمل لفظ « الحمد » لتوسطه مع الغيبة في الخبر فقال : « الحمد لله »  
ولم يقل « الحمد لك » . ولما صار الى العبادة التي هي انعكس الطاعات

(٢٢) ينظر الكشف ج ١ ص ٩١ ، مفتاح العلوم ص ٩٦ .

(٢٣) المسئل السائر ج ٢ ص ٥ .

قال « إياك نعبد » فخطاب بالعبادة إصراراً بها وتقرباً منه - عز اسمه - بالانتفاء إلى محبوب منها - وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال : « صراط الذين أجمعنا عليهم » فأصرح الخطاب لما ذكر النعمة ثم قال : « غير المغضوب عليهم » عطفاً على الأول ؛ لأن الأول موضع التقرب من الله بذكر نعمه فلما سار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب فأسند النعمة إليه لفظاً وزوي عنه لفظ الغضب تحنناً ولفظاً - فانظر إلى هذا الموضع وتناسب هذه المعاني الشريفة التي الأقدام لا تكاد تطلعها والإنهايم مع قرعها صانعة عنها - وهذه السورة قد انتقل في أولها من الغيبة إلى الخطاب لتنظيم شأن الخطاب ثم انتقل في آخرها إلى الغيبة لتلك العلة بعينها ، وهي تعظيم شأن الخطاب أيضاً ؛ لأن مخاطبة الرب - تبارك وتعالى - بأسناد النعمة إليه تعظيم لخطابه وكذلك تترك مخاطبته بأسناد الغضب إليه تعظيم لخطابه - فينبغي أن يكون صاحب هذا الفن من التصاحف والبلاغة عالماً بوضع أنواعه في مواضعها على اشتباهها (٢١) .

أما مذنب السكاكي والتزويدي وشرح التلخيص فيقوم على القاعدة وحدها وكثيراً ما تخفق القاعدة في إقامة المعنى وإظهار روعة الكلام ، ومن هنا كان الأخذ بنتيج عبدالقاهر وابن الأثير - على الرغم مما بينهما من تفاوت - ضرورة تطلبها النوع الفنية في البلاغة والنقد - ولن يذهب ضح البلاغة وقوتها بين المنطق والتذوق ؛ لأن القواعد والتبويب والتعليل مهمة للوصول إلى الحكم السليم وتقديم التصريح المقتض مثلما كان الذوق مهماً في النقد لأن الثابت إن لم يكن فإموية فنية وإحساس مرهف ، كان عالماً بعينه ، الخطأ والمنواب أكثر من التأثير وكشف مواطن الجمال .

وليس النقد يهمل بالمعنى البقيق وإن ذهب إلى ذلك بعض النارسين وربطه بساهج البحث العلمي فأطروه قواعد صارمة كما فعل البلاغيون

في عهد الجنود ، وليس تذوقاً فحسب ، وإنما هو الاثنان معا ، وقد دلّ تاريخ البلاغة والنقد على أنّ أروع الكتب في هذا الحقل ما أمزج النطق والتذوق فيها كما ظهر في « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » و « المنهل السائر » . وهذه الكتب الثلاثة تعدّ زبدة التراث البلاغي والتقدي عند العرب لأنها جسدت بين القاعدة والتذوق ، والعرض والتحليل ، والحكم والتفسير . ولن يكون النقد نقداً إن ابتعد عن هذه الأصول مهما تعددت المناهج واختلفت الأزمنة وتفاوتت الآراء ، وبذلك يبقى تراث العرب ثراً يفتح آفاق الأصالة والتجديد .

إن الأدب ثقافة عميقة ومعاناة عظيمة وجهد كبير ، وإنه يبلّغه وروعة أسلوبه وسور معانيه ، وإن النقد بأصوله وأحكامه ، وعلوم البلاغة أصل لا يصل ما دام الأدب مرتبطاً باللغة العربية وآساليبها ، وقد أسفرت الأدب كثيراً حينما انفصل عن البلاغة ومقاييسها وأحرف النقد حينما ابتعد عن النزعة العلمية والتذوق وأصبح شرحاً أو تاريخاً أو شيئاً لا يخل من سمات النقد إلا اسمه ، ولا تفتي الأسماء ولو كانت من نور .

### المصادر :

- ١ - الاستدراك - ضياء الدين بن الأثير - تحقيق حفني محمد شرف - القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٢ - أسرار البلاغة - عبدالقاهر الجرجاني - تحقيق ريش - استانبول ١٩٥٤ م .
- ٣ - الأسلوب - أحمد الشاذلي ، الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٥٢ .
- ٤ - البلاغة العربية - الدكتور أحمد مطلوب ، الموصل ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ٥ - البلاغة عند السكاكي - الدكتور أحمد مطلوب ، بغداد ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٦ - البلاغة والتطبيق - الدكتور أحمد مطلوب والدكتور كامل البصير - الموصل ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ٧ - حسن المعاصرة في الجبل مصر والقاهرة - جلال الدين السيوطي - القاهرة ١٩٢٩ م .

- ٨ - الخصائص - ابن جنى - تحقيق محمد علي النجار - القاهرة ١٣٧١هـ -  
 ١٩٥٢ م .
- ٩ - دراسات بلاغية ونقدية - الدكتور احمد مطلوب - بغداد ١٤٠٠هـ -  
 ١٩٨٠ م .
- ١٠ - دلائل الامجاز - عبدالقاهر الجرجاني - تحقيق محمد رشيد رضا .  
 القاهرة ١٣٧٢هـ .
- ١١ - الشعر والشعراء - ابن قتيبة - تحقيق احمد محمد شاكر - القاهرة  
 ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦ م .
- ١٢ - القزويني وشروح التلخيص - الدكتور احمد مطلوب - بغداد  
 ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧ م .
- ١٣ - كتاب الصناعين - ابو حلال العسكري - القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢ م .
- ١٤ - الكشاف - الرمخاري - الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢ م .
- ١٥ - النثر السائر في ادب الكاتب والشاعر - فهد الدين بن الاثر - تحقيق  
 محمد محرمي الدين عبدالحميد - القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩ م .
- ١٦ - مفتاح العلوم - ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر السكاكي - القاهرة  
 ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧ م .

١٧ - كتاب الادب - ابن خلدون - تحقيق محمد رشيد رضا - القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢ م .

## ١٨ - فهرس

- فهرس كتاب الادب - ابن خلدون - تحقيق محمد رشيد رضا - القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢ م .
- فهرس كتاب الادب - ابن خلدون - تحقيق محمد رشيد رضا - القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢ م .
- فهرس كتاب الادب - ابن خلدون - تحقيق محمد رشيد رضا - القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢ م .
- فهرس كتاب الادب - ابن خلدون - تحقيق محمد رشيد رضا - القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢ م .
- فهرس كتاب الادب - ابن خلدون - تحقيق محمد رشيد رضا - القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢ م .
- فهرس كتاب الادب - ابن خلدون - تحقيق محمد رشيد رضا - القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢ م .
- فهرس كتاب الادب - ابن خلدون - تحقيق محمد رشيد رضا - القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢ م .
- فهرس كتاب الادب - ابن خلدون - تحقيق محمد رشيد رضا - القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢ م .
- فهرس كتاب الادب - ابن خلدون - تحقيق محمد رشيد رضا - القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢ م .
- فهرس كتاب الادب - ابن خلدون - تحقيق محمد رشيد رضا - القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢ م .

(٦)

## أثر القرآن في البلاغة

كلمة :

كان للقرآن الكريم معجزة محددة - صلى الله عليه وسلم - وكتابتها العربية الخالد أعظم الأثر في علوم اللغة العربية ، فقد صدرت عنه واستنتجت من معناه ووقفت تكشف أسرارها وتعضي بأساليبه ونحس اجزائه وتشرح ألفاظه ، وتظهر معانيه . وكانت البلاغة من تلك العلوم التي نشأت غني كنفه كتاب الله ونشأت بطلانه منذ أن بدأت تدرج في ميدان الحياة . وكان القرآن معجزة تحدثت العالمين ، ووقف العرب عند نزوله مبهورين وهم أصحاب لسان وبلاغة ولم يجدوا ما يدفعون به عن أنفسهم إلا أن يقولوا كما روى الكتاب عنهم « ما هذا إلا سحر » مقترى ، وما سمعنا بهذا في آياتنا الأولى» (١) . وأخذوا يفرقون من سماعه خوفاً من أن يؤثر في قلوبهم ويهديهم الى سواء السبيل كما هدى من قبل طليعة المسلمين، وصاروا يحولون دون الاستماع اليه لئلا تلين القلوب . وفي سيرة ابن هشام أن الطليل بن عمرو القوسي قدم مكة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بها فتمشى اليه رجال قريش وكان الطليل رجلاً شريفاً وشاعراً لبيبا فقالوا له : « يا طليل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أحضل بنا ، وقد نرى في

● نشر في كتاب (رحلة في الفكر والتراث) الذي أصدرته جامعة بغداد سنة ١٩٨٠م - ١٤٠٠هـ بمناسبة الاحتفال بطلع القرن الخامس عشر الهجري وكتبت به أحد المشرخين على الاحتفالات التي أقامتها الجامعة وعلى أحرار الكتاب .

(١) سورة القصص ، الآية ٣٦ .

جماعتنا وشتت امرنا ، وأنا قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين زوجته وأنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمته ولا تسع منه شيئا . »  
 قال : « فوالله ما زالوا بي حتى أجمت أن لا أسع منه شيئا ولا أكله حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كثر شيئا<sup>(٢١)</sup> فترقا من أن يلغني شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسعه . فغدوت إلى المسجد فانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائم يصلي عند الكعبة فقتت منه قريبا فأبى الله إلا أن يسمني بعض قوله فسمت كلالما حسنا فقلت في نفسي : وأتكلل أمي ، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح فما يتعشى أن أسع من هذا الرجل مايقول . فان كان الذي يأتي حسنا قبلك ، وإن كان قبيحا تركه . » ومكث الطويل حتى انصرف الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى بيته فأتبعه حتى اذا دخل بيته دخل عليه وقال : « يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا ، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرمك لئلا أسع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمني قولك فسمته قولاً حسناً ، فأعرض عليّ أمرك » . وعرض الرسول الكريم الاسلام عليه وتلا القرآن فأسلم ، قال : « فلا والله ، ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق »<sup>(٢٢)</sup> .

وقال الوليد بن المغيرة وقد سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ آيات الكتاب : « والله ، إن لقوله لعلاوة ، وإن أصله لعذق ، وإن قرعته لعناق »<sup>(٢٣)</sup> . وشاء الله أن يهتدي العرب برسالة السماء الكبرى ويرفضوا القرآن دستورا في الأفاق ويتخذوه نبراساً يضيء لهم الطريق في دنياهم وآخرتهم ، وأن يكون القرآن الكريم مرجع المسلمين ومدار نواياهم اللغوية والنحوية والمنهجية والعلمية والأدبية وغير ذلك من شؤون الحياة . وكل ذلك تأثيره واضحا في البلاغة العربية ويتجلى ذلك في أمور كثيرة غير أن من أهمها أمرين

(٢١) الكرمي : القطن . (٢٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨٢ .

(٢٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٠ .

يدخل فيها كثير من المسائل والقضايا ، وذلك الأسرار هما :  
الدافع والشاهد .

### السادس :

كان القرآن الكريم دافعا الى التأليف في البلاغة والكلام على نحوها  
المختلفة ، وكانت إحدى آياته مدعاة الى أن يؤلف أبو عبيدة ( - ٢٠٨ هـ )  
كتابه « مجاز القرآن » ، قال : « أرسل اليّ الفضل بن الربيع الى البصرة في  
الخروج اليه سنة ثمان وثمانين ومائة فتقدمت الي بغداد واستأذنت عليه فأذن لي  
فدخلت عليه وهو في مجلس له طويل عرض فيه بساط واحد فدنا مني  
صدره فرش عالية لا يرتقي اليها إلا على كرسي وهو جالس عليها فسلمت  
عليه بالسوراة ، فردّ وضحك اليّ واستداني حتى جلست اليه على قرنيه  
ثم سألتني والطنني وباطني وقال : أشدني ، فأشدته فطرب وضحك وزاد  
تساطه . ثم دخل رجل في زي الكتاب له هيئة ، فأجلسه الي جانبي وقال له :  
أترى هذا ؟ قال لا . قال : هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة أفقنهم  
لستيد من علمه . فلما له الرجل وقرقه لعله هذا وقال لي : إنني كنت  
اليك مشتاقا وقد سألت عن مسألة أتأذن لي أن أهرقك إياها ؟ فقلت : جئت  
قال : قال الله - عز وجل - : « ملأناها كآبة رؤوس الشياطين »<sup>(١)</sup> وإنما  
يقع الوجد والايحاد بما عرف مثله وهذا لم يعرف . فقلت : أما كلم الله تعالى  
العرب على قهر كلامهم ، أما سمعت قول امرئ القيس :

أيقظني والمشرقي مضاجعي      ومشتكّ لوزق<sup>(٢)</sup> كآتياي أحوال

وهم لم يروا العول قط ، ولكنهم لما كان أمر العول يبولهم أوعدوا به  
فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل ، وعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتابا  
في القرآن في مثل هذا وأتبعه وما يحتاج اليه من علمه ، فلما رجعت الي

(١) سورة الصافات ، الآية ٦٥ .

البصرة علمت كتابي الذي سميته « العجاز »<sup>(٦)</sup> . ومهما يكن من أمر هذه  
 الرواية فإن أبا عبيدة وغيره اتجهوا الى خدمة القرآن الكريم وظهرت دراسات  
 كثيرة من أهمها الدراسات البلاغية التي اتجهت الى اعجاز القرآن وتفسير  
 آياته وإيضاح أساليبه وكشف قوته البلاغية . وقد كان الهدف الأول من  
 التأليف في البلاغة لحرصاً دينياً أوضحه أبو هلال العسكري بقوله : « اعلم  
 — علمك الله الخير وذلك عليه وقبضه لك وجملك من أهله — أن أحق  
 العلوم بالتعلم وأولها بالتحفظ بعد المعرفة بالله — جل ثناؤه — علم البلاغة  
 ومعرفة فصاحة الذي به يعرف اعجاز كتاب الله تعالى الناطق بالحق ، الهادي  
 الى سبيل الرشاد ، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة التي رفعت  
 أملاك الحق وأقامت منار الدين ، وأزالت شبه الكفر يراها فيها ، وهتكت حجب  
 الشك بيقينها . وقد علمنا أن الإنسان إذا أفضل علم العربية وأكمل بمعرفة  
 الفصاحة لم يقع عليه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف  
 وبراعة التراكيب وما شحنته من الأيجاز البديع والاختصار اللطيف وضمت  
 من الخلاوة وجلته من رونق الطلاوة مع سهولة كنهه وجزالتها وهبوطها  
 وسلاستها الى غير ذلك من محاسن التي عجز الخلق عنها وتحررت عقولهم  
 فيها . وإنما يعرف اعجازه من جهة عجز العرب عنه وقصورهم عن بلوغ  
 غاية في حسنه وبراعته وسلاسته وتصاعته وكباليه معاليه وصفاء ألفاظه .  
 وقبح لغوي بالفتية الموثم به والقاريء الكهندي يهدبه والمتكلم المفسر اليه  
 في حسن مناظرته وتسام آتة في مجادته وشدة شكيبته في حجاجه ، وبالعربي  
 الصليب والقرشي الصريح أن لا يعرف اعجاز كتاب الله — تعالى — إلا من  
 الجهة التي يعرف منها الزنجي والنبطي أو أن يستدل عليه بما استدل به  
 الجاهل النبي — فينبغي من هذه الجهة أن يقدم اقتباس هذا العلم على سائر

(٦) معجم الأديب ج ٧ ص ١٦٦ ، وينظر نزهة الألباء ص ٧٠ .



العلوم بعد توحيد الله - تعالى - ومعرفة عدله والتصديق برعده ووعيده  
إذ كانت المعرفة بصحة النبوة تلو المعرفة بالله جل اسمه (١٧) .

أن مسألة اعجاز كتاب الله كانت من القضايا الأولى التي شغلت بال  
المسلمين ، وقد دفعهم ذلك الى الغوص في دراسة البلاغة ليستطيعوا الوصول  
الى فهم أسرار الاعجاز ، وظهرت آراء كثيرة (١٨) ، غير أن ما يتصل بأسلوبه  
وروعته كان الدافع الأول الى التأليف في الاعجاز ، ومن أهم ما ألف في  
هذه المسألة كتاب « اعجاز القرآن في قلته وتأليفه » لأبي عبد الله محمد  
ابن يزيد الواسطي ( - ٣٠٦ هـ ) ورسالة « التكت في اعجاز القرآن »  
لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني ( - ٣٨٦ هـ ) ورسالة « بيان إعجاز  
القرآن » لأبي سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي ( - ٣٨٨ هـ )  
وكتاب « اعجاز القرآن » لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي ( - ٤٠٣ هـ )  
والجزء السادس عشر من كتاب « المفتي في أبواب التوحيد والعدل »  
لأبي الحسن عبد الجبار الأسد آبادي ( ٤١٥ هـ ) و « معترك الاقران في  
اعجاز القرآن » لجلال الدين السيوطي ( - ٨١١ هـ ) (١٩) . وكانت هذه الكتب  
والرسائل كتباً بلاغية الى جانب ما فيها من دراسات تصل بالعقيدة والتوحيد،  
وقد انتهى ابن خلدون الى أن ثروة علم البلاغة « النا هي فهم الاعجاز من  
القرآن ؛ لأن اعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الاحوال منطوقة  
ومضمومة ، وهي أعلى مراتب الكلام ، مع الكمال فيما يختص بالاتفاظ في انتقالها  
وجودة رصفها ، وهذا هو الاعجاز الذي تقصر الافهام عن إدراكه» (٢٠) .

ولم يقتض الأمر عند الاعجاز وانما خلاص المفسرون غمار البحث في  
البلاغة ليصلوا الى فهم كتاب الله وادراك معانيه ، وقد بث محمد بن جرير

(١٧) كتاب الصناعتين ص ٢٠١ .

(١٨) التفصيل في : البلاغة عند السكاكي ص ٢٦٦ ، مناهج بلاغية ص ٣٩ .

(١٩) معرفة هذه الدراسات في كتاب مناهج بلاغية ص ٤٤ .

(٢٠) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

الطبري ( - ٤٣١٠ هـ ) كثيراً من مباحثها في تفسيره لتكون عوناً على فهم كلام الله الذي نزل بلسان عربي مبين وجاء فيه ما في كلام العرب من أساليب وفنون في التعبير . قال بعد أن أشار إلى تلك الأساليب والفنون : « ونحن مينو جميع ذلك في أماكنه إن شاء الله ذلك وأمدّ منه بعونه »<sup>(١١٦)</sup> . وأوضح جلاله الزمخشري ( ٥٢٨ هـ ) أهمية البلاغة وصلتها بالقرآن ونهيه بقوله : « إن أملاً العلوم بما يفهم القرائح وألهاها بما يبرر الآليات التوارخ من غرائب نكت يلفظ مسلكتها ومستودعات أسرار يدق سلكتها علم التفسير الذي لا يتم لتماطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتابه «عظم القرآن» . فالتقى وإن برز على الأقران في علم التناوي والأحكام ، والمتكلم وإن بزّ أهل الدنيا في صناعة الكلام ، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القريظة أحفظ ، والواظ وإن كان من الحسن البصري أوطى ، والنحوي وإن كان أنهى من سيويه ، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحيه لا يتصدى أحد منهم لسلك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن هما : علم المعاني وعلم البيان ، وتعمل في ارتيادها آونة وتعب في التفتير عنهما أزمته ، وبمكة على تتبع مظاهرها في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله »<sup>(١١٧)</sup> . وقال عبدالقاهر الجرجاني ( - ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ ) « ومن عادة قوم ممن يتعلمون التفسير بغير علم أن يوهبوا أبدأ في الالفاظ الموضوعية على المجاز والتشليل أنها على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك ويبتلوا الغرض ويمنعوا أنفسهم والسماع منهم العلم بمواضع البلاغة وبسكان الشرف . ولاهيك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه وجعلوا يكثررون في غير طائل ، هناك ترى ما شئت من باب جهل قد فتحوه وزند ضلالة قد قدأوا به »<sup>(١١٨)</sup> .

(١١٦) جامع البيان في تفسير القرآن ج ٦ ص ٦ .

(١١٧) الكشف ج ١ ص ١٥٠ . (١١٨) دلائل الإعجاز ص ٢٣٦ .

ورأى السكاكي ( - ١٢٢٩هـ ) أن دراسة البلاغة واجبة على المفسر وقال :  
 « الواقع على تمام مراد الحكيم - تعالى وتقدس - من كلامه منتقصر الى  
 هذين العليين - المعاني والبيان - كل الافتقار ، فالويل كل الويل لمن يتعاضى  
 التفسير وهو فيها راجل» (١٤) . ومتى اتقن المفسر البلاغة وتفحصها استطاع  
 التسابق للمشور على السبب في الزوال الله - سبحانه وتعالى - قرآنه المجيد  
 على هذه المناهج إذ « لا علم في باب التفسير بعد علم الاصول اقرأ منسفا  
 - المعاني والبيان - على المرء لمراد الله - تعالى - من كلامه ، ولا أعون على  
 تعاطي تأويل مشتبهاته ولا أضع في درك لطائف نكته وأسراره ، ولا أكشف  
 للمقناع عن وجه اعجازه - هو الذي يتوحي كلام رب العزة في البلاغة حقه ،  
 ويصون له في مظان التأويل مائه وروفته - ولكم آية من آيات القرآن  
 تراها قد ضيبت حطبا واستلثت مانعا وروقتها ان وقعت الى من ليسوا من  
 أهل هذا العلم فأخذوا بها في مأخذ مردودة وحملوها على محامل غير مقصودة  
 وهم لا يدركون أنهم لا يدرون - فلتلك الآي من مأخذهم في عويل ، ومن  
 محاملهم في ويل طويل ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا» (١٥) .

وأصبحت كتب البلاغة سبيلا تقضي الى رحاب القرآن ومعالم يتندي  
 بها العارسون ويستعين بها فيها من ومضات مشرقة ولحاح يدبيرة المتسرون .  
 ومن هنا كانت البلاغة مقدمة لدراسة كتاب الله وتفسيره وإدراك فصاحته  
 وبلاغته ، وسار الشيوخ لا يقدمون على تدريس كتب التفسير إلا بعد أن  
 يتم طلابهم بطرف من البلاغة وفتونها كما فصل يحيى بن حيزة العلوي  
 ( - ٧١٩هـ ) حينما ألف كتابه « الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وطولم حقائق  
 الاعجاز » ليكون عونا لمن شرع في قراءة تفسير « الكشاف » عليه . قال :  
 « ثم ان الباحث على تأليف هذا الكتاب هو أن جماعة من الاخوان شرعوا علي  
 في قراءة كتاب الكشاف تفسير الشيخ العالم المحقق استاذ المفسرين محمود  
 ابن عمر الزمخشري فانه أسسه على قواعد هذا العلم فأتضح عند ذلك وجه

(١٤) مفتاح العلوم من ٧٧ . (١٥) مفتاح العلوم من ١٩٩ .

الاعجاز من التنزيل ، وعرف من أجله وجه التفرقة بين المستقيم والمعوج من التأويل ، وتحققوا انه لاسبيل الى الاطلاع على حقائق اعجاز القرآن إلا بادراكه والوقوف على أسراره وأغواره ومن أجل هذا الوجه كان متسبباً عن سائر التفاسير لاني لم أعظم تفسيراً مؤسساً على علمي المعاني والبيان سواء ، لسألني بعضهم أن أملي فيه كتاباً يشتمل على التهديب والتحقيق» (١١٦) .

وصارت كتب التفسير كلها تخدم هذه الفكرة ، ولعل أهم تفسير عني بهذا الجانب « الكشاف » للزمخشري الذي قر في تفسيره مسائل البلاغة واستعان بها في تفسير القرآن الكريم ، وهو حينئذ يفسر الآيات يطبق أصول البلاغة عليها وينبه الى ما فيها من أسرار التصاحح والبلاغة ، وقد قال ابن خلدون عنه : « وهو كله مبني على هذا الفن وهو أصله » (١١٧) . ومن هنا كان دارس « الكشاف » محتاجاً الى ثقافة بلاغية واسعة ، وقد شعر القدماء بذلك فكانوا إذا أقدموا على دراسته تزودوا بتلك الثقافة ووضعوا الكتب عليها لتعلمها واتقانها كما فعل العلوي في كتابه « الطراز » .

وفي كتب أصول الفقه بعثت مستفيضة عن البلاغة ، وهي بحوث تدل على استنثار علم أصول الفقه بها ، قال السكاكي : « بل تصفح معظم أبواب أصول الفقه من أي علم هي ؟ ومن يتولاها» (١١٨) . وأشار بهاء الدين السبكي ( ٤٧٣٧ هـ ) الى الصلة الوثيقة بين علمي المعاني وأصول الفقه وقال : « واعلم أن علمي أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل فان الخبر والائشاء اللذين يتكلم فيهما المعاني هما موضوع غالب الأصول وان كل ما يتكلم عليه الأصولي من كون الأمر للوجوب والنهي والتحريم ومسائل الاخبار والعموم والخصوص والاطلاق والتقييد والاجمال والتفصيل والتراجيح كلها ترجع الى موضوع علم المعاني . وليس في أصول الفقه

(١١٦) الطراز ج ١ ص ٥ .

(١١٧) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ . (١١٨) مفتاح العلوم ص ١٩٩ .

ما يفرّد به كلام الشارع عن غيره إلاّ الحكم الشرعي والقياس وأشياء يسيرة» (١٩) .

ويرى ابن خلدون أنّ معرفة أركان علوم اللسان وهي : اللغة والنحو والبيان والأدب « ضرورة على أهل الشريعة إذ يأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي لغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلا بدّ من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة» (٢٠) . وكان الإمام محمد بن إدريس الشافعي ( ٢٠٤هـ - ) من أوائل الذين أشاروا إلى ما في القرآن من أساليب العرب وقال : « فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها ، وكان ما تعرف من معانيها اتساع لسانها وإن فطرت أنّ يخاطب بالشيء منه عاماً ظاهراً يراد به العام الظاهر ويستغنى بأول هذا منه عن آخره ، وعماماً ظاهراً يراد به العام ويضطره الخاص فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه ، وعماماً ظاهراً يراد به الخاص وظاهراً يعرف في سياقه انه يراد به غير ظاهره ، فكل هذا موجود على في أول الكلام أو وسطه أو آخره . وتبتدى الشيء من كلامها يبيّن أول لفظها فيه عن آخره ، وتبتدى الشيء بين آخر لفظها منه عن أوله . وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ كما تعرف الإشارة ثم يتكوّن هذا عندها من أعلى كلامها لإشراء أهل علمها به دون أهل جهالتها . وتسمي الشيء الواحد بالاسماء الكثيرة ، وتسمي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة» (٢١) . وهذه بعض الموضوعات التي تحدث عنها البلاغيون فيما بعد وبعضها مستقلة عن الموضوعات الأخرى ، أما الإمام الشافعي فقد اتخذها مقدمة لدراسة أصول الفقه وعقد لها أبواباً تجلّت فيها معرفته بأساليب العرب وإطلاعه على اللغة وقدرته على فهم حقيقتها ومجازها وعمامها وخاصها واستنباط الأحكام والأسول . وكانت هذه الدراسة

(١٩) حروس الأفراج ج ١ ص ٥٢ .

(٢٠) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٥ . (٢١) الرسالة ص ٥١ .

مدعاة لخوض الأصوليين والفقهاء في البلاغة وإدخالها في كتبهم ، وبنوا على ذلك طريقة الاجتهاد البياني ، وسار العلماء عندما يقولون أمام نص ليفسوه يستعينون بهذا الأسلوب .

ومن الذين عنوا بالبلاغة في كتبهم الأصولية أبو الحسين محمد بن علي ابن الطيب البصري المعتزلي ( - ٤٣٦ هـ ) صاحب كتاب « المعتد في أصول الفقه » والامام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ( - ٥٠٥ هـ ) مؤلف كتاب « المستصفي من علوم الأصول » وأبو الحسن علي بن أبي علي سيفالدين الأمدني ( - ٦٣١ هـ ) صاحب كتاب « الأحكام في أصول الأحكام »<sup>(٣٣)</sup> وغيرهم من الأصوليين والفقهاء الذين خدموا القرآن الكريم خدمة كبرى ، وقدموا للدراسات البلاغية خير ما يقدمه مؤمن بالقرآن ولغته الخالدة . وكان لاهتمام علماء أصول الفقه بالباحث البلاغية التي وشحوا بها كتبهم وعدواؤها من طرق الفقه أن وضعوا القواعد الواضحة ، والتقسيمات الدقيقة لحاجتهم إليها في استنباط الأصول والأحكام .

وكان لكتب علوم القرآن أثر في العناية بالبلاغة ودراستها ، وقد اتخذها المؤلفون وسيلة لفهم القرآن ومعرفته أساليبه وأهدافه ، وكانت البلاغة أحد تلك العلوم التي يحتاج إليها الدارس ، ومن اشهر الذين عنوا بهذا الجانب بدرالدين محمد بن عبيد الله الزركاني ( - ٧٩٤ هـ ) في كتابه « البرهان في علوم القرآن » وجلال الدين السيوطي في كتابه « الاطنان في علوم القرآن » . ويشكل هذان الكتابان جانباً كبيراً من جوانب تلك العناية التي اثمرت مؤلفات كثيرة عالجت البلاغة من أجل الوصول الى اعجاز القرآن وادراك أسراره .

وأدت العناية بأسلوب القرآن الكريم الى ظهور دراسات كثيرة ولعل من أقدمها « مجاز القرآن » لأبي عبيدة و « تأويل مشكل القرآن » لأمس قتيبة ( - ٢٧٦ هـ ) و « تلخيص البيان في مجازات القرآن » للشريف الرضي

(٢٢) التفصيل في كتاب مناهج بلاغية ص ٦٤ .

( - ٤٠٦ هـ ) و « دلائل الإعجاز » لعبدالقاهر الجرجاني ( - ٤٧١ هـ أو ٤٧٤ هـ ) و « نهاية الأيجاز في دراسة الإعجاز » لفخرالدين الرازي ( - ٦٠٦ هـ ) و « التبيان المطلع على إعجاز القرآن » و « البرهان الكائنه عن إعجاز القرآن » لكمالالدين عبدالواحد بن عبدالكريم المعروف بابن الزمطكاني ( - ٦٥١ هـ ) و « الإشارة الى الأيجاز في أنواع المآز » لعزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام ( - ٦٦٠ هـ ) و « الطراز المنضن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز » ليجي بن حمزة العلوي ( - ٧٤٩ هـ ) و « التوائد المشوق الى علوم القرآن » لابن قيم الجوزية ( - ٧٥١ هـ ) .

وظهرت كتب خاصة ببعض موضوعات البلاغة في كتاب الله ، وقد ألف ابن قايما البغدادي ( - ٤٨٥ هـ ) كتاب « الجمال في تشبيهات القرآن » وقال في مقدمته : « التشبيهات نوع مستحسن من أنواع البلاغة ، وقد ورد منه في كتاب الله تعالى ما نحن ذاكروه في هذا الكتاب وذاهيون الى إيضاح معانيه والتشبيه على مكالن الفضيلة فيه»<sup>(٢٢٢)</sup> . ودرس ابن أبي الأصعب المصري ( - ٦٥٤ هـ ) فنون البلاغة التي وردت في كتاب الله ، وألف كتابا في ذلك هو « بديع القرآن » وقد جمع فيه مائة وستة من فنون البلاغة ، وبحثها بأسلوب أدبي مستع وذكر الشواهد الرقيقة وفي مقدمتها كلام الله لأن الكتاب ألف لهذا الهدف ولإظهار روعة أسلوب القرآن الكريم وإعجازه . وهذا الكتاب مفرد من كتابه « تحرير التحرير » الذي ضم مائة وخمسة وعشرين فنا ، لأن المؤلف وجد في كلام العرب ما لم يجده في كتاب الله من فنون ، ينزه القرآن عنها مثل : « الهزل الذي يراد به الجد » و « الانحران » و « العقد » و « الأماخ » و « الهجاء في معرض المدح » و « الألفاظ والتمسية » وغيرها<sup>(٢٢٣)</sup> .

(٢٢٢) الجمال في تشبيهات القرآن ص ٤٣ .

(٢٢٣) التفصيل في كتاب مناهج بلاغية ص ١٤٩ .

وعلى القرآن الكريم يرفد البلاغة العربية ويدفع الى التأليف فيها ، وكانت مئات الكتب التي ظهرت استجابة لخدمة كتاب الله ولا يكاد كتاب منها يخلو من الاشارة الى هذا النافع ، وهو نافع ديني الى جواب النواحي الأخرى التي ذكرها المتخصصون (٢٥) .

منها كالمعنى

### الشاهد :

كان الشاهد القرآني المثل الأعلى في كتب اللغة العربية ، وهو رأس شواهد البلاغة التي كانت استجابة للحياة الفكرية التي استطل بها العرب والمسلمون بعد نزول كتاب الله بلسان عربي مبين . ولا يخلو كتاب بلاغي من الشاهد القرآني ، لأن ذلك من أول ما يسعى اليه المؤلف بل هو ما يريد تأكيدُه حينما طأخ البحث وقلم فنون البلاغة في فصول .

إن تحدي القرآن للعرب أن يأتوا بمثله دفعهم الى التفكير في أسلوبه والوقوف على ألفاظه ومعانيه ، وكان ثمرة ذلك الوقوف والتأمل هذه العبريات المستفيضة التي أغارت قلوب المؤمنين وعمرت حياتهم بالأمل وألقتهم بكل غيب جليل . وقد كانت البلاغة أول ما نشأت في كتب القرآن ، وكانت فنونها تتردد في الكتب المتقدمة ككتاب «معاني القرآن» ليجي بن زيد الفراء ( - ٢٠٧هـ ) وكتاب « مجاز القرآن » لابي عبيدة ( - ٢٠٨هـ ) ولم يكن بطبيعة الحال أن يخرج هذان المؤلفان على الشاهد القرآني لأن موضوعهما يتصلان بكتاب الله اتصالاً وثيقاً بل هما موضوع واحد أريد به الكشف عن معاني القرآن وطرق التعبير فيه . ولعل عبدالله بن المعتز ( - ٢٩٩هـ ) كان من أوائل الذين سنوا البدء بالشاهد القرآني في دراسة البلاغة وتوضح ذلك في أول عبارة بدأ بها كتابه « البديع » قال وهو يتحدث عن فنونه : « قد تدعى في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله

(٢٥) معرفة ذلك في كتاب الصناعتين ص ١ ، منهاج بلاغية ص ٢٢ .



— صلى الله عليه — وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم ، وأشعار المتقدمين من الكلام الذي ساء المحدثون « البديع » (٢٦) . ثم قال : « من الكلام البديع قول الله تعالى : « وانه في أم الكتاب لدينا لطي حكيم » (٢٧) . وقان عندما بدأ بنون البديع : « الباب الأول من البديع وهو الاستعارة ، قال الله تعالى : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنن أمه الكتاب » (٢٨) . وقال « واختصن لها جناح النفل من الرحمة » (٢٩) . وقال : « واشتمل الرأس شيئا » (٣٠) وقال : « أو يأتيهم عذاب يوم عقيم » (٣١) . وقال : « وآية لهم الليل ليلخ منه النهار » (٣٢) . وذكر بعد ذلك من أحاديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — ما فيه استعارة ، ثم أتبعه بكلام الصحابة — رضوان الله عليهم — وبأمثلة من الشعر القديم والمحدث . وسار على هذا النهج في ضرب الأمثلة وذكر الشواهد ، ولم يلتزم البلاغيون الآخرون بشل هذا الالتزام وان كان الشاهد البلاغي يتق على قبة الشواهد لغير أن يحيى بن حزمة الطوي عاد الى هذا النهج في ترتيب الشواهد والتزم به كل الالتزام ورتب شواهد على هذه الصورة :

النوع الأول : من القرآن الكريم .

النوع الثاني : من الأخبار النبوية .

النوع الثالث : من كلام أسير المؤمنين علي بن أبي طالب — رضي

الله عنه — .

النوع الرابع : ما ورد من الفن البلاغي في كلام البلغاء .

النوع الخامس : ما ورد من الفن البلاغي في المنظوم .

(٢٦) البديع ص ٦ .

(٢٧) سورة الزخرف ، الآية ٤ .

(٢٨) سورة آل عمران ، الآية ٧ .

(٢٩) سورة الاسراء ، الآية ٢٤ .

(٣٠) سورة مريم ، الآية ٤ .

(٣١) سورة يس ، الآية ٣٧ .

(٣٢) سورة الصبح ، الآية ٥٥ .

والم يخرج العلوي على هذا النهج في ضرب الأمثلة وذكر التواهد  
 ويوضح أن تربيته يقوم على المنزلة والأهمية ، فكتاب الله في قصة البلافة وفي  
 أرفع مقام ، يأتي بعده كلام النبي العظيم فكلام الإمام علي - كرم الله وجهه -  
 فكلام العرب النصحاء البلاغة فأشعار الشعراء القدماء والمحدثين . وكان  
 العلوي يقر إلى ما فعله ابن المعتز - وإن ادعى أنه لم يطلع على كتب البلاغة  
 كتبها وإنما رأى أربعة منها وطلعا ، وقال : « ولم أطلع من الدواوين الموافقة  
 فيه مع قلتها وتزورها إلا أربعة :

أولها : كتاب « مثل السائر » للشيخ أبي الفتح نصر بن عبدالكريم  
 المعروف بابن الأثير .

وثانيها : كتاب « البيان » للشيخ عبدالكريم (٣٣) .

وثالثها : كتاب « النهاية » لأبي النضيب الرازي (٣٤) .

ورابعها كتاب « المصباح » لابن السراج المالكي (٣٥) .

وأول من أسس من هذا العلم قواعد وأوضح براهينه وأظهر فوائده  
 ورتب أمانيه الشيخ العالم النحوي علم المحققين عبدالقاهر الجرجاني (٣٦) .  
 وادعى أنه لم يطلع على كتابي « دلائل الأفعال » و « أسرار البلاغة »  
 ولم يقف على شيء منها إلا ما نقله العلماء في تعاليتهم منها . ولكن ذلك  
 لا يضر الالتقاء الواضح في ضرب الأمثلة وتصنيف التواهد بينه وبين  
 ابن المعتز الذي كان من أوائل المهتمين بهذه المسألة حينما أراد أن يقول إن  
 القرآن الكريم سبق إلى كثير من فنون البدع التي ادعاها المجددون ولج  
 فيها المولدون ، ولذلك ابتاع بالشاهد القرآني ليحضن اقوالهم ويضد

(٣٣) يريد به ابن الزمكاني المتوفى سنة ٦٥١ هـ .

(٣٤) يريد به فخرالدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ .

(٣٥) يريد به بندرالدين بن مالك المتوفى سنة ٦٨٦ هـ .

(٣٦) الطراز ج ١ ص ٢ - ٤ .

آراءهم ووقفهم حيث ينبغي أن يفتوا غير مباهين ولا فتورين . وهذا المثلان — ابن المعتز والعلوي — يدلان على ما كان عليه القدماء من ارتباط بالشاهد القرآني فيما يقولون وفيما يؤلفون ، وليس معنى ذلك أن البلاغين الآخرين ابتعدوا عن ذلك بل أخذوا بهذا النهج ووضعوا الشاهد القرآني فسوق كل شاهد ، ووقفوا أمامه مبهورين .

وكان من أثر اهتمامهم بالشاهد البلاغي تحليلهم للكلام الله والوقوف على ما فيه من روعة وجمال واستنباط الفنون البلاغية منه . ومن ذلك قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابلغي ماءك ، ويا سماء اقلعي ، وغيفض الماء » ، وقضي الأمر ، واستوت على الجودي » ، وقيل يتشعأ للقوم الطالين<sup>(٣٧)</sup> . وقال ابن أبي الأصم المصري وقد ذكر هذه الآية في باب « الأبتاع » : « ما رأيت في جميع ما استقرت من الكلام المنثور والشعر الموزون كآية كريمة من كتاب الله تعالى استخرجت منها أحداً وعشرين ضرباً من المعاسن<sup>(٣٨)</sup> . وبدأ بذكر تلك الضروب من المعاسن وقال : « وهي المناسبة التامة بين « اقلعي » و « ابلغي » . والمطابقة بذكر الأرض والسماء ، والمجاز في قوله : « يا سماء » فلن المراد — والله أعلم — يا مطر السماء . والاستعارة في قوله « اقلعي » . والاشارة في قوله تعالى « وغيفض الماء » فانه عبر بهاتين التنتين عن معانٍ كثيرة . والتشليل في قوله تعالى : « وقضي الأمر » فانه عبر عن هلاك الهالكين ونجا قائلنا حين ينطق فيه بشئ<sup>(٣٩)</sup> عن لفظ المعنى الموضوع له . والإرداف في قوله تعالى :

« واستوت على الجودي » فانه عبر عن استقرارها بهذا المكان وجلوها جلوساً متسكناً لا يرفع فيه ولا ميل بلفظ قريب من لفظ المعنى ، والتعليل لأن غيفض الماء طلة الأستواء . وصحة التفسير إذ استوعب — سبحانه أقسام

(٣٧) سورة هود : الآية ٥١ .

(٣٨) تحرير التخبير من ٦١١ ، وينظر يدبع الرآن من ٣٤ .

أحوال الماء حالة نقسه إذ ليس إلا احتباس ماء السماء واحتقان الماء الذي يسبح من الأرض وغيض الماء العاصل على ظهرها . والاحتباس في قوله تعالى : « وقيل بُعداً للقوم الظالمين » إذ الداء يشعر بأنهم مستحقو الهلاك احتراساً من ضعيف يتوهم أن الهلاك لسومه ربما شمل من يستحق ومن لا يستحق فتأكد بالداء على الهالكين لكونهم مستحقين ذلك والايضاح في قوله « للقوم » ليبيّن لهم أن القوم هم الذين سبق ذكرهم في الآية المتقدمة عليها حيث قال تعالى : « وكفنا مرء عليه ملاً من قومه سخروا منه » (٣٩) ، وفي قوله قبل ذلك : « ولا تطغى في الذين ظلموا إنهم مشفقون » (٤٠) . فأتى سبحانه - في آخر هذه الآية بلفظة « القوم » التي الألف واللام فيها للمعبد ليبين أنهم القوم الذين سبق ذكرهم ووصفهم بالظلم كما وصفهم في أول الكلام بالظلم ، وذلك مما يوضح المعنى ويبيّن ، فلم أن لفظة القوم هنا ليست فضلة في الكلام وإنما يحصل بسقوطها لبس في المعنى ، وعدم بيان الكلام محتاج له . والمساواة لأن لفظة الآية لا يرصد على معناها . وحسن النسق لانه - سبحانه - عطف القضايا بعضها على بعض بحسن ترتيب حسيما وقعت + والتلاف اللفظ مع المعنى ، لأن كل لفظة لا يصح موضعها غيرها . والايجاز لانه - سبحانه - اقتصر القصّة بلفظها مستوعبة بحيث لم يخل منها شيء في أخصر عبارة . والتسليم لأن أول الآية إلى قوله تعالى : « قلعي » يقتضي آخرها . والتهديب لأن مسودات الالفاظ موصوفة بصفات الحسن ، كل لفظة سحرة سهلة مغارج العروف عليها رونق النضاعة مع الخلو عن البشاعة والتركيب سليبة من التعقيد وأسبابه . والتقديم والتأخير ، والحذف والتخيل ، والزيادة المسببة ، وحسن البيان من جهة أن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام ولا يشكل عليه شيء من هذا النظام . والتسكين لأن الفاصلة مستقرة في قسوارها

(٣٩) سورة هود ، الآية ٢٨ .

(٤٠) سورة هود ، الآية ٢٧ .

مطشنة في مكانها غير قلقة ولا مستدعاة • والانسجام وهو تحذير الكلام بسهولة كما ينسجم الماء وينساب انسياب العليل من الهواء • وما في مجروح الآية من الابتاع وهو الذي سبى به هذا الباب من أن كل لفظة لا تظفر عن أن يستخرج منها ضرب أو ضربان من البديع • فهذه آية عدة أنماطها سبع عشرة لفظة تتضمن أهدأ وعشرين ضرباً من البديع غير ما يتعدد من ضربها فإن الاستعارة وقعت منها في موضعين : وهما استعارة الابتاع للأرض والاقلاع للنساء • والمجاز في مكانين في قوله سبحانه « وإساءة » وفي الإشارة والتشيل والأرواف لأن المجاز مجازان : مجاز بالعنف ومجاز بالتغيير وقد وقعا معا • فاطر — رحلك الله — إلى عظيمة هذا الكلام لتعلم ما انطوى عليه قلبه وما تضمنه لفظه » •

وكان عبدالقاهر الجرجاني قد وقف عند هذه الآية الكريمة ونظر إليها من خلال النظم حينما يندق واللفظ حين يتحدث فقال وهو يتحدث عن نظم الفاظ الآية : « وهل تتك إننا فكرت في قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابلعي هاتك وإساءة اقله ويغيض الله وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل : بعداً للقوم الظالمين » فتجلى لك منها الإعجاز وبهرك الذي ترى وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذا الكلم بعضها ببعض وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابية وهكذا إلى أن تستقرها إلى آخرها وإن الفضل نتائج ما بينها ، وحصل من مجوعها • إن شككت فتأمل هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأقررت زادت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية ؟ قل « ابلعي » واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها وكذلك فاعتبر سائر ما يليها • وكيف بالشك في ذلك ومعلوم أن مبدأ العظيمة نسي أن توديت الأرض ثم أمرت ، ثم في أن كان البناء بـ « يا » دون « أي » نحو « يا أيها

الأرض « ثم إضافة الماء الى الكاف دون أن يقال « الجلسي الماء » ثم أن  
 اتبع نداء الأرض وأمرها بما هو شأنها نداء الساء وأمرها كذلك بما  
 يخصها ، ثم قيل « وغيبس الماء » فجعل الفعل على صيغة « فَعَلَّيْ » الدالة  
 على أنه لم يفيض إلا بأمر أمر وقدره قادر ، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله  
 تعالى « ونضى الأمر » ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو « استوت على  
 الجودي » ثم اضممار السيفية قبل الذكر كما هو شرط الضميمة والدلالة على  
 عظم الشأن مقابلة « قيل » في الضميمة بـ « قيل » في الفاتحة - أتري  
 لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالاعجاز روعة وتحضرك عند تصورها  
 هيبة تحيط بالنفس من أقطارها تعلقاً باللفظ من حيث هو صوت مسجع  
 وحروف تتوالى في الظن أم كل ذلك لما بين معاني الالفاظ من الاتساق  
 العجيب (١١) .

ووقف السكاكي عند هذه الآية وقفة طويلة ونظر إليها من خلال تسميته  
 البلاغة الى قنين متميزين هما : علم المعاني وعلم البيان ، ومن خلال  
 التفصاح والبلاغة اللتين حدهما وأرسى قواعدهما ، وحطها تحليلاً منفصلاً  
 معتدلاً على تحليل عبدالقاهر ، ولكنه لم يستطع أن يكشف السحر الخلاق  
 الذي تميز به كلام الله كما استطاع الشيخ وابن أبي الاصمعي المصري (١٢) .  
 وما يحدد للسكاكي انه حاول أن يتفوق القرآن الكريم وأن يشير الى ما فيه  
 من روعة وجمال ، ونبه الى مواطن ذلك ، ولكنه لم يعلق كما خلق غيره  
 لانه عاش في بيئة بعيدة عن مهد العرب وفي زمان اتجه الأدب فيه نحو  
 الجمود وأخذت علوم اللغة تنحصر في التقسيم والتحديد ، وان كان السكاكي  
 نفسه يرى « أن شأن الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن  
 تمركز ولا يمكن وصفها وكالملاحاة » وان مدرك الاعجاز عنده « هو الذوق

(١١) دلالات الاعجاز ص ٣٦-٣٧ .

(١٢) ينظر تحليل الآية في مفتاح العلوم ص ١١٧ .

ليس إلا<sup>٤٦٦</sup> وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العليين - المعاصي والبيانات<sup>(٤٦٧)</sup>، ولكن أشي له التحليق، وهو صاحب «مفتاح العلوم» الذي حسب قواعد الصرف والنحو والبالغة فيه سببا أتقدها روائعا وأحالتها قواعد تحفظ وأمثلة مبتسرة تتردد بين المتأدين .

ومهما يكن من أمر فقد كان القرآن سببا في تحليل البلاغين لآياته لكي يكشفوا عن روعته وجماله ويقارنوه بكلام العرب البليغ . وكان من ذلك أن وقف بعضهم يقارن بين قوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة »<sup>(٤٦٨)</sup> وقوله بعضهم : « القتل أشي للقتل » . قال الخطيب التزويني ( ١٠٣٩ هـ ) : « وفضله على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى وهو قولهم « القتل أشي للقتل » من وجوه :

أحدها : أن عددة حروف ما يناظره منه وهو « في القصاص حياة » عشرة في التلفظ ، وعددة حروفه أربعة عشر .

وثانيها : ما فيه من التصريح بالطلب الذي هو الحياة بالنص عليها فيكون أوجز عن القتل بغير حق لكونه أدى إلى الانتصاف .  
وثالثها : ما فيه تكبير « حياة » من التظيم أو النوعية .

ورابعا : إطراده بخلاف قولهم ، فإن القتل الذي ينسي القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره .

وخامسا : سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام بخلاف قولهم .

وسادسا : استغناؤه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فإن تقديره : القتل أشي للقتل من تركه .

وسابعها : أن القصاص ضد الحياة فالجمع بينهما طباق .

(٤٦٦) مفتاح العلوم ص ١٩٦ . (٤٦٧) سورة البقرة ، الآية ١٧٩ .

وثابتها : جعل القصاص كالمثبوع والمعدن للحياة بادخال « في » عليه (١٥١) .

إنّ مثل هذه المقارنة بين كلام الله وكلام البشر لا تثبت ان كلامه - تعالى - أسس من كلام غيره لأن ذلك مستقر في النفوس المؤمنة ، ولكنها تكشف عن الفرق بين اللويين من التعبير وأدله العكسرة ونعطي صورة واضحة لروعة القرآن وهو ما يحتاج اليه المسلم أولاً والمتأدب ثانياً والمنكر ثالثاً ، وفي ذلك خدمة عظيمة لكلام الله واللغة العربية وبلاغتها .

وساعد الشاهد القرآني علماء البلاغة على الكشف عن مسائل كثيرة اتصل بالأسلوب العربي والردّ على من يذهب بعيداً في تفسير الكلام أو يشك في نظم القرآن . ومن أمثلة ذلك وتفوقهم على « براعة التخلف » التي لم يحسن القدماء تطويرها وعلو شأنها الشراء المحدثون في العصر العباسي .

قال ابن أبي الأسيح المصري وهو يتحدث عن هذا الفن : « وقد ذهب أصحاب الإعجاز الى أنه وجه الإعجاز ، وهو دقيق في عين الغيب خفي يفتى على غير الحدائق من ذوي التقه . وهو مبثوث في الكتاب العزيز من أوله الى آخره فانك تلقى من الكتاب العزيز على مواضع تجدتها في الظاهر فصولاً متنافرة لا تعرف كيف تجمع بينها فانما أنمت النظر وكنت ممن له درية بهذه الصناعة ظهر لك الجبع بينها كقوله سبحانه وتعالى : « سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لئريك من آياتنا انه هو السميع البصير . وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبي اسرائيل ألا تخشون من دولي وكيا . ذرفقة من حنكتنا مع نوح إنه كان عبثاً شكوراً » (١٦٦) . فانك إذا نظرت الى قوله تعالى : « وآتينا موسى الكتاب » وجدت هذا الفصل

(١٥١) الإيضاح ص ١٨٢ .

(١٦٦) سورة الاسراء ، الآيات ١ - ٣ .



مبينا لما قبله حتى تنكر فتد الوصل بين الفصلين في قوله : « سبحانه الذي أسرى بعبده » فانه - سبحانه - أخير بأنه أسرى بجمد - صلى الله عليه وسلم - ليريه من آياته ويرسله الى عباده كما أسرى بموسى من مصر حين خرج منها خائفاً يترقب فأتى مندائين وتزوج بابنة شعيب ، وأسرى بها فزأى النار فخطبه ربه وأرسله الى فرعون وآتاه الكتاب . فهذا الوصل بين هذين الفصلين ، وأما الوصل بين ما ذكرت وبين قوله تعالى : « ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبداً شكوراً » فقد كان على بنى اسرائيل قصة عليهم قديماً حيث نجاهم في السفن إذ لو لم ينج إياهم من أبناء نوح لما وجدوا وأخبرهم أن نوحاً كان شكوراً وهم ذريته والولد سرّ أبيه فيجب أن يكونوا شاكرين كآبائهم » (١٧) .

وكان الشاهد القرآني مثلاً يحتذى في الكتابة ، وقد ظهر ذلك فيما طرقة البلاغيون في « الحل » و « العقد » (١٨) ولا يكاد الباحث يستطيع حصر ذلك خلال القرون الطويلة لأن كتاب الله ملائقوس إيماناً ، والعقول ازدهاراً والألسنة بياناً ، وسيظل ذلك الى ما شاء الله نبراساً يضيء طريق المؤمنين .

تلك بعض ملامح أثر القرآن الكريم في البلاغة العربية وقد اتضح انه أثر في مسألتين :

الأولى : الدافع وهو البحث في أساليب العرب ليقف الناس على روعة كتاب الله وجماله وفهم مقاصده ومعانيه وادراك اجزائه . وقد تمثل في الكتب التي تحدثت عن معاني القرآن وجزائه ، وفي الدراسات التي تحدثت عن وجوه الاججاز ، وهي دراسات بلاغية لانها عنيت بفنون البلاغة وحددتها

(١٧) تحرير التحرير ص ١٢٢ ؛ وينظر بديع القرآن ص ١٦٧ .

(١٨) ينظر في موضوع الحل والعقد : البديع في نقد الشعر ص ٢٥٩ ، المثل السائر ج ١ ص ١٧٧-حسن التوسل ص ٢٢٥ ؛ جوهر الكفر ص ١٩٥ .

وقستها وشرحت وسائل التعبير بها . واتضح في كتب التفسير والاصول  
وهي كتب كانت تدعو في مقدماتها وفي ثانياً فصولها الى تعلم البلاغة  
ودراستها لانها السبيل الموصل الى فهم القرآن واستنباط الأحكام منه .  
وقد اتضح ان ذلك ظل مرتبطاً بالدراسات البلاغية وقرن البلاغيون وغيرهم  
علم المعاني بالاصول .

الثانية : الشاهد ، وذلك ان كلام الله كان المثال الأعلى عند البلاغيين  
وغيرهم وقد اتضح ذلك في وضع الشاهد القرآني على قمة النواهد ، وفي  
تحليل الآيات القرآنية واستخراج النصوص البلاغية منها ، وفي حلها  
في الكلام أو عقدها في الشعر .

ولا يقف اثر القرآن عند هذه الجوانب بل هناك جوانب كثيرة كان له  
دور في ظهورها وكشفها ، وقد ظل - وسيبقى - منهل الأدباء وقادة  
البلاغيين ومعين المسلمين في حياتهم وزادهم في آخرتهم الى ماشاء الله ؛  
لانه الكتاب الأعظم والمستور الأوسع لكل من آمن بالله ورسوله  
واليوم الآخر .

### المصادر :

- ١ - الإيضاح - الخطيب القزويني . القاهرة ( مطبعة السنة المحمدية ) .
- ٢ - البديع - ابن المعتز . طبعة كراشكوفسكي . لندن ١٩٢٥ م .
- ٣ - البديع في نقد الشعر - أسامة بن منقذ . تحقيق الدكتور احمد احمد  
بديوي والدكتور حامد عبدالجيد . القاهرة ١٢٢٨هـ - ١٩٦٠ م .
- ٤ - بديع القرآن - ابن ابي الاسبيع المصري . تحقيق حفني محمد  
شرف - القاهرة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧ م .
- ٥ - البلاغة عند السكاكي . الدكتور احمد مطلوب - بغداد ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- ٦ - تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبين اعجاز القرآن . ابن ابي  
الاسبيع المصري . تحقيق الدكتور حفني محمد شرف . القاهرة  
١٣٨٢هـ - ١٩٦٢ م .

- ٧ - جامع البيان في تفسير القرآن ، محمد بن جرير الطبري - القاهرة .
- ٨ - الجمعان في تشبيعات القرآن ، ابن ناثيا البغدادي ، تحقيق الدكتور أحمد مطوب والدكتورة خديجة الحديثي ، بغداد ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م .
- ٩ - جوهر الكنز - نجم الدين أحمد بن اسماعيل بن الأثير الحلبي - تحقيق الدكتور محمد زقلول سلام ، الاسكندرية - مصر .
- ١٠ - حسن التوسل - شباه الدين الحلبي ، تحقيق الدكتوركرم عثمان يوسف ، بغداد ، ١٩٨٠م .
- ١١ - دلائل الإعجاز - عبدالقاهر الجرجاني ، تحقيق محمد رشيد رضا - القاهرة ١٣٧٢هـ .
- ١٢ - الرسالة - محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق احمد محمد شاكر - القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م .
- ١٣ - سيرة ابن هشام - ابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وجماعته ، القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .
- ١٤ - الطراز - يحيى بن حمزة الطوي ، القاهرة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م .
- ١٥ - مدروس الأبراج في شرح تلخيص المفتاح - بهاء الدين السبكي ، ( شروح التلخيص ) ، القاهرة ١٩٣٧م .
- ١٦ - كتاب الصناعتين - أبو هلال العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي واليو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- ١٧ - الكتابات جواهره الرمضاني ، الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م .
- ١٨ - القل السائر في ادب الكلاجه والشاعر - شباه الدين بن الأثير الجزري ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .
- ١٩ - معجم الأدباء - ياقوت الحموي ، تحقيق مرغليوث ، الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٢٣م .
- ٢٠ - مفتاح العلوم - يوسف بن أبي بكر السكاكي ، القاهرة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .
- ٢١ - مقدمة ابن خلدون - ابن خلدون ، دار الكشاف - بيروت .
- ٢٢ - مناهج بلاغية - الدكتور أحمد مطوب ، بيروت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
- ٢٣ - نزعة الإبياء في طبقات الأدباء - ابن الأنباري ، تحقيق الدكتور إبراهيم السمراني ، بغداد ١٩٥٩م .



(٧)

## بديع القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب الله المنزل على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو أبلغ كلام وأفصح ، وقد وقف العرب أمامه مبهوتين ولم يستطيعوا أن يقولوا إلا انه «أساطير الأولين» وان الرسول الكريم «اكتسبها» أي تلمس عليه بكرة<sup>(١)</sup> وأصيلا<sup>(٢)</sup> . وعجزوا عن أن يأتيوا بمثله أو يعثر سور أو بسورة ولما بان عجزهم قال الله تعالى : « قل لمن اجتمعت الانس والجن على أن يأتيوا بمثل هذا القرآن لا يأتيون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »<sup>(٣)</sup> . وكان هذا التحدي لقوم عرفوا بالبالغة وال فصاحة وكان كتاب الله من جنس كلامهم فهو « لسان عربي مبين »<sup>(٤)</sup> . وشغلت بلاغة القرآن وفصاحته الناس ، وعدوا الطماء ذلك وجها من وجوه الاعجاز وشرعوا يبحثون في هذا الوجه ويؤلّفون الرسائل والكتب ، وكان وصف الله - سبحانه وتعالى - لكتابه العزيز انه « عربي مبين » منطلق البحث في فنون البلاغة والوقوف على أثرها في المعنى وفعلها في النفوس . والبديع - بمعناه المتأخر - أحد الموضوعات التي سموا الى اظهارها وتبين قيمتها وأثرها في الكلام وهو - كما عرفته القماء - « علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال

(١) نشر بعنوان « القرآن الكريم والبديع » في مجلة الرسالة الإسلامية (العددان 155 - 156) رجب 1403هـ - نيسان 1982م ، السنة السادسة عشرة ) .

(٢) سورة الفرقان ، الآية ٥ .

(٣) سورة الاسراء ، الآية ٨٨ .

(٤) سورة النحل ، الآية ١٠٣ .

ووضوح الدلالة»<sup>(١)</sup> . ولكنهم لم يسيبوا في ذلك لأنهم أخذوا تعريفهم مما وصلت اليه البلاغة العربية في عهدها المتأخرة ومن انصرف المشين الى الزخرف الذي أبعدهم عن الهدف الذي يسمي اليه البليغ الفصيح .

لقد كان العرب قبل الاسلام وبعده يولون كلامهم بصور البديع ولم يتصدوا الى الزينة أو الحلية قسداً والنا وجدوا البديع جزءاً مهماً من الصياغة وأنه يمر عن المعنى تعبيراً دقيقاً ويضفي على الكلمات ايحاءً يثير في النفوس أجمل الصور وأروعها . ولو كان هدف البديع غير ذلك ما حبل به القرآن الكريم ولتجرد منه لأنه « كتاب هداية » ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين»<sup>(٢)</sup> وقد فصله الله تعالى « على علم ، هدى » ورحمة» لقوم يؤمنون»<sup>(٣)</sup> . وكان كتاب الله من جنس كلامهم والى ذلك أشار المتقدمون فقال الامام محمد بن ادريس الشافعي : « إن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره ، لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جمل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجناح معانيه وشرقها . وما علمه اتت عنه الشكك التي دخلت على من جهل لسانها»<sup>(٤)</sup> . ثم تحدث عن أساليب العرب وقال : « فإنا خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها ، وكان ما تعرف من معانيها اساع لسانها وان فيطهرته أن يخاطب بالشيء منه عاماً ظاهراً يراد به العام الظاهر ويستغنى بأولها منه عن آخره ،وعاماً ظاهراً يراد به العام ويضخه الخاص فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه ، وعاماً ظاهراً يراد به الخاص ، وظاهراً يعرف في سياقه انه يراد به غير ظاهره ، فكل هذا موجود عليه في أول الكلام أو وسطه أو آخره . ويتبدى الشيء من كلامها يتبين أول لفظها فيه عن آخره ويتبدى الشيء يتبين آخر لفظها منه عن أوله ، وتكلم

(١) الإيضاح من ٢٢٢ ، التلخيص من ٢١٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ٥٢ .

(٤) الرسالة ص ٥٠ .

بالشيء، تعرفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ كما تعرف الإشارة ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها لافراد أهل عليها به دون أهل جهاتها ، وتسي الشيء الواحد بالاسماء الكثيرة ، وتسي بالاسم الواحد المطاني الكثيرة (١٨) . وقال أبو عبيدة معمر بن الأثنى : « ففي القسر أن ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني ، ومن المحتمل من مجاز ما اختصر ، ومجاز ما حذف ومجاز ما كلف عن غيره ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع ، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه على الاثنين ، ومجاز ما جاء لفظه خير الجميع على لفظ خير الواحد ، ومجاز ما جاء الجبيع في موضع الواحد إذا اشرك بينه وبين آخر مفرده ومجاز ما خير عن اثنين أو عن أكثر من ذلك فجعل الخير الواحد أو للجميع وكلف عن خير الآخر ، ومجاز ما خبر عن اثنين أو أكثر من ذلك فجعل الخير للأول منها ، ومجاز ما خير عن اثنين أو عن أكثر من ذلك فجعل الخير للآخر منها ، ومجاز ما جاء من لفظ خير الحيوان والموات على لفظ خير الناس ، والحيوان كسل ما أكل من غير الناس وهي الدواب كلها ، ومجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الغالب ومعناه مخاطبة الشاهد ، ومجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثم تركت وحوّلت مخاطبته هذه الى مخاطبة الغالب ، ومجاز ما يزداد من حروف الزوائد ويقع مجاز الكلام على القائلين ، ومجاز المضمر استغناء عن الظاهر ، ومجاز المكرر للتوكيد ، ومجاز المجهول استغناء عن كثرة التكرار ، ومجاز التقدم والمؤخر ، ومجاز ما يحول من خبره الى خير غيره بمد أن يكون من سببه فيجعل خبره للذي من سببه ويترك هو - وكل هذا جائز قد تكلموا به (١٩) .

وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في مقدمة تفسيره : « وإذا كان لسان محمد - صلى الله عليه وسلم - عربياً فيبين أن القرآن عربي وبذلك أيضاً نطق بحكم تنزيل ربنا فقال جل ذكره : « إذا أنزلناه قرآناً عربياً

(١٨) الرسالة ص ٥١ - ٥٢ .

(١٩) مجاز القرآن ج ١ ص ١٨ - ١٩ .

لعلكم تتعقلون»<sup>(١٠٦)</sup> وقال : « وانه لتنزل ربه العالمين ، لتزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين »<sup>(١٠٧)</sup> .  
 وإذا كانت واضحة صحة ما قلنا - بما عليه استشهدنا من الشواهد ودللتنا عليه من الدلائل - فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزول على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - لمعاني كلام العرب موافقة وظاهره لظاهر كلامها مالمنا ، وإن باينه كتاب الله بالفضيلة التي فضل بها سائر الكلام والبيان بما قد تقدم وصفتناه . فإذا كان ذلك كذلك فيبين<sup>(١٠٨)</sup> إذ كان موجودا في كلام العرب الإيجاز والاختصار ، والاجتزاء بالأضواء من الظواهر ، وبالقلة من الأكتاف في بعض الأحوال ، واستعمال الإطالة والأكثر والترداد والتكرار و الظاهر المعاني بالأسماء دون الكناية عنها ، والأسرار في بعض الأوقات الخاص في المراد بالعام الظاهر ، وعن العام في المراد بالخاص الظاهر ، وعن الكناية والمراد منه المصريح وعن الصفة والمراد الموصوف ، وعن الموصوف والمراد الصفة ، وتقديم ما هو في المعنى مؤخر وتأخير ما هو في المعنى مقدم ، والاكتفاء ببعض من بعض وبما يظهر عما يحذف والنهار ما يحذف أن يكون ما في كتاب الله المنزول على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - من ذلك في كل ذلك له ظهراً وله مثلاً وشبيهاً<sup>(١٠٩)</sup> .

ولا يكاد كتاب بلاني يخلو من إثبات هذه الحقيقة الخالدة التي لا ينكرها إلا جاحد للقرآن وأسلوبه العربي المبين . وهذه الحقيقة الناصعة التي لأرب فيها كانت دافعا إلى البحث في بلاغة كتابه الله ، وقد بذل الأقدمون جهوداً عظيمة في هذه السبيل مما يعني المعاصرين عن العودة إلى بحثها والوقوف عليها لولا ما يثار بين حين وآخر من شبهات تجسد صدق في بعض البيئات ، ومن ذلك أن البلاغة العربية تنسأت في ظل الأثر الأجنبي وهي دعوة أضلت تردد

(١٠٦) سورة يوسف ، الآية ٢ .

(١٠٧) سورة الشعراء ، الآيات ١٩٢ - ١٩٥ .

(١٠٨) جامع البيان ج ١ ص ٧ .

منذ أكثر من نصف قرن في الدراسات وبذمها بعض المستشرقين وأنصارهم من العرب ، فقد ألهم أن تكون اللغة العربية متميزة على غيرها من اللغات وأن تظل خالدة على أصالتها التي نبتت من الأمة وروحها واستقت روحها وروعتها وبهاها من كتاب الله العزيز . وكان الدكتور طه حسين قد ذهب الى أن البيان العربي في أول نشأته وفي عهد الجاهل تبيين فيه ثلاثة عناصر هي : العنصر العربي ، والعنصر الفارسي الذي يميل الى البراعة والظرف في القول والهيئة والعنصر اليوناني الذي يتصل بالمعاشي من حيث دقتها والعلاقة بينها وبين الالفاظ . وانتهى الى أن البيان العربي « كان في جميع أطواره وليق الصلة بالفلسفة اليونانية أولا وبالبيان اليوناني أخيرا . وإذن لا يكون أرسطو المعلم الأول للمسلمين في الفلسفة وحدها ولكنه الى جانب ذلك مطمحهم الأول في علم البيان »<sup>(١٣)</sup> . وليس ذلك بصحيح لأن أرسطو لم يذكر سوى فنون بلاغية قليلة كالتشبيه والمجاز وهما مما اتفقت فيه الأمم وعرفها في جميع اللغات ، وإلا بعض ألوان البديع التي زخرت بكثير منها بلاغة العرب . وذهب المسيو مرسيه الى أن « الزخرف الفني وصل الى العرب من الفرس » وحجته « أن المؤلفين بالزخرف من كتاب اللغة العربية أكثرهم من الفرس المستعربين »<sup>(١٤)</sup> . والغريب أن القائلين بالأثر الفارسي لم يدرسوا المسألة دراسة علمية وإنما اكتفوا بما رذكه المستشرقون والمعرضون ، وقد ثبت أن البلاغة الفارسية — فنا وتأليفا — نشأت في عهد متأخر ، وكان كتابها متأثرين بالهن العربي ، وكان أهم كتبها « ترجمان البلاغة » لمحمد بن عمر الرادوياني و « حقائق السحر في دقائق الشعر » لرشيد الدين الرومطوط متأثرين بكتب البلاغة العربية وهما متأخران في الظهور ويرجعان الى القرن الخامس للهجرة وما بعده ، وكانت البلاغة العربية وكتبها قد أخذت طريقها الى التأليف منذ أواخر القرن الثاني<sup>(١٥)</sup> ،

(١٣) مقدمة نقد النشر ص ٣١ .

(١٤) النشر الفني ج ١ ص ٤٤ .

(١٥) ينظر مناهج بلاغية لمعرفة ذلك بالتفصيل .



وكانت نشأتها عربية وفتورها أصيلة عرفها العرب قبل الاسلام وبعده ولأجل ذلك ألف ابن المعتز العباسي كتابه « البديع » وقال : « قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله - صلى الله عليه - وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي ساء المحدثون البديع ، ليعلم ان بشاراً ومسلماً وأبانواس ومن تقيكم وسلك سبيلهم لم يسبقوا الى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فاعرب عنه ودل عليه » (١٧٦) .

والأدلة على أن البلاغة العربية فن أصيل كثيرة (١٧٧) ، ولكن كتاب العربية الأكبر أعظم تلك الأدلة وأصدقها ، وكانت العناية ببلاغته وفصاحته عظيمة فوضع أبو عبيدة كتابه « معجزة القرآن » من أجل مسألة بلاغية تتصل بالتشبيه في قوله تعالى : « مثلثتها كأنه رؤوس الشياطين » (١٧٨) ، وألف ابن المعتز كتابه لافهار أمثلة البديع في كتاب الله العزيز وكلام العرب البليغ ، وكتب يحيى بن حمزة العلوي كتابه « الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز » ليكون مقدمة يستعين بها كل من يقرأ تفسير « الكشاف » الذي بناء مؤلفه الزمخشري على البلاغة وفن القول . وألف غيرهم كتبهم من أجل ذلك لأن « الإنسان إذا أفضل علم البلاغة وأخل بعرفة الفصاحة لم يقع عليه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب وما شحته به من الإيجاز البديع والاختصار اللطيف وضمنه من الحلاوة ، وجلته من رونق الطلاوة ، مع سهولة كلفة وجزالتها وعذوبتها وسلاستها الى غير ذلك من محاسن التي عجز الخلق عنها وتعجرت عقولهم فيها . والما يعرف اعجازاً من

(١٧٦) البديع ص ١ .

(١٧٧) ينظر « امر البلاغة العربية في البلاغة الفارسية » المنشور في مجلة « دراسات للاجيال » - السنة الخامسة - العدد الثالث ( كانون الاول ١٩٨٢ ) ص ١١٩ - ١٥١ : وسيأتي في هذا الكتاب .

(١٨٨) سورة الصافات ، الآية ٦٥ .

جبهة عجز العرب عنه وقصورهم عن بلوغ غايته في حسنه وبراعته وسلاسته ونصاعته وكمال معانيه وسمائه القاننه . وقبح لعربي بالفتية المؤمن به والفتارى . المتندى بهديه والمتكلم المشار اليه في حسن مناظرته وتسام آفته في مجادته وشدة شكيبته في حياجه ، وبالعربي الصليب والقرشي الصريح الآ يعرف اعجاز كتاب الله تعالى إلا من الجهة التي يعرفه منها الزنجي والتبلي أو أن يستدل عليه بما استدل به الجاهل النبي . فينبغي من هذه الجهة أن يقدم اقتباس هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله تعالى ومعرفة عدله والتصديق بوعده ووعيدته (١٩٦) .

وألفت كتب خاصة في البديع ومن أشهرها « بديع القرآن » لابن أمي الأصبع المصري الذي أحصى فيه تسعة ومائة فن من بينها المساواة والأبجاز والزيادة وهي من علم المعاني ، والتشبيه والتشليل والمجاز والاستعارة والكناية وهي من علم البيان . وتبقى الفنون الأخرى خاصة لعلم البديع وهي كثيرة تدل دلالة واضحة على أن لغة العرب واسعة وانها لم تأخذ فنونها البلاغية من الفرس أو اليونان وانما ولدت في البيئة العربية يوم كان اسرؤ القيس وأوس ابن حجر وزهير بن أمي سلمى وطرفة بن العبد والأعشى مناخاة العرب وحسان ابن ثابت وغيرهم يطفون البلاد ويرجون على العاسة في الشام والندافة في العراق ويقطعون البوادي بين الحجاز واليمامة ويسلون الى البحرين . وتألفت يوم نزل القرآن الكريم على خاتم الرسل وسيد الأنبياء ، ويوم أصبح المثل الأعلى لكل ناطق بالضاد .

إن الفنون البديعية التي ضمها كتاب الله تدل على أمرين :

الأول : ان هذه الفنون عربية غير منقولة عن الفرس واليونان ، وانها تمثل روح العرب وأصالتهم في التعبير .

الأخر : ان هذه الفنون ليست حلية تقتصر ، وانما هي ركن مهم في العبارة لا يستغنى عنها ، ولولا ذلك لم يحتل بها القرآن الكريم والحديث الشريف ولم يدهر بها كلام العرب البليغ .  
وتلك الفنون قسمان :

الأول : ضرب يرجع الى اللفظ كالجناس ورد العجز على الصدر والجمع والموازفة والتشريع ولزوم ما لا يلزم .

والآخر : ضرب يرجع الى المعنى كالمطابقة - الطباق - ومراعاة النظر والارصاد والمساكلة والاستطراد والزوجة والتورية والاستخدام والتلف والنشر والجمع والتفرغ والتقسيم والمبالغة والمذهب الكلامي وحسن التأكيد وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح .

وقد عده المتأخرون هذه الألوان محسنات يثوتى بها لتحسين الكلام ، وذلك التحسين ذاتي أو عرضي ، قال الدسوقي : « واعظم أن المحسنات البديعية انما يكون تحسينها عرضيا إذا اعتبرت من حيث أنها محسنة ، وهي من هذه الجهة يبحث عنها في علم البديع . وأما إذا اعتبرت من حيث انها مطابقة لتقتضى الحال لكون الحال اقتضاها كانت مرجحة للحسن الذاتي ، وهي من هذه الجهة يبحث عنها في علم المعاني » (٢٠١) . وهذا خلاف لا يقضى الى ثمره بل يؤدي الى انكسار ما للفنون البديع من قيمة في التفسير ، ولو اكتمى المتأخرون بما جاء في القرآن الكريم من ألوان البديع الكثيرة لأعرضوا عن البحث في التحسين الذاتي والعرضي ؛ لأن ذلك لا يتفق وبلاغته القرآن وروعة اسلوبه المبين . إن التأمل في كلام الله والوقوف على معانيه السامية وتذوق ألفاظه الروحانية ومعانيه المؤثرة يؤكد أن البديع لم يكن حلية أو محسنا عرضيا وانما هو اسلوب يهدف الى أمور منها :

(٢٠١) حاشية الدسوقي ج ١ ص ١٢١ .

الأول إبراز المعنى بأجلى صورة وأوضحها .

الثاني : جمال التعبير واتساقه البديع .

الثالث : روعة التأثير وغمقه في النفوس .

ولإيضاح الفكرة لا بد من عرض بعض صور البديع من القرآن الكريم، فمن ذلك ما جاء من جناس تام في قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ أَفْهٌ يَنْزِجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدَّانَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، وَيُنزِلُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ يَشَاءِ ، يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يُذْهِبُ بِالْأَبْصَارِ . يَتَكَلَّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لَأُولِي الْأَبْصَارِ » (٢٢١) . فقد تحدث سبحانه وتعالى عن قدرته حين يسوق سحاباً في السماء ثم يؤلف بينه ويخرج المطر من خلاله ثم ينزله من السماء فيصيب من يشاء فتضرب أرضهم ويضو زرعهم ، ويصرفه عن يشاء فتجذب أرضهم وتسوء حالهم . والصورة هنا مرئية بالعين فالتسا يذهب بالأبصار ، ومحسوسة بالقلب وما يمثل فيه حين يفرح الإنسان بخير يسهه أو يحزن لشر يصيبه . وقد جاءت « الأبصار » الأولى وهي جمع « بصر » معبرة بدقة عن المعنى في قوله تعالى : « يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يُذْهِبُ بِالْأَبْصَارِ » وجاءت الثانية بمعنى البصيرة والادراك في قوله تعالى : « إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لَأُولِي الْأَبْصَارِ » . وليست هناك لطفة لغني عن إحداهما كالعيون والقلوب ، وما أروع لطفة « البصر » التي ترددت في القرآن الكريم كقوله تعالى : « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرتك اليوم حديد » (٢٢٢) وقوله : « وما أمّرتُ الساعة إلاّ أكلح البصر أو هو أقرب » (٢٢٣) . وقوله : « ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير » (٢٢٤) . وما أجمل « الأبصار » في

(٢٢١) سورة النور : الإيتان ٤٣ - ٤٤ .

(٢٢٢) سورة ق : الآية ٢٢ .

(٢٢٣) سورة النحل : الآية ٧٧ .

(٢٢٤) سورة الملك : الآية ٤ .

قوله : « فانها لاتعنى الابصار » ولكن تعنى القلوب التي في الصدور ، (٢٥) .  
وقوله : « واذا زاعت الابصار » وبلغت القلوب الحناجر » (٢٦) .

ومن الجنس التام أيضا قوله تعالى : « ويوم تقوم الساعة ينقسم »  
المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك يؤفكون » (٢٧) ، « فالساعة الاولى يوم  
القيامة ، والثانية الوقت ، وقد جاءت للتعبير عن شعور المجرمين بالوقت القصير .  
ووردت لفظة « الساعة » كثيرا في كتاب الله وكانت تدل على يوم القيامة  
مرة وعلى الوقت مرة اخرى ، ولكن الآية الكرسيه جعلت الدالتين  
في المعنيين ، وعبرنا عن المعنى أدق تعبير .

ومن الجنس الناقص قوله تعالى : « والتت الساق بالساق » السى  
ريك يومئذ الساق » (٢٨) . و « الساق » هنا غير الرجوع أو الذهاب أو  
السير وغير ذلك من الالفاظ التي تدل على الاختيار ولكنه الجسر الى الله  
تعالى للحساب ، فكانت اللفظة شديدة الدلالة على المعنى ومعبرة عن الصورة  
التي يلقى فيها الانسان الجاحد ربه . وتجلي الصورة بوضوح حين تربط  
بالمعنى العام كله ، يقول تعالى : « كلا إذا بلغت التراقي » وقيل من  
راق . و« من » أنه الفراق . والتفتت الساق بالساق . الى ريك يومئذ  
الساق . فلا صدق ولا صلى . ولكن كذب وتولى . ثم ذهب الى  
أهله ينطى . أولى لك فأولى . ثم أولى لك فأولى . يحب الانسان  
أن يترك سدى . ألم يك ثلقة من مهي يثنى . ثم كان علقة  
فتخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والانثى . اليس ذلك بقاهر  
على أن يحيى الموتى » (٢٩) .

(٢٥) سورة الحج ، الآية ٦ .

(٢٦) سورة الاحزاب ، الآية ١٠ .

(٢٧) سورة الروم ، الآية ٥٥ .

(٢٨) سورة القیامة ، الايتان ٢٩ - ٣٠ .

(٢٩) سورة القیامة ، الايات ٢٩ - ٤٠ .

ومن صور اليديع السجع كتقوله تعالى في سورة الضحى : « والضحى ،  
والليل إذا سجي ، ما ودعك ربك وما قلى ، والآخرة خير لك من الأولى ،  
ولسوف يمسئلك ربك لترضى ، ألم يبيدك فيما فآوى ، ووجدك ضالاً  
فهدى ، ووجدك عاثلاً فأغنى ، وأما اليتيم ، فلا تقهر ، وأما السائل ، فلا  
تنهر ، وأما بنعمة ربك فحدث » . لقد أقسم الله تعالى بالضحى ثم بالليل  
ولكنه ليس بالعاصف لأن ذلك لا يصدق وإشراق الضحى وعدوبته ، ثم وجّه  
الكلام الى نبيه العظيم فقال : « ما ودعك ربك » وأوفق كلمة تأتي بعد  
ذلك فعل « قلى » الذي لا يؤدى معناه لفظه الأخرى كالهجر أو الشرك لأن  
القلى فيه بغض وكراهية ، وقد يترك الإنسان صاحبه أو يهجره من غير أن  
يكرهه أو يحمل في قلبه عليه حقاً ولا يقابل « الآخرة » إلا « الأولى »  
ولا يكون بعد الطاء إلا الرضى في مثل هذا الموقف ، وحينما انتهى الكلام  
الى ما كان عليه محمد - صلى الله عليه وسلم - من بشم وحيرة ، جاءت  
لفظة « الهدى » أو الفعل « هدى » بعد الضلالة و « الغنى » بعد « الفقر » ،  
وكانت لفظة « تنهر » بعد « تقهر » لأن كلا من الفعلين يدل على المعنى  
المقصود ، فالقهر لليتيم والنهر للسائل ما يثير الألم في النفس ، وليس في  
اللغة ما يعبر عن هذا المعنى تعبيراً دقيقاً مثل هذين الفعلين ، وإن ما جاء  
فيها مما شئني « لزوم ما لا يلزم » ليس حلية أو صناعة ، وإنما هو ما اقتضاه  
المعنى ولو كان المقصود غير ذلك لجاءت أفعال أخرى ليس فيها هذا  
اللون من اليديع ، وما أراد سبحانه وتعالى - من نبيه المرسل رحمة للعالمين  
أن يحدث بنمته قال : « وأما بنعمة ربك فحدث » أي بلتغ ما أرسلت  
به وحديث النبوة التي أنك الله وهي أجل النعم ، والفرق كبير بين  
« حدث » و « خبر » ولذلك لم يقل « فخير » ، فالسجع في سورة  
« الضحى » لم يأت رحمة وإنما تطلبه المعنى واقتضاه ، ولو غيرت الألفاظ  
لتغير المعنى وذهب المقصد ، وهذا هو السجع الذي حرص عليه البلاغ  
والأدباء ، أما ما شاع في كلام المتأخرين فهو قيود أفتقت الكلام رواه

ومعناه وحلية جعلت الناس ينفرون منه وينهون كما نهى النبي - صلى الله عليه وسلم عن سجع الكهان ولذلك اتعد الباحثون عن هذه التسمية المأخوذة من سجع الحمام وهو تزيد صوتها وأطلقوا بمصطلح « الفواصل » على هذا الوزن من التعبير في كتاب الله . وأصبحت الفاصلة أهم من السجع ودخلت فيها الموازنة وهي « أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقية »<sup>(٣٠)</sup> كقوله تعالى : « ونسارق مصفوفة • وزرابي مبثوثة »<sup>(٣١)</sup> ، قلظة « مبثوثة » لانتهى بها انتهت به « مصفوفة » ولكنها على وزنها . ومثل ذلك قوله تعالى : « وآياتها الكتاب المستين وهدايتها الصراط المستقيم »<sup>(٣٢)</sup> ، قلظة « المستقيم » لانتهى بالتون وإنما بالمسح القرية منها ، وهي تعطي إيقاط يديما إلى جانب التوازن بين الآيتين في عدد الكلمات والارتباط بينهما في المعنى .

والجناس والسجع من المحسنات اللغوية عند المتأخرين ، وفي ذلك إيحاء بأنها يختصان بالنظ وحده ، وليس الأمر كذلك بل هما مادة المعنى وأداة التعبير في الآيات السابقة وفي بليغ كلام العرب وقصيده . أما الضرب الآخر من البديع فهو المحسنات المنوية ، وقد جعل المتأخرون منه المطابقة - الطباق - وهي « الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة »<sup>(٣٣)</sup> . والمطابقة من الأساليب المهمة في التعبير ، لأن في مقابلة الانقفاء إيراداً للمعنى وقد قيل : « والصدق يظهر حسنه الصدق » . ومن بديع هذا الفن قوله تعالى : « وآتته هو أشحك وأبكى وآتته هو أمات وأحيا . وآتة خلق الزوجين الذكر والانسى »<sup>(٣٤)</sup> ، فقد جاءت

- 
- (٣٠) الإيضاح ص ٣٩٨ ، التلخيص ص ٤٠٤ .  
 (٣١) سورة الفاتحة ، الإيتان ١٥ - ١٦ .  
 (٣٢) سورة الصافات ، الإيتان ١١٧ - ١١٨ .  
 (٣٣) الإيضاح ص ٣٢٤ ، التلخيص ص ٢٤٨ .  
 (٣٤) سورة النجم ، الآيات ٤٣ - ٤٥ .

المطابقة بين « أضحك » و « أبكى » وبين « أمان » و « أحيأ » وبين « الذكر » و « الأشي » وكانت التواصل دالة على المعنى أحسن دلالة ومعبرة عن الغرض أيدع تعبير . ومثله قوله تعالى : « وإن روا سبيل الرشد لا يتخذوه سيلا . وإن روا سبيل النبي يتخذوه سيلا »<sup>(٣٥)</sup> . فقد جاء « الرشد » و « النبي » وهما متضادان وجاء « لا يتخذوه » و « يتخذوه » وهما متضادان . ولم يقصد الى هذه المطابقة قصداً وإنما تطلبها المعنى واستدعاهما ، ومثل ذلك قوله تعالى « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر »<sup>(٣٦)</sup> فقد جاءت لفظة « الأسود » مطابقة للفظ « الأبيض » والمعنى هو الذي تطلبها ، ولا تصح كلمة أخرى مكانها لأن « الأبيض » يقابل « الأسود » مقابلة تامة ولو ذكر لون آخر لذهبت الصورة وخفي المنصود من التعبير بل لظورت العبارة شاذة ينقصها الاشتراق والعبارة .

ومما سبى محسنات معنوية اللف والنثر وهو « ذكر متعدد على جهة التضمين والأجمال » ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يردّه اليه «<sup>(٣٧)</sup> كقوله تعالى : « ومن رحمة جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه وتبتهوا من فضله »<sup>(٣٨)</sup> . فإن « لتسكنوا » يرجع الى الأول وهو الليل ، و « لتبتهوا » يعود الى الثاني وهو النهار . وكقوليه : « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى »<sup>(٣٩)</sup> فإن الضمير في « قالوا » لأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى : وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى . فلفظه بين القولين ثقة بأن السامع يردّه الى كل فريق قوله ،

(٣٥) سورة الأعراف ، الآية ١٤٦ .

(٣٦) سورة البقرة ، الآية ١٨٧ .

(٣٧) الأيضاح من ٢٥٥ ، التلخيص من ٣٦١ .

(٣٨) سورة القصص ، الآية ٧٣ . (٣٩) سورة البقرة ، الآية ١١١ .



وهذا أسلوب مهم في اللغة العربية كثير الاستعمال في حصر القضايا ثم  
تسورها .

ومنها المذهب الكلامي وهو « أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريقة  
أهل الكلام »<sup>(١٠٠)</sup> كقوله تعالى : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا<sup>(١٠١)</sup> ،  
وقوله : « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه »<sup>(١٠٢)</sup> أي أن  
الإعادة أهون عليه من البدء ، وما دام الله قد خلق الناس فهو قادر على  
أن يعيدهم ويعيدهم من جديد . وكان المذهب الكلامي من الضنون التي  
أنكر ابن المعتز وجودها في القرآن الكريم فقال : « وهذا باب ما أعظم  
أبي وجدت في القرآن منه شيئاً ، وهو ينسب إلى التكلف تعالى الله عن  
ذلك علواً كبيراً »<sup>(١٠٣)</sup> . ولكن هذا الفن من الأساليب التي يعتمد عليها  
الكلام ولذلك لم يأخذ البلاغيون برأي ابن المعتز وتحدثوا عنه في بدیع  
القرآن وقال ابن أبي الأصمح المصري : « الكتاب الكريم مشحون به »<sup>(١٠٤)</sup>  
وذكر كثيراً من الآيات الغالة على أهمية هذا الأسلوب في عرض القضايا  
والاستنتاج منها .

ومن جميل ألوان البديع فن ساء البلاغيون « الإبداع » وهو « أن  
تكون كل لفظة من لفظ الكلام على أفرادها متضمنة بديها أو بديتين  
بحسب قوة الكلام وما يعطيه معناه بحيث يأتي في البيت الواحد والجملة  
الواحدة عدة ضروب من البديع ، ولا تخلو لفظة منه من بديع فما زاد  
عليه »<sup>(١٠٥)</sup> . وقد استخرج ابن أبي الأصمح كثيراً من الضنون في آية  
واحدة وهي قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابعثي نباتك ، وياساء اقلعي ،  
وغيضي الماء » ، وقضي الأمر ، واستوت على الجودي » ، وقيل بعبارة

(١٠٠) الإبداع ص ٢٦٦ ، التلخيص ص ٢٧٤ .

(١٠١) سورة الروم : الآية ٢٧ - (ع) سورة الأنبياء ، الآية ٢٢ .

(١٠٢) البديع ص ٥٢ .

(١٠٣) بدیع القرآن ص ٢٧ + تحرير التحرير ص ١١٩ .

(١٠٤) بدیع القرآن ص ٢٤٠ ، تحرير التحرير ص ٦١١ .

للقوم القائلين « (٤٦) » . وبلغت فنون التي استخرجها احدثاً وعشرين من  
 المحاسن منها : المناسبة ، والمطابقة ، وحسن التعليل ، وصحة التقسيم ،  
 وحسن النسق ، والتسليم ، وحسن البيان . ثم قال بعد أن ذكر الوجوه  
 الكثيرة : « إذ في كل لفظة بديعٌ وبديعانٌ - كما تقدم - سبع عشرة  
 لفظة تضمنت احدثاً وعشرين ضرباً من البلاغة سوى ما يتعدد من شروبيها  
 فإن الاستعارة وقعت في موضعين وهما استعارة الإيضاح والاقتران .  
 فاطر - رحك الله - الى عطية هذا الكلام وما اتلوى عليه قلبه  
 وما تضمنه لفظة لتقلبه قدومه . وهذا ما ظهر لي منه على ضعف قلبي وقلة  
 مادتي من العلوم وكلال ذهني والله اعلم » (٤٦) .

وفي كتاب الله كثير من فنون البديعية الأخرى كالالتفات والتأكيد  
 المدح بما يحبه الذم وتجاهل المارف والتعريف والمائلة والانسجام والتحكم  
 والقرائن والتزاهة وغيرها من فنون التي ذكرها البلاغيون ، وهي كلها ترتبط  
 بالمعنى ارتباطاً وثيقاً أي أنها ليست حلية أو محسناً يؤتى به لتزيين  
 الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة . ولو كان هذا  
 هدف البديع لأعرض عنه القرآن ونأى وابتنى عن استعماله النبي العربي  
 وسخطه الأبرار وتجنبه البلقاء والفصحاء .

إن البديع فن عربي لا ريب في ذلك وإن الفرس أو غيرهم من الأمم  
 الإسلامية أخذوه من العرب ، ولم يكن الجاحظ مبالفاً حينما قال :  
 « والبديع مقصور على العرب ومن أجزه فاقت لغتهم كل لغة وأريت على كل  
 لسان » (٤٧) ، وإنما هي الحقيقة الناصية التي لا ينكرها إلا من كان  
 جاهداً أو من كان شديد الغضام . لقد استعمله الشعراء قبل الإسلام ووقع  
 شأنه القرآن وأكسبه جمالاً وقسرة على أداء المعنى بدقة ووضوح ولأن  
 بعض الفارسيين المتأخرين أرجعوا كل فضل الى الفرس أو اليونان ، وسلبوا

(٤٥) سورة هود ، الآية ٤٤ . (٤٦) بديع القرآن ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٤٧) البيان والتبيين ج ٤ ص ٥٥ .

الأمة العربية كثيراً من خصائصها الفكرية وسماتها الفنية . والموازاة الدقيقة  
 بين ما للعرب ولغيرهم من الأقوام والأمم تظهر أن أبناء الحضارة يتدعون  
 لا مقلدون ، وإن بلغتهم وسعت ألوان التعبير ، وكانت ذات فطرة عجيبة  
 على التصور . ومن هنا جاءت الدعوة إلى إعادة النظر فيما كتب في  
 القرن العشرين والنظر في الآراء التي تردت سنوات من غير تمحيص  
 ليوضع الفكر العربي الإسلامي حيث ينتمي أن يوضع ويأخذ مكانه في  
 الحضارة الإنسانية . وفي ظل هذه الدعوة الصادقة كان النظر في البلاغة  
 العربية ، وهي دعوة بدأت في مطلع هذا القرن أو قبله بتقليل وأثرت بعض  
 الثمار على يدي الإمام الكبير الشيخ محمد عبده الذي أولى البلاغة عناية  
 كبيرة وأمر بطبع كتابي « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » لعبدالقاهر  
 الجرجاني ، ولكن دعوة الإمام أصابها الركود بعد وفاته ولم ترشح إلا  
 أصوات قليلة في سبيل إحياء بلاغة القرآن ، وظلت الاتجاهات المرية تسيطر  
 على الدرس البلاغي متخذة من صور الأدب المتأخرة مطلقاً أخرى كل حافد  
 على العرب بأن يصم فن قولهم بما لا يؤيده الحقيقة ولا يقبله البحث العلمي  
 الدقيق . والعودة إلى النبع الصافي والأخذ بما أبدعه العصر الحديث بعينه  
 الطرق وفتح الأساق الرحبة لكل من يرتاد هذه السبيل . والقرآن الكريم  
 هو المثل الأعلى لكل باحث يؤمن بالمعاني السامية والقيم الرفيعة ، ولعل  
 دراسة البديع من هذا المنطلق تغير ما درج عليه الباحثون وتعيد إلى هذا  
 اللون من صور التعبير سماته وترجع إليه وجهه المشرق الذي تجلّى في  
 كتاب الله وكلام البلاء والنصحاء . وهذا هو المقياس الصحيح في مثل  
 هذه الدراسة الفنية النابعة من روح الأمة العربية وأصالتها ، لأن الحكم على  
 فنون البديع من خلال أدب العهود المتأخرة يسلب قيمته ويجعله زخرفاً وزينة  
 وقبلاً ولن تنهض اللغة العربية وتتجلّى أساليبها المشرقة وتعود إليها رواؤها  
 ما لم ينهل أبناءها من معينها الصافي ويتذوقوا عذوبتها ويمتزوا بها ، لأنها  
 لغة كتابهم الخالد وعزة وحدتهم ووعاء فكرهم وعنوان حضارتهم .

- ١ - اثر البلاغة العربية في البلاغة الفارسية - الدكتور احمد مطلوب ، بحث نشر في مجلة (دراسات للآجيل ) كانون الاول ١٩٨٢ م .
- ٢ - الإيضاح - الخطيب الفزويني . مطبعة السنة المحمدية - القاهرة .
- ٣ - البديع - ابن المعتز ، طبعة كرانسكوفسكي ، لندن ١٩٢٥ م .
- ٤ - بديع القرآن - ابن أبي الأصبع المصري ، تحقيق الدكتور حفني محمد شرف ، القاهرة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧ م .
- ٥ - البيان والنبين - الجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨ م .
- ٦ - تحرير النخب في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن - ابن أبي الأصبع المصري ، تحقيق الدكتور حفني محمد شرف ، القاهرة ١٣٣٨هـ - ١٩٦٣ م .
- ٧ - التلخيص - الخطيب الفزويني ، تحقيق عبدالرحمن البرلوقي ، الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢ م .
- ٨ - جامع البيان في تأويل آي القرآن - ابن جرير الطبري ، الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤ م .
- ٩ - حاشية الدسوقي - محمد بن محمد هرة ( مطبوع في شروح التلخيص - القاهرة ١٩٢٧م ) .
- ١٠ - الرسالة - الإمام محمد ابن ادريس الشافعي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة ١٣٥٠هـ - ١٩٤٠ م .
- ١١ - كتاب الصناعين - أبو هلال العسكري ، تحقيق علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢ م .
- ١٢ - مجاز القرآن - أبو هبدة معمر بن المنى ، تحقيق الدكتور محمد مؤاد سزكين ، القاهرة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥ م .
- ١٣ - مناهج بلاغية - الدكتور احمد مطلوب - بيروت ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢ م .
- ١٤ - النثر الفني في القرن الرابع - الدكتور زكي مبارك ، الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧ م .
- ١٥ - نقد النثر - المنسوب الي قدامة بن جعفر ، تحقيق الدكتور طه حسين وعبدالحيد العبادي ، الطبعة الرابعة - القاهرة ١٩٢٨ م .



( ٨ )

## اثر الحديث في البلاغة

الملاح :

كان الرسول الأعظم محمد - صلى الله عليه وسلم - في ذروة الفصاحة والبلاغة وقد قال عن نفسه : « أنا أفصح العرب بيد أبي من قرشي » ، قال يحيى بن حزمة العلوي : « قلن كلامه - صلى الله عليه وسلم - وإن كان نازلاً عن فصاحة القرآن وبلاغته في الطبقة العليا بحيث لا يدانيه كلام ولا يقاربه وإن انتظم أي انتظام <sup>(١)</sup> » . وكلامه - عليه السلام - المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي ، غير أن اللغويين والنحاة لم يستفيدوا منه كثيراً مع اعترازهم به وتصديقه لصاحب الرسالة الإسلامية عليه أفضل الصلاة والسلام . ولو اعتمد القدماء كثيراً على كلامه - عليه السلام - لتطورت اللغة العربية واستجدت صيغ وبنيت قواعد تغير كثيراً مما استقر في الأذهان . ولعل البلاغيين - أي علماء البلاغة - كانوا أشد التصاقاً بالأحاديث الشريفة من علماء اللغة والنحو فقد تحسسوا البلاغة النبوية ونهلوا منها ما وسعهم قواعدهم وأسعتهم تقسيماتهم .

ولعل الشريف الرضي ( - ٤٥٠ هـ ) كان من أكثر القدماء رجوعاً إلى كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد ألف كتاباً ساء « المجازات

---

١١ نشر في مجلة ( دراسات عربية وإسلامية ) ج ٢ سنة ١٩٨٢ م . وهي التي أصدرتها اللجنة الوطنية لاحتفالات القرن الخامس عشر للهجرة ، والباحث أحد أعضائها .

(١) الطراز ج ١ ص ١٦٠ .

النبوية « تعرض فيه لما ورد في الأحاديث الشريفة من فن المجاز يستعان  
 الواسع وبك إلى ذلك فقال : « واني سلكت من ذلك محجة لم تسلك  
 وطرقت باباً لم يطرُق ، وما رغبت اليّ فيه من سلوك مثل تلك الطريقة في  
 عمل كتاب يشتمل على مجازات الأكار الواردة عن رسول الله - صلى الله  
 عليه وآله - إذ كان فيها كثير من الاستعارات البديعة ولمع البيان الغريبة  
 وأسرار اللغة اللطيفة»<sup>(٢)</sup> . وهذه الثغاة عظيمة من الشرف الرضي إلى  
 الحديث الشرف ، وقد سلك بذلك السبيل للبلاغين الذين أخذوا يتشدقون  
 على كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويوردون منه أمثلة واضحة  
 للمصاحبة والبلاغة .

وتجلى أثر الحديث الشرف في البلاغة في موقعين :

الأول : اتخاذ الحديث سبيلاً لتعلم الكتابة وإتقانها والتوصل إلى  
 الأساليب الرفيعة ، أي ان كلام الرسول - عليه السلام - مادة أساسية  
 لضبط اللغة والضمن فيها . وكان ضياء الدين بن الأثير (١٠٣٧هـ) أشهر من  
 دعا إلى ذلك في التصل الذي عقده لألات علم البيان وأدواته فقال : « إذا  
 ركّبت الله تعالى في الإنسان طبعاً قابلاً لهذا الفن فيفتقر حينئذ إلى ثمانية  
 أنواع من الآلات»<sup>(٣)</sup> وكانت إحدى تلك الآلات « حفظ ما يحتاج إليه  
 من الأخبار الواردة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - والسلوك بها مسلك  
 القرآن الكريم في الاستعمال » . وقال شهاب الدين الحلبي ( ٥٧٢٥هـ ) :  
 « ويتلو ذلك الاستكثار من حفظ الأحاديث النبوية - صلوات الله على  
 قائمها وسلامه - وخصوصاً في السير والغازي والأحكام والنظر في معانيها  
 وغريبها ولصاحتها وفتحها ما لا يبدى من معرفته من أحكامها لينشق منها من  
 سعة ويستشهد بكل شيء في موضعه ويحجج بكتاب الحجة ويستدل بموضع

(٢) المجازات النبوية ص ١٩ .

(٣) القتل المسارح ج ١ ص ٩ .

الدليل ، وتصرف عن علم بموضوع اللفظ ومعناه ، ويبنى كلامه على أصل لا يرفع ويسوق مقاصده الى سبيل لا يبعد عنه ولا يندفع . فان الدليل على المقصد إذا استند الى النص سلم له وسلم ، والتصاحف إذا طلبت غايتها فانها بعد كتاب الله في كلام من أوتي جوامع الكلم . وقد كان على ذلك في الصدر الأول من الصحابة وتابعيهم (١) . وقال ابن الأثير الحلبي ( ٧٣٧ هـ ) فيما يحتاج اليه كاتب الاثراء من العلوم والنسائل ليعد كتاباً : « ومنها حفظ جملة من الأحاديث النبوية لقائدين :

إحداها : تبركاً بالحديث لقوله - صلى الله عليه وسلم - : « من حفظ على أمي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة العباد » وهذه فائدة أخروية .

والقائمة الثانية : السلوك به ملك كتاب الله العزيز باستعماله في مطاوي كلامه مكان الاستشهاد به ، وعند الاحتياج اليه بأمر أو نهي بشرط لزوم الأدب الشرعي في استعماله حتى لا يستعمله فيما يكره الاستعمال فيه شرعاً (٢) .

ودخل الحديث الشريف في كلام الأدباء واقتبسوا منه كثيراً فقال منصور العروي الأزدي :

فلو كانت الاخلاق شعوى ورائة\* ولو كانت الآراء لاتشعب\*  
 لأصبح كل الناس قد ضلهم هوى\* كما أن كل الناس قد ضلهم أب\*  
 ولكنها الأفتار\* كل ميسر\* لما هو مخلوق له ومقرم\*

(١) حسن التوسل ص ٢٨ .

(٢) جواهر الكنز ص ٢٠ .

والبيت الأخير مقتبس من قوله عليه السلام - : «اعملوا ، كل من شئت» لما خلق له <sup>(٦٦)</sup> . وعقدوا من الحديث الشريف كقول الامام الشافعي - رضي الله عنه - :

عمدة الخير عندنا كلمات " اربع " قالهن " خير " البركة  
اتقوا المشبهات وازهد ودع ما ليس يعينك واصلين " بنيت  
عقد قوله - عليه السلام - : « الحلال يئن " والحرام يئن " وبينما  
أمور مشبهات » ، وقوله : « ازهد في الدنيا يحبك الله » وقوله : « من  
حسن إسلام المرء تركه " ما لا يعنيه » وقوله : « إنما الاعمال بالنيات » <sup>(٦٧)</sup> .  
وادخلوا الحديث في حسن التعليل ، قال ابن رشيقي يعقل قوله -  
على الله عليه وسلم - : « جعلت لي الأرض موطئاً وطهوراً » :

سألت الأرض لم جعلت منصلي ولم كانت لنا طهوراً وطيباً  
فقال غير لاطقة لأسي حوت لكل السان حبيبا  
قال العلوي : « ولقد أحسن في الاستخراج وألطف في التعليل فلاجل  
ما قاله كان ذلك علة في كونها طهوراً ومسجداً » <sup>(٦٨)</sup> .

وحتوا الأحاديث الشريفة ، وكان ضياء الدين بن الأثير من أكثر القدماء  
اعتماداً بذلك ، وقد تحدث عن حل " آيات القرآن فقال : « وأما حل " آيات  
القرآن العزيز فليس كمثل المعاني الشرعية لأن القائله ينبغي أن يحافظ عليها  
لمكان فصاحتها إلا " أنه لا ينبغي أن يؤخذ لفظ الآية بعينه فان ذلك من باب  
التضمين وانما يؤخذ بعضه فاما أن يجعل أولاً " لكلام أو آخراً على حسب  
ما يقتضيه موضعه . وكذلك تشمل بالاخبار النبوية على أنه قد يؤخذ معنى  
الآية والخبر فيكسى لفظاً غير لفظه ، وليس لذلك من الحسن ما للتضمين

(٦) الإيضاح ص ٤١٩ .

(٧) الإيضاح ص ٤٢٢ - ٤٢٤ . (٨) الطراز ج ٢ ص ١٢٩ .



الاول»<sup>(٩)</sup> ، ثم قال : « وأما الاخبار النبوية فكان القرآن العزيز في حلّ معانيها»<sup>(١٠)</sup> . وذكر كثيراً من الاخبار النبوية المطولة ليكون الطريق واضحاً لمن يتولى على سلوكه ، وتبعه في ذلك المتأخرون كشهاب الدين الحلبي في كتابه « حسن التوسل الى صناعة التوسل »<sup>(١١)</sup> . وابن الاثير الحلبي في كتابه « جوهر الكنز » وقد قال : « وأما حلّ الآيات من القرآن العزيز وكذلك الاحاديث النبوية فينبغي للتشبيء أن لا يأخذ عند حلّ الآية والحديث جملة اللفظ فلن ذلك من باب التضمن ، ولا يأخذ المعنى مجرداً عن اللفظ بكامله إلا إن أراد بذلك الاستشهاد ، بل إذا وقع له معنى وكانت آية من الآيات الكريمة أو حديث من الاحاديث النبوية يتضمن ذلك المعنى فليجعل الآية والحديث في سياق كلامه المناسب للمعنى فيطرز كلامه بالآية أو الحديث»<sup>(١٢)</sup> .

لقد كان الحديث الشريف مهلاً عذبا استقى منه الأدباء بلافتهم وقصاحتهم وأخذوا عنه المائتي الرفيعة والصور اليدوية والالفاظ الرشيدة فزادان أدبهم وحلا لفظهم وعذبت معانيهم .

الثاني : اتخاذ الحديث الشريف شاهداً بلاغياً رفيعاً الى جانب كلام الله تعالى . والبالغيون في هذا المنحى اكثروا حرية من اللغويين والنحاة وأعظم قدرة على تحسس ما في كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بلاغة فاقت كلام العرب . وتوضح الاستفادة من الحديث في الشاهد البلاغي في كتاب « الطراز » ليجيى بن حمزة العلوي الذي اختلف لنفسه منها في ذكر الشواهد والأمثلة ، فهو يعد أن ينتهي من بحث الموضوع يذكر أمثلة تتوزع

(٩) المثل السائر ج ١ ص ١١٤ .

(١٠) المثل السائر ج ١ ص ١٢٧ .

(١١) ينظر حسن التوسل ص ٧٨ ، ص ٢٢٥ وما بعدها .

(١٢) جوهر الكنز ص ٦٠٩ .

على أربعة أنواع :

الأول : من كلام الله سبحانه وتعالى .

الثاني : من الأخبار النبوية الشريفة .

الثالث : من كلام الامام علي - كرم الله وجهه - .

الرابع : من كلام البلغاء وأهل الفصاحة .

وهذه قاعدة مطردة سار عليها في كتابه وبذلك تجلت العناية بكلام الرسول الكريم واتضحت صورته المختلفة . وكان جلال الدين السيوطي ( - ٩١١ هـ ) يكثر من الاستشهاد بالحديث الشريف في فنون البلاغة ولا سيما اليدبع : قال : « وقد التزمت أن آتي في كل نوع بشال فأكثر من الحديث النبوي ثمرين وأشرافاً وتيناً به »<sup>(١١٢)</sup> . وعند الرجوع الى كتب البلاغة ولا سيما المتأخرة منها نجد العناية بالحديث الشريف واضحة كل الوضوح ، وفجد المؤلفين ينهلون من هذا المنهل العذب ويوشحون به قواعدهم وتقسيماتهم الى جانب كلام الله - تعالى - وكلام العرب البلغاء . ويستطيع الباحث أن يضع يده على هذه الظاهرة في معظم فنون البلاغة ، ولكن عناية المتقدمين بالمجازات النبوية كان اظهر لروعة كلام الرسول - عليه السلام - وجمال صورته الجديدة ، وكان الشريف الرضي من أوائل الذين اهتموا بالمجاز وتحدثوا عنه في كتاب مستقل . ومن كلامه - عليه السلام - الذي يدخل في المجاز المرسل قوله : « المسلون تنكافأ دماؤهم ويسمى بدمتهم أديانهم ويرد عليهم أقصاهم ، وهم يد على من سواهم » ، و « يد » هنا بمعنى القوة . وهذا التفسير هو الوجه الثاني الذي ذكره الشريف الرضي قال : « والوجه الآخر أن يكون « اليد » هنا بمعنى القوة فكأنه - عليه الصلاة والسلام - قال : « وهم قوة على من سواهم » . والقوة أحد المعاني التي يبر عنها باسم اليد »<sup>(١١٣)</sup> . ومن ذلك قوله - عليه السلام - « اليد العليا

(١١٢) شرح عقود الجمان ص ١٠٥ . (١١٣) المجازات النبوية ص ٢٥ .

خير من اليد السفلى» ، وقوله : « إن هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء أن ينحى عنها خلقا حسنا فعل» ، وقوله : « مات حنظلة » فقد أطلق الجزء وأراد الكل ، وقوله : « الصدقة عن ظهر غنى » والظهور هنا القوة أي : له قوة من غنى .

وفي كلام الرسول الأعظم كثير من المجازات العظيمة ومن ذلك قوله — عليه السلام — : « حي الوطيس » وقوله : « إن من البيان لسحرا » وقوله : « جئت الشيء يدي وخصم » وقوله : « تمام عيتاي ولا ينسام قلبي » وقوله : « وصل الظهر بعدما يتنفس الظل وتبرد الرياح » وقوله : « إذا ملأ الليل بطن كل واد » (١٥٤) .

وفي من مجاز الحذف قوله — عليه السلام — « هنا جبل يحبنا ونحبه » أي : يحبنا أهله ، وقوله : « نهران مؤمنان ونهران كافران » أي ان أهل هذين النهرين مؤمنون وأهل هذين النهرين كافرون ، وقوله : « الايمان هيب » أي : صاحب الايمان هيب (١٥٥) .

ومن الاستعارات البديعة في كلامه — عليه السلام — قوله : « كلما سمع حبيبة طار لها » فان العذوة والطيغان يشتركان في أمر داخل في قومهما وهو قطع المسافة بسرعة ولكن الطيران أسرع من العذوة (١٥٦) . ومن ذلك قوله : « أكثروا من ذكر هادم اللذات فانكم إن ذكرتموه في ضيق وسعة عليكم » فاستعار هادم اللذات للنوت . وقوله : « لا تستضيئوا بنار المشركين » فاستعار ذكر النار للرأي والمشورة ، والمعنى لا تهتدوا بأراء المشركين . وقوله : « قيتوا القرآن بالدرس فان له أوابد كأوابد الوحش » فاستعار ذكر « الأوابد » وهي الحيوانات الوحشية لما فيها من الفناء وشدة

(١٥) المجازات النبوية من ٤٤ ، ٩٤ ، ١٣٥ ، ١٧٢ ، ٢١٢ .

(١٦) المجازات النبوية من ٢٣ ، ٢٤ ، ١٧٤ .

(١٧) كتاب الصناعتين من ٢٧٧ ، الإيضاح من ٢٩٠ .

الشروء لذهاب هذه المحفوظات عن القلب إذا لم تكن راسخة فيه بشدة الدرر لها<sup>(١٨٧)</sup> . وفي كتاب « المجازات النبوية » للشريف الرضي كثير من هذه الاستعارات البديعة التي كان كثير منها جديداً لم يطلق بمثله العرب .

ومن التشبيهات البديعة في كلامه — صلى الله عليه وسلم — قوله : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وقوله : « المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائر أعضائه بالسهر والحسب » وقوله : « العياء من الأيوان كالرأس من الجسد » وقوله : « الناس كأسنان المشط في الاستواء » وقوله : « انه لم يبق من الدنيا إلا كفاخة راكب أو صرّ حاليه<sup>(١٨٨)</sup> .

ومن التخييل قوله — عليه السلام — : « أبتكم بالحنيئة البيضاء » وذلك لتخييل أن السن ونحوها من الجنس الذي هو اشراق أو ابيضاض وإن البنية ونحوها على خلاف ذلك<sup>(١٨٩)</sup> . وكثير من هذه التشبيهات أصبح أمثالا كقوله — عليه الصلاة والسلام — : « أتم الشعار والناس الدثار » وقوله : « الاسلام يوجب ما قبله » وقوله : « إياكم وخطراء الدرس » وقوله : « المؤمن مرآة أخيه »<sup>(١٩٠)</sup> .

وفي الأحاديث الشريفة كثير من الكنايات ، وقد قال ابن أبي الأصبغ المصري : « وفي السنة النبوية من الكناية ما لا يكاد يحصر كقوله — صلى الله عليه وسلم — : « لا يضح القمصا عن كفه » كناية عن كثرة الضرب أو كثرة السفر<sup>(١٩١)</sup> . ومن ذلك قوله — عليه السلام — : « ذلك رجل لا يتوسط القرآن » قال الشريف الرضي : « وهذه من الاستعارات المحيية والكنايات

(١٨٧) الطبراني ج ١ ص ٢١٤ — ٢١٦ .

(١٨٨) الطبراني ج ١ ص ٣٣٠ .

(١٨٩) الأصبغ ص ٢٢١ .

(١٩٠) المجازات النبوية ص ٤١ ، ٤١ ، ٤١ ، ٤١ ، ٤١ ، ٤١ ، ٤١ .

(١٩١) تحرير التفسير ص ١٤٤ .

الغرية وهي تحتل معنيين : أحدها مدح والآخر ذم ، فأما المدح فهو أن يكون المراد به أنه لا ينصم عن قراءة القرآن بل يقطع ليه بالتهجد به والتصرف مع تلاوته فيكون القائم بمرسه كالمستعمل به والناسم كالتوسد له ، كأنه جعله وساداً لخدمه وقراءته لجنه . . . . . وأما المعنى الآخر الذي يحتل انتم فهو أن يكون المراد أنه غير حافظ للقرآن طيس بخازن من خزنة ولا وعاء من أوعيته ، فإنا لم لم يكن متوسداً له كما يتوسده من هو ظرف من ظروفه الحاوية له والمشتلة عليه « (١٢٣) . . . . . ومن ذلك أيضا قوله لأزواجه - رضي الله عنهن - : « أسرعن لحاقاً بي أطولكن بنا » أي : أسرعن أكثركن كرمسا وعطاء « (١٢٤) . . . . . وقوله : « يا أنجشة رفقاً بالتوارس » وهذا كناية عن النساء « (١٢٥) . . . . .

ومن التعريض قوام - صلى الله عليه وسلم - وقد خرج يوماً وهو محتضن لأحد الحسنين فقال لهما : « إنكما لمن ربحان الله وإن آخر وطاعة وطعنا الله بروج » وفي ذلك تعريض بقرب وفاته - عليه الصلاة والسلام « (١٢٦) . . . . . ومن أهم خصائص الأحاديث الفنية أنها موجزة كل الإيجاز ولذلك استشهد بها البلاغيون عند كلامهم على الإيجاز ، ومن ذلك قوله - عليه السلام - : « ألحزم سوء الظن » وقوله : « الخراج بالضمآن » وقوله : « لا ضرار لمي الاسلام » وقوله : « الطمع فقر والياس غنى » « (١٢٧) . . . . . ومن الإيجاز بال تقرير وهو الذي تكون الناله مساوية لعناء قوله - عليه السلام - : « الحلال بيتن والحرام بيتن ، وبين ذلك مشتبهات » وقوله : « أنا الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى » وقوله : « دع ما يريك الى ما لا يريك » « (١٢٨) . . . . .

- 
- (١٢٣) المجازات النبوية ص ٤١ .  
 (١٢٤) المجازات النبوية ص ٦٠-٦١ .  
 (١٢٥) الطراز ج ١ ص ٤٠٧ .  
 (١٢٦) الطراز ج ١ ص ٢٨٨ .  
 (١٢٧) الأيضاح ص ٢١١ ، الطراز ج ٢ ص ٨٩ + ١٢٨ .  
 (١٢٨) الطراز ج ٢ ص ١٢٢ .

وفي كلامه - عليه السلام - الإيجاز بالحذف فقد قال المهاجرون : « يا رسول الله إن الانتصار قد فضلونا بأنهم آوونا ونصرونا وفضلوا بنا وفضلوا » فقال - عليه الصلاة والسلام - : « أتعرفون ذلك لهم ؟ » قالوا : « نعم » قال : « فإن ذلك » . قال الجاحظ : « ليس في الحديث غير هذا ، يريد أن ذلكم شكر ومكافأة » (٣١) ، وقد قال - عليه السلام - عن نفسه « أوتيت جوامع الكلم » أي أنه « ممكن » من الألفاظ المختصرة التي تعدل على المعاني الغزيرة » (٣٢) . ولكنه - صلى الله عليه وسلم - كان يظنّب إذا اقتضى اللتام ومن ذلك قوله : « من لاذ أخاه بما يشتهي رقع الله له ألف ألف درجة ، وكتب له ألف حسنة ، وسما عنه ألف ألف سيئة وأطعمه من ثلاث جناز : من جنة الفردوس ومن جنة الخلد ومن جنة عدن » ، وقوله : « من سقى مؤمنا شربة سقاه الله من الرحيق المختوم - أو قال من نهر الكوثر - ومن كسا مؤمنا كساءه الله من سندس الجنة ، ومن أطعم مؤمنا لقمة أطعمه الله من طيات الجنة وفراجهها » (٣٣) .

ومن الألفاظ بالتوسيع قوله - عليه الصلاة والسلام - : « يشيب ابن آدم ويشيب فيه خصلتان : الحرص وطول الأمل » (٣٤) . وقد يكرر إذا كان المعنى يتطلب ذلك ومنه قوله في وصف يوسف الصديق : « الكريم بن الكريم بن الكريم بن يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم » (٣٥) .

وفي كلامه - صلى الله عليه وسلم - كثير من الوان البديع التي أسرف فيها المتأخرون ، وهو في ذلك لا يثقل القول بها وإنما يستعملها إذا اقتضاه المعنى وتطلبها الموقف ، أي أن فنون البديع جزء من العبارة وليست

(٣١) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٧٨ .

(٣٢) الطبراز ج ٢ ص ٨٨ .

(٣٣) الطبراز ج ٢ ص ٢٤٨ .

(٣٤) الإيضاح ص ١٩٦ ، تحرير التحرير ص ٣١٦ .

(٣٥) الإيضاح ص ٨ ، الطبراز ج ٢ ص ١٨١ .

حلية تقتصر أو زينة يؤتى بها لتحسين الكلام فقط . وورد هذه الألوان في كلام أفصح العرب وأبلغهم دليل على أن السجع أو الموازنة أو الجناس أو غيرها ليست عيبا في الكلام بل هي ركن من أركانه . وقد حفل كتاب الله بكثير منها ، ومعنى ذلك أن فهمها نداء عن بعض المعاصرين فاتهم هذا اللون من التعبير بما لا يصح متخذاً صور الأدب في العصور المتأخرة مثلاً لذلك ونسي هو أو غيره ما بين القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام البلغاء ، وما بين أدب المتأخرين من فروع جوهرية تجعل الباحث لا يعطي حكمه على هذه الألوان من خلال النصوص الرديئة والكلام الركيك الضعيف .

ومن ألوان البديع التي تردت في كلامه - عليه السلام - السجع كقوله : « ظهورها حرز وبلوتها كنز » وقوله : « اللهم اني أدركك بك شعورهم وأحرد بك من شروهم » . وقوله « آوا من علامات العقل التجاني عن دار القور والآتية الي دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتأهب ليوم النشور » وقوله : « وقد رأيت الليل والنهار كيف يلبان كل جديد ويقران كل بعيد وأتيان بكل موعود »<sup>(٣٤)</sup> .

ومن الموازنة قوله - عليه السلام - : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » ف « سبيل » و « غريب » مختلفان في اللفظ متشقان في الزنة وقوله : « فإذا أصبحت فمك فلا تحدثها بالماء وإذا أمست فلا تحدثها بالمصباح » ف « الماء » و « المصباح » مختلفان لفظاً متشقان وزناً<sup>(٣٥)</sup> .

ومن اللف والنشر قوله : « فأن المرء بين يومين : يوم قد مضى أحسن فيه فحتم عليه ، ويوم قد بقي لا يدري لعله لا يصل اليه »<sup>(٣٦)</sup> .

(٣٤) الجازات النبوية ص ٢٦ ، الإيضاح ص ٣٩٤ ، الطراز ج ٢ ص ٢٠ .  
 (٣٥) الطراز ج ٢ ص ٢٩ .  
 (٣٦) الطراز ج ٢ ص ٤٠٥ .

ومن المبادي والافتتاحيات ما رواه ابن عمر - رضي الله عنهما - قال :  
 « كان يعلمنا خطبة الحاجة بقوله : « الحمد لله نعمده ولستعينه ولعمد به  
 من شروء أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهتد الله فلا مضل له ومن يضلل  
 فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده  
 ورسوله » . فهذه الكلمات كان يذكرها إذا أراد حاجة من الخوائج من تكاح  
 أو موعدة أو فصل قضية أو غير ذلك من سائر الحاجات» (١٣٧) . وكان يقول  
 - عليه السلام - غيرها في أغراض أخرى ، أي الله - عليه السلام - كان يربط  
 بين الافتتاح وغرضه ، وهنا من أهم خصائص الكلام الذي يدل أوله على  
 آخره ورضيه بطلعه عن مقطعه .

ومن التخلص اليديع قوله - صلى الله عليه وسلم - : « قد رأيت  
 الليل والنهار كيف يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد ، وبأنياب بكل موعود »  
 ثم قال بعد ذلك : « فإذا التبت عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم  
 بالقرآن فإنه شافع مشفع وشاهد مصدق فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة  
 ومن جعله خلفه ساقه إلى النار ، هو أوضح دليل إلى خير سبيل » .  
 قال العلوي : « فانظر إلى ما أودعه هذا الكلام من التخلص الرائق ، فيينا  
 هو يذكر حال الليل والنهار وحكما في المكنونات إذ خرج الس حال  
 القرآن ووصفه ، وإن فيه الأيضاح لكل مشكل وبيان لكل ملتبس ، نخلص إلى  
 ذكره بأحسن تخلص » (١٣٨) .

وقد ورد الاقتضاب في كلامه - عليه السلام - ولكن ذلك الاقتضاب  
 يكاد يقرب من التخلص ، ومن ذلك قوله : « فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن  
 دنياه لآخرته ومن الشبية قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت » بعد قوله :  
 « ألا وإن المرء بين مغالتين : بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به ،

(١٣٧) الطبراني ج ٢ ص ٢٧٠ .

(١٣٨) الطبراني ج ٢ ص ٢٤١ .



وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاضيه فيه ، فيأخذ العبد لنفسه من نفسه « (٢٩) » .

ومن الارصاد قوله — عليه السلام — : « فما بعد الموت من مستغيب ، وما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار » فإن السامع إذا وقف على قوله : « فما بعد الدنيا من نار » فانه يتحقق لا محالة ان ما بعده « إلا الجنة أو النار » لما بينهما من شدة الملازمة وعظيم المناسبة (٣٠) .

ومن الاطراد قوله — عليه السلام — : « الكرم بين الكرمين الكرمين الكرمين : يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم » (٣١) .

ومن الجناس البديع قوله — عليه السلام — : « الخيل معقود بنواصيها الخير » وقوله : « اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا » وقوله : « المؤمنون هينون لينون » وقوله : « الظلم ظلمات يوم القيامة » وقوله : « خلوا بين جرير والجرير » وقوله : « عليكم بالابتكار فانهم اشده حيا وأقل حبا » وقوله : « جار النار أحق بدار الجار » (٣٢) .

ومن الطباق قوله — عليه السلام — : « عليك بالرفق بإعائنة ، فانه ما كان في شيء إلا زانه ، ولا نزع من شيء إلا شانه » فجمع بين « الزين » و « الشين » وهما ضدان (٣٣) .

ومن لزوم ما لا يلزم قوله عليه السلام — : « فان كان كرميا أكرمك وإن كان لثيما أسلك » وقوله : « وليحسن عمله وليتصر أملة » وقوله : « فلا يفتي عنكم إلا عمل صالح قدمتموه او حسن ثواب حرمتوه » (٣٤) . وهذا ليس

(٢٩) الطبراق ج ٢ من ٢٤٩ . (٤٠) الطبراق ج ٢ من ٢٢٢ .

(٤١) الإيضاح من ٢٨٢ .

(٤٢) المعاني النبوية من ٤٩ ، الإيضاح من ٢٨٧ ، الطبراق ج ٢ من ٢٥٦ ، ٢٧٠ ، ٢٦٦ .

(٤٣) الطبراق ج ٢ من ٢٨٠ . (٤٤) الطبراق ج ٢ من ٤٠٠ .

من الألفاظ التي شيق الإدياء به على أنفسهم كما فعل أبو العلاء المعري  
في المزمومات .

ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم قوله - عليه السلام - : « أنا أفصح  
العرب بيده أي من قرئ »<sup>(٤٦)</sup> .

ومن الألفاظ قوله - عليه السلام - : « على ما شئت فانك ميت  
وأجيب من أحببت فانك مفارقة ، واعمل ما شئت فانك بلائيه » وقوله :  
« أحب حبيك هو<sup>١</sup> ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وبأبغض بغيضك  
هو<sup>٢</sup> ما عسى أن يكون حبيك يوماً ما »<sup>(٤٧)</sup> .

ومن الألفاظ الذي ظهر تحميره قوله - عليه السلام - : « ألا أنبئكم  
بأمرين خفيفه مؤوتهما عظيم أجرهما لن يلقي الله بهلما ، ثم قال بعد ذلك  
تسيرا لهما : « الصمت وحسن الخلق » . ومن ذلك قوله : « ألا أدلكم  
على ما إذا طئسوه تحاببتم » قالوا : نعم ، قال : « افشوا السلام » وقوله :  
« ألا أدلكم على أخطر الناس صنفة ؟ » قالوا : نعم ، قال : « من باع آخرته  
بدينار غيره »<sup>(٤٨)</sup> .

هذه بعض ملامح أثر الحديث النبوي الشريف في البلاغة العربية وهي  
ملايح تدفع الى العناية بكلام أفصح العرب وأبلغهم محمد - صلى الله عليه  
وسلم - فقد اهتم علماء اللغة والنحو بكلام العرب ولم يفتوا طويلاً عند  
الأحاديث الشريفة ، وكان علماء البلاغة أكثر استعانة منهم ولكنهم - مع  
ذلك - لم يهتموا في دراسة أسلوب الأحاديث واستخلاص القيم الجمالية  
والصور الفنية التي خلقت بها . ولعل كتاب « المجازات النبوية » للشريف  
الرضي كان أهم معلم من تلك المعالم ، ولكنه وقف عند المجازات وترك النون  
الأخرى للبلاغيين الذين لم يهتموا فيها وان ذكروا في كثير من أبواب البلاغة

(٤٥) الإيضاح ص ٢٧٢ .

(٤٦) الطراز ج ٢ ص ٨٢-٨١ . (٤٧) الطراز ج ٢ ص ٨٧ .

بعض الأحاديث كما فعل العلوي في « الطراز » والسيوطي في « شرح عقود الجنان » . ولكن تلك المحاولات ظلت ناقصة وتبقى البلاغة النبوية بعيدة عن الدراسة الجادة ، ولعل هذا البحث الموجز الذي اعتمد على ما ذكره السابقون ولاسيما علماء البلاغة في العهود المتأخرة يدفع الى التعقق في هذا اللون من الدراسات ، وهو تعقق تتطلبه المناهج الحديثة وتحتاج اليه اللغة العربية وهي تسمى الى استيعاب ألوان الحضارة الجديدة وتحضر للتقدم في مجالات الثقافة المختلفة وميادين العلم في هذا العصر .

### السمات :

كان ذلك موقف علماء البلاغة من كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولكن الآله كان لياً طاعته واجبة وكلامه مصدق أم أن هناك سراً عظيماً وراء تلك العظمة ؟

كان كلامه - عليه السلام - بليغاً يأمر النفوس وأخذ بجامع القلوب وهو القائل : « إن من البيان لسحراً » فما ذلك البيان ؟ وما سحاه ؟

لقد وقف القدماء عند بلاغته وفصاحته وكان الجاحظ من أوائل الذين لخصوا تلك السمات بقوله : « هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثرت معانيه ، وجله عن الصنعة ، وتروى من التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى : قل يا محمد « وما أنا من المتكلفين »<sup>(١٨)</sup> . فكيف وقد عاب التشديق ، وجانب أصحاب التعميب<sup>(١٩)</sup> ، واستعمل البسوط في موضع البسط والمقصود في موضع الفصير وهجر الغريب الوحشي ورفض عن الهجين السوقسي فلم يطلق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يشكلم إلا بكلام قد خففه بالعصاة وشبهه

(١٨) سورة ص ، الآية ٨٦ وهي : « قل ما أسألكم عليه من أجر ، وما أنا من المتكلفين » .

(١٩) التعميب : كالتعير ، وهو أن يشكلم بانصق قعر فمه .

بالتأييد وبسر بالتوفيق وهو الكلام الذي التقى الله عليه الحجة وغشاه  
 بالتبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الاطعام وقلة عدد  
 الكلام مع استفادته عن اعادته وقلة حاجة السامع الى معاودته فلم تسقط  
 له كلمة ولا زالت به قدم ، ولا بارت له حجة ولم يتم له خصم ولا آمنه  
 خطيب بل يبد الخطب الطوال بالكلم القصار ولا يلتبس اسكات الخصم  
 إلا بما يعرفه الخصم ولا يبتجج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج إلا بالحق ، ولا يستعين  
 بالخلابة ولا يستعمل المواربة ولا يهز ولا يلز ولا يطيء ولا يعجل ، ولا يسب  
 ولا يحصر ، ثم لم يسع الناس بكلام قط أعم لهما ولا أفضد لهما ولا أعدل  
 وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم طليبا ولا أحسن مؤثما ، ولا أسهل مخرجا ، ولا  
 أفصح معنى ولا أبن في فحوى من كلامه — صلى الله عليه وسلم — . . . .  
 قال محمد بن سلام : قال يونس بن حبيب : « ما جاهدنا عن أحد من روائع  
 الكلام ما جاهدنا عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — » . وقد جمعت  
 لك في هذا الكتاب جلا التقطناها من أفواء أصحاب الأخبار ، ولعل بعض  
 من يتسع في العلم ولم يعرف مقادير الكلام يظن أننا قد تكلفنا له من  
 الامتداح والشرف ومن التزين والتجويد ما ليس عنده ولا يبلغه قفزه .  
 كلا والذي حرّم التزود على العلماء وقبح التكلف عند الحكماء ويهرج  
 الكنايين عند الفقهاء ما يظن هذا إلا من ضلّ سبيله <sup>(٥٠)</sup> .

لقد اتبه الجاحظ الى هذه المسألة التي قد تثار في كل زمان ، وذكر  
 سات كلا من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأبرزها كثرة معانيه مع  
 الإيجاز ، وابتعاده عن المتعة والتكلف والاسراف ، ومطابقتها لمقتضى الحال ،  
 فالبسوط في موضع البسط ، والمقتصور في موضع القصر ، وهتجرّ القريب  
 الوحشي والرغبة عن الهجين السوفى وغير ذلك مما ذكره الجاحظ وفيما  
 يلاحظه الباحث في البلاغة التبوية التي جاءت من غير تعلم سوى ثقافة

(٥٠) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧-١٨ .

النشأة في بيئة فصيحة اللسان بليفة القول ، وذكاء العقل الرقاد واختيار  
الله تعالى له ليكون رسولا للناس كافة . وليس وراء ذلك أعظم من هذه  
الصفات التي جعلته - عليه السلام - ينطلق انطلاقا انبيا ويعبر عما  
يحق به الانسان في كل زمان ومكان ما دفع علماء البلاغة الى الوقوف  
عند عباراته ولفظة ا كبار وتقدير ، فقد قال - عليه السلام - : « لا تكونوا  
من اختبعت العاجلة وحرمته الأمنية واستهوتته الخدعة فركن الى نار سريعة  
الزوال وشيكة الانتقال . إنه لم يبق من دنياكم هذه في جنب ما مضى إلا  
كأناخة راكب أو سرّ حالب فعلام ترحون ؟ وماذا تنتظرون ؟ فكأنكم بما  
قد أصبحتم فيه من الدنيا لم يكن وربما تصيرون اليه من الآخرة لم يسزل .  
فخفوا الأهية لأزوف النقلة وأعدوا الزاد لقرب الرحلة ، واعلموا أنّ كل  
امرى على ما قدم قدام ، وعلى ما خلفت نادم » . قال العلوي معلقا على  
هذا الكلام العذب : « فليعمل الناظر نظره في هذا الكلام فما أسس القائله  
على الألسنة ، وما أوقع معانيه في الافئدة وما احتوى عليه من التنبيه البالغ  
والموعظ الزاهر والنصيحة النافعة ، فصدّره بالتحذير أولا عما يعرض  
من مصائب الدنيا من الاتخضاع والغرور والاستهواء ، وعقبه ثانيا بالتحذير  
عن الركون الى الدنيا ونبهه باللف عبارة وأوجزها على زوالها وانقطاعها  
وأردفه ثالثا بالحث على عمل الآخرة وأخذ الأهية للزاد ، ونبهه على سرعة  
زوالها وانقطاعها وختمه بتحقيق الحال في اقدام على ما فعله من خير وشر ،  
وانه نادم لا محالة على ما خلفه من الدنيا وانه غير نافع ، ولا مجدّر » (٤١) .  
فكلام الرسول العظيم ذروة في البلاغة والتصوير ، انه رفيع وانه جزل ،  
ومن الرقيق قوله - عليه السلام - : « كن في الدنيا كأنك غريب أو طائر  
سبي ، واعدد نفسك في الموتى فاذا أمسيت فلا تحدثها بالصباح واذا أصبحت

فلا تحدثها في الماء . وخذ من سحتك لسفك ومن شبائك لهرك ومن فراغك لسفك» (٤٢) .

ومن الجزل قوله : «يا ابن آدم تلوّثي كل يوم برزقك وأنت تحزن وتنقص كل يوم من عرك وأنت تفرح ، أنت فيما يتكفك وتطلب ما يطغيك ، لا بقليل تقنع ، ولا من كثير تشبع» (٤٣) .

وكان - عليه الصلاة والسلام - يعتمد عن الكلمات التي توحى بها يخرج عن الذوق ، ومن ذلك قوله وقد كسا أسامة بن زيد قبطية (٤٤) فكساها امرأته فقال له - عليه الصلاة والسلام - : «أخاف أن تصف حجم عظامها» ولم يقل «حجم أعضائها» لما في هذه الكلمة من إيحاء غير جميل . قال الشريف الرضي : «وهذه استعارة والمراد أن القبطية برقتها تلتصق بالجسم فتبين حجم الثديين والرادنتين وما يشدّ من لحم العضدين والتخفين فيعرف الناظر إليها مقادير هذه الأجزاء حتى تكون كالتظاهرة للحظة والمكبنة لليس ، فجعلها - عليه الصلاة والسلام - لهذه الحالة كالواصفة لما خلفها ، والخبرة عما استر بها . وهذه من أحسن العبارات عن هذا المعنى ، وهذا الغرض ومن عصر بن الخطاب في قوله : «إياكم ولبس القباطي فانها إلا تشفّ تصف» ، فكان رسول الله - صلى الله عليه وآله - أبا عذر هذا المعنى ، ومن تبعه فأنما سلك نهجه وطلع فجه» (٤٥) . ومن ذلك قوله عليه السلام : «لا يقولن أحدكم خبت نفسي ولكن ليقل لقصت نفسي» فكأنه كره أن يضيف المؤمن الطاهر إلى نفسه الخبث والفساد بوجه من الوجوه (٤٦) .

(٤٢) الطراز ج ١ ص ١١٨ .

(٤٣) الطراز ج ١ ص ١١٧ .

(٤٤) القبطية - بضم القاف - ثياب تنسب إلى القبط بمصر .

(٤٥) المجازات النبوية ص ١٢٩ .

(٤٦) ينظر الحيوان ج ١ ص ٢٢٥ .

وسبق - عليه السلام - العرب في كلام جديد لم يلقوه أو لم يأتوا به من قبل ، قال الجاحظ : « وسنذكر من كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما لم يبق إليه عربي ولا شاركة فيه أعجمي ، ولم يندفع لأحد ولا ادعاء أحد منا صار مستعملاً ومثلاً سائراً »<sup>(٥٧)</sup> . ومن ذلك قوله - عليه السلام - : « يا خيل الله اركبي » وقوله : « مات حنيف الله » وقوله : « لا نتطرح فيه عزاز » وقوله : « الآن حي الوطيس » وقوله : « كل الصيد في جوف القرا » وقوله : « لا يسع المؤمن من جحر مرتين »<sup>(٥٨)</sup> . ومن ذلك قوله : « يا أنجسته رفقا بالقوارير » وقوله : « أخاف أن تصف حجم عظامها »<sup>(٥٩)</sup> . وأثارت مثل هذه الكلمات الجديدة تعليقات بديعة فقال الشريف الرضي عن قوله - عليه السلام - : « الآن حي الوطيس » : « وهذه اللفظة الأنطب عليها لها من جملة الأمثال من قوله - عليه الصلاة والسلام - وقد شرطنا ألا نذكر هنا ما تلك حاله إلا أن لها بعض المدخول في باب الاستعارة فذلك رأينا الإيحاء اليها والتنبيه عليها . فقوله - عليه الصلاة والسلام - : « الآن حي الوطيس » وهو يعني حس الحرب وعظم الخطب مجاز ، لأن الوطيس في كلامهم حفرة تحضر فتوقد فيها النار للاشتواء وتجمع على « وطمس » فإذا احترقت للاحتياز فهي « إرمة » وتجمع على « إرين » ولا وطمس هناك على الحقيقة وإنما المراد ما ذكرنا من حس القراع وشدة المصاع<sup>(٦٠)</sup> والنصاف الاطسال واختلاط الرجال »<sup>(٦١)</sup> . وقال ضياء الدين بن الأثير : « وهذا لم يسع من أحد قبيل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولو أتينا بجواز غير ذلك في معناه فقلنا : « استعرت الحرب » لما كان مؤدياً من المعنى ما يؤديه « حي الوطيس » والفرق بينهما

(٥٧) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٥ .

(٥٨) تنظر في البيان ج ٢ ص ١٥ ، الحيوان ج ١ ص ٢٢٥ ، الزهر ج ١ ص ٢٠١ .

(٥٩) المجازات النبوية ص ٢٢ ، ١٢٩ .

(٦٠) المصاع : الضرب .

(٦١) المجازات النبوية ص ٤٥-٤٤ .

أن الوطيس هو التنور وهو موطن الوقود ومجتمع النار وذلك يخيل إلى  
السامع أن هناك صورة شبيهة بصورته في حبيها وتوقدها ، وهذا لا يرجد  
في قولنا : « استمرت الحرب » أو ما جرى مجراه » (٦٢) .

هذا بعض كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما لم ينطق به أحد  
وهو دليل على أثره في اللغة العربية وأساليبها وتطورها ، وقد صدق - عليه  
السلام - حينما قال : « أوتيت جوامع الكلام » أي أنه أوتي الكلام الجوامع  
للسامع ذات الدلالة القوية الواضحة والمؤثرة الواجبة . ومن ذلك قوله  
- عليه السلام - : « هذه مكة قد رمتكم بأنفلاذ كبدها » يريد أن هؤلاء  
العدودين سيسم فرس ومحضما وليابها وسرها أو انهم أصيان لقوم  
ورؤساؤهم . وقوله : « بعثت في نسمة الساعة إن كادت لتسبقني » يريد  
أنه بعث في نفيس الساعة أي في أمهالها وتأخرها أو أن يكون قد جعل  
للساعة قسما كفس الانسان . وقوله : « فإك رجل لا يتوسد القرآن »  
يريد أنه لا ينام عن قراءة القرآن الكريم أو أنه غير حافظ لكتاب الله . وقوله :  
« قد أفلحت بكم الشرقة الجنون » أي الفتن المتوقعة ، وقوله : « لو  
يطول ما يكون في هذه من الجوع الأثبر ومن الموت الأهر » وهذه صورة  
تخيف وترعب ، وقوله : « الحياة نظام الايمان » وقوله : « أوتى العري  
كلية التقوى » وقوله : « الناس معادن » أي أنه لا يحكم على ظواهرهم ،  
وقوله : « هي ليلة أضحياه كان قبرا يفضحها » وقوله : « لا تشبوا على  
أعقابكم القهقري » أي لا ترجعوا عن دينكم ولا تكفروا بعد إيمانكم فتكونوا  
كالراجع على عقبه ، وقوله : « حبك الشيء يعني وبسم » وقوله : « تام  
عيناي ولا ينام قلبي » وقوله : « الكلية الحكيمة ضالة الحكيم حيشا وجدها  
فهو أحق بها » وقوله : « المجاهد من جاهد نفسه » وقوله : « الشباب شعبة  
من الجنون » وقوله : « الحسد يأكل الحسنة كما يأكل النار الحطب »

(٦٢) القل السائر ج ١ ص ٥٠ ، وتطرقت ص ٦١ أيضا .



وقوله : « اللهم المم شملتنا » وقوله : « أرى عليه سقمة من الشيطان »  
 وقوله : « معترك المنايا بين الستين والسبعين » وقوله : « إن ذا الوجدان  
 لطيق أن لا يكون عند الله وجيها » وقوله : « الصبر عند الصدمة الأولى »  
 وقوله : « والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه » وقوله :  
 « لا تعادوا الأيام فتعاديكم » .

وهذه الأحاديث الشريفة من جوامع الكلم ، وهي من الأمثال التي  
 تتردد والعبارة التي يستشهد بها في المواقف ويرجع إليها في الحكمة  
 والبيان . إن هذه الروعة العظيمة والسر المؤثر والمغنى البديع والنظ  
 الرقيق دفعت الناس إلى حفظ الحديث الشريف والعمل به والتأمل برواهمه  
 والاستيلاء ببلافته وفصاحته ، وبذلك لم يكن الاعتناء عليه لانه كلام  
 رسول الله فحسب ، وإنما لأنه أرفع كلام عرفه العرب بعد كلام الله تعالى .  
 ومن أجل ذلك كان أحد آلات علم البيان وأدواته وكان الشاعر البلاغي  
 الرقيق ، وكان له تأثير في حياة العرب ولغتهم الفاضلة .

### المصادر :

- ١ - الإيضاح - الخطيب القزويني ، القاهرة . ( مطبعة السنة المحمدية ) .
- ٢ - البيان والتبيين - الجاحظ . تحقيق عبدالسلام هارون . القاهرة  
 ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .
- ٣ - تحرير التنجيز - ابن أبي الأصبغ المصري . تحقيق الدكتور حنفي  
 محمد شريف . القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .
- ٤ - جواهر الكنز - ابن الأثير الحلبي . تحقيق الدكتور محمد زغلول  
 سلام . الاسكندرية - مصر .
- ٥ - حسن التوسل إلى صناعة التوسل - شهاب الدين الحلبي . تحقيق  
 الدكتور أكرم عثمان يوسف . بغداد . ١٩٨٠م .
- ٦ - الحيوان - الجاحظ . تحقيق عبدالسلام هارون . القاهرة  
 ١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م .

٧ - شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان - جلال الدين السيوطي .  
القاهرة ١٢٥٨هـ - ١٩٣٩ م .

٨ - الطرائف - يحيى بن حمزة العلوي . القاهرة ١٢٢٢هـ - ١٩١٤ م .

٩ - كتاب الصناعين - ابو هلال العسكري - تحقيق علي محمد الجاوي  
ومحمد ابو القاسم ابراهيم . القاهرة ١٢٧١هـ - ١٩٥٢ م .

١٠ - مثل السائر في ادب الكاتب والناشر - ضياء الدين بن الاثير . تحقيق  
محمد محيي الدين عبدالحميد . القاهرة ١٢٥٨هـ - ١٩٣٩ م .

١١ - الحجرات النبوية - الشريف الرضي . تحقيق محمود مصطفى .  
القاهرة ١٢٥٦هـ - ١٩٣٧ م .

١٢ - الزهر - السيوطي . تحقيق تكملة احمد جادالولي وجماعته -  
الطبعة الثالثة - القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩ م .

١٣ - حرم حرمنا - محمد باقر صفا . تحقيق محمد باقر صفا .  
القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩ م .

١٤ - حرم حرمنا - محمد باقر صفا . تحقيق محمد باقر صفا .  
القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩ م .

١٥ - حرم حرمنا - محمد باقر صفا . تحقيق محمد باقر صفا .  
القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩ م .



١٦ - حرم حرمنا - محمد باقر صفا . تحقيق محمد باقر صفا .  
القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩ م .

١٧ - حرم حرمنا - محمد باقر صفا . تحقيق محمد باقر صفا .  
القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩ م .

١٨ - حرم حرمنا - محمد باقر صفا . تحقيق محمد باقر صفا .  
القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩ م .

١٩ - حرم حرمنا - محمد باقر صفا . تحقيق محمد باقر صفا .  
القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩ م .

٢٠ - حرم حرمنا - محمد باقر صفا . تحقيق محمد باقر صفا .  
القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩ م .

## أثر المدائح النبوية في البلاغة

البيِّنات :

قول القرآن الكريم فكان حجة بلاغية كبرى ومعجزة أدبية عظمى وقفا العرب أمامها مبهوتين لا يعرفون لذلك سببا ولا يسلكون لتأثيره ردا . ولم يكن إزاء هذه المعجزة إلا أن يرجعوا إلى أنفسهم لعلهم يجدون مخرجا ولكن الحجة أصيبت ووقفت السننم واحتبست أصواتهم وهم يستمعون إلى النبي العظيم محمد - صلى الله عليه وسلم - يلغ الناس قوله تعالى : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تصعلوا ولن تصعلوا فاتصوا النار التي تمودها الناس والحجارة أعدت للكافرين»<sup>(١)</sup> . وقوله تعالى : « أم يقولون افتراء قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو ، فهل أنتم مسلمون»<sup>(٢)</sup> . وقوله : « قل لئن اجتمعت الأناس والجن على أن يأتوا بشئ هذا القرآن لأياتون بشئله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا»<sup>(٣)</sup> . ومعجزوا عن أن يأتوا بشئ هذا القرآن وهم أهل لتسكير

• نشر في مجلة السورد العدد الرابع ( المجلد التاسع ) سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م بمناسبة الاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري .

(١) سورة البقرة ، الآيات ٢٣-٢٤ .

(٢) سورة هود ، الآيات ١٣-١٤ .

(٣) سورة الاسراء ، الآية ٨٨ .

وبلاغة فقالوا : « ما هذا إلا "سِحْرٌ" ملتري وما سمنا بهذا في آياتنا الأولى»<sup>(١)</sup> . وأخذوا يهرون من سماع كتاب الله خوفاً من أن يؤثر في قلوبهم ويهديهم إلى سواء السبيل كما هدى من قبل طليعة المسلمين ، وكانوا يقولون إذا سمعوه كما قال الوليد بن المغيرة وقد سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يتلو الآيات : « والله إن لقوله لحلاوة » ، وإن أصله لعذق ، وإن قرعته لجنات»<sup>(٢)</sup> .

وشغل الناس بالقرآن بعد أن انتشر الإسلام وأخذوا يتدبرونه ويوضحون معانيه ويتحدثون عن ألفاظه وتركيبه وما فيه من قنونٍ وقتب العرب أمامها مبهوتين . وكانت البلاغة من العلوم التي أولوها عناية كبيرة وجملوها « أحق العلوم بالتعلم وأولها بالحفظ - بعد المعرفة بالله جل ثناؤه » لأن « الإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأغفل بمعرفة المصاحفة لم يقع عليه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وسرعة التركيب وما شجته به من الأيجاز البديع»<sup>(٣)</sup> وذهبوا أبعد من ذلك فقال عمرو بن عبيد عن البلاغة أنها « ما بلغ بك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وما بصرك بسوائك وشدك وعواقب غيك»<sup>(٤)</sup> .

وكان تأثير القرآن واضحا في اتخاذ مدار الدراسات البلاغية ، وكانت آياته البينات الشاهد البلاغي الرفيع . وكان لمسألة الإعجاز أثر كبير في تطور البلاغة العربية وكان المتكلمون أول من بحث في إعجاز القرآن وبلاغته ، واختلفت وجهات النظر في ذلك وتعمقت سبل القول وأصبحت تلك الدراسات أحسن مصدر للبلاغة وأجل مورد لمن أراد أن يتفوق القرآن ويضمهم البيان . وسارت مراكب التأليف في البلاغة خدمة لكتاب الله ولفه

(١) سورة القصص ، الآية ٣٦ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٠ .

(٣) كتاب الصناعات ص ١ .

(٤) البيان والتبيين ج ١ ص ١١٤ .

الضاد ، وظهرت مئات الكتب تتحدث عن اعجاز القرآن وبلاغة العرب وترصد  
 فنون الياية التي لها تأثير في الأدب . وشهد القرن السابع للهجرة لونا  
 جديداً من التأليف في البلاغة هو « البدييات » التي كانت تتضمن نونا  
 بلاغية معظمها في مدح النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ومن البحر  
 البسيط وعلى روي الميم . وكانت المدائح النبوية قد ظهرت منذ عهد مبكر  
 غير أنها أخذت طابعها المعروف حينما ذاع التصوف وانتشر . ولعل يردة  
 البوصيري ( ١٠٧٧هـ ) أهم القصائد بين المدائح النبوية ، فهي « أولاً »  
 قصيدة جيدة ، وهي ثانياً أشيرٌ قصيدة في هذا الباب ، وهي ثالثاً مصدر  
 الروحي لكثير من القصائد التي اقتت بعد البوصيري في مدح الرسول <sup>(١٨)</sup> و  
 ومطلعها :

أمن تذكر جيران بني سُلَيم مَرَّجَتْ دمعاً جرى من مقلة بدم  
 أم هبت الريح من تلقاء كاطمة وأومض البرق في الظلماء من أسير  
 والبردة في اثنين وثلاثين ومائة بيت تشتمل على عدة عناصر ، نصي  
 صدرها النسيب وبليه التحذير من هوى النفس ثم مدح النبي - صلى الله  
 عليه وسلم - والكلام على مولده ، والحديث عن القرآن الكريم والأمراء  
 والمراج والجهاد وتنتهي بالتوسل والمناجاة <sup>(١٩)</sup> . وكان للبردة أثر في اللغة  
 العربية يمثل في التأليف والدروس والشعر ، ولكن أثرها في البلاغة يتجلى  
 في « البدييات » التي كانت لونا من ألوان البحث في فن القول وشرح  
 فنون البلاغية .

والبدييات كثيرة ، وقد أحصى منها الدكتور أحمد ابراهيم موسى  
 في كتابه « الصبح البديعي في اللغة العربية » أربعاً وأربعين ، منها ما هو  
 مشروح وما هو مجرد ، ومنها ما هو مطبوع وما هو مخطوط . وقد اختلف

(١٨) المدائح النبوية في الأدب العربي ص ١٧١ .

(١٩) حللها الدكتور زكي مبارك في كتابه « المدائح النبوية » ص ١٨٣ .

الباحثون في نشأتها فذهب الدكتور زكي مبارك الى أن أبا عبدالله محمد ابن أحمد المعروف بابن جابر الأندلسي ( - ٧٨٠ هـ ) ابتكرها ورسم أصولها<sup>(١٠)</sup> . وذهب ابن معصوم المدني الى أن صفي الدين الحلبي ( - ٧٥٠ هـ ) أول من نظمها ، ولكنه استدرج وقال : « كنت أئنف أول من نظم أنواع البديع على هذا الأسلوب البديع فضمن كل بيت نوعا واقفاد له شمس هذا المراد طوعا هو الشيخ صفي الدين الحلبي - رحمه الله تعالى - حتى وقفت في ترجمة الشيخ علي بن عثمان بن علي بن سليمان أمين الدين السليمانى الأربلي الصوفي الشاعر على قصيدة لامية له ، نظم فيها جملة من أنواع البديع وضمن كل بيت منها نوعا منه ، أولها الجنس التام والمطرف وهو :

بعض هذا الدلال والادلال حال بالهجر والتجبر حالي

ثم قال في الجنس المصحف والمركب :

جرت إذ حُرِّت ربح قلبي، وإذا لالي صبر ، أكثرت من ادالسي  
 فعلت أن الشيخ صفي الدين لم يكن أبا عنتر هذا المرام ولا أول من نظم جواهر هذا المقدر في قلام ، فإن الشيخ أمين الدين المذكور توفي قبل أن يولد الشيخ صفي الدين بسبع سنين ، وذلك أن وفاة الشيخ أمين الدين في سنة سبعين وستائة وولادة الشيخ صفي الدين في سنة سبع وسبعين وستائة . وأما نظم أنواع البديع على هذا الوزن والروي الذي نظم عليه الشيخ صفي الدين فلا أتعلق أيضا أن الشيخ صفي الدين هو أول من نظم عليه ، فإنه كان معاصرا للشيخ أبي عبدالله محمد بن أحمد بن علي الهواري المعروف بشمس الدين بن جابر الأندلسي الأعشى صاحب البديعة المعروفة ببديعة العتيان . ولا أعلم من السابق منهما الى نظم بديعته على هذا الأسلوب وإن كان الشيخ صفي الدين قد جاز قصبات السبق في مفسار براعة

(١٠) المدائح النبوية ص ٢٠٤ .

هذا المطلوب . فابن جابر لم يستوفِ الأنواع التي ظمها الشيخ صفي الدين بل أدخل بنحو سبعين نوعاً من الأترع وكلاهما لم يلتزم التورية باسم النوع البديعي . وأول من التزم ذلك الشيخ عز الدين الموصلني ثم تلاه الشيخ تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبدالله الحسوي المعروف بابن حجة ، والتزم ما التزمه الشيخ عز الدين وزاد عليه في أكثر الآيات بحسن الظن والانسجام ، إلا أن لذلك فضل التقدم على المتأخر والبتدع على المتبع . وقل من التزم بعدتنا هذا الالتزام وما ذلك إلا لصعوبة هذا المرام<sup>(١١١)</sup> . ورجح الدكتور جواد علوش أن يكون صفي الدين الحلبي أسبق من ابن جابر الأندلسي لأنه توفي سنة ٥٧٥٠هـ ، وتوفي الثاني سنة ٥٧٨٠هـ ، وإن ابن حجة الحسوي اعترف بأسبقيته في عدة مواضع من خزانته<sup>(١١٢)</sup> . ولكن ذلك ليس دليلاً أكيداً ، فقد يكون ابن جابر أسبق لأنه كان قد تخطى الخمسين حيناً مات الحلبي ولعله ظمها في هذه السن أو قبلها بكثير فيكون له سبق في هذا المضمار . ومهما يكن الأمر من اختلاف الباحثين في نشأة البديعيات فإن من أوائلها بديعية علي بن عثمان الأربلي ( - ٥٧٦٠هـ ) الذي أشار إليه ابن معصوم المدني وعده أول من ظم في هذا اللون . وبديعته ليست في مدح النبي العظيم وإنما في مديح بعض معاصره ولذلك لا تدخل في المدائح النبوية وإن كانت من أوائل البديعيات . وبديعية الأربلي تتضمن الضنن اليلافية ، وقد ذكر ابن شاذان الكنتي<sup>(١١٣)</sup> سنة وثلاثين بيتاً منها وفي كل بيت فنن بديعي ، فسي قوله :

بعض هذا الدلال والأدلال حال بالهجر والتجيب حالي  
 جناس لفظي . وفي قوله :  
 جرئت إذ جرئت وبغ عليء وإذ لاسي صبر ، أكثر من إندلسي

(١١) انوار الربيع في أنواع البديع ج ١ ص ٢٢٥٢١ .  
 (١٢) شعر صفي الدين الحلبي ص ١٢٦ .  
 (١٣) نوات الوقيات ج ٢ ص ١١٨ .

جناس علي - وفي قوله :

رقق يا قاسي الفؤاد لأجدا      ذر قصارم أسرى ليال طوال  
طباق - وفي قوله :

شارحات\* بنسها متجمع البحا      رين في حبا\* مجمع الأشبال  
استارة - وفي قوله :

ضت النوم في هواك قيصاصاً      حيث أدنى منها خداع الخيال  
مقابلة -

ولكن الشعراء بعد الأربلي اتجهوا الى مدح النبي - صلى الله عليه  
وسلم - بديعياتهم معارفين بردة البوصيري ، ومن ذلك بديعة صفي الدين  
العلي ( - ٥٧٥٠ هـ ) وهي في مائة وخمسة وأربعين بيتا ومطلعها :

إن جئت سلتاً قتل عن جيرة العلم      واقرا السلام على عروب بذي سكر  
وضن كل بيت فيها محسنا وضت قصيدته مائة وخمسين إذ جعل  
لها للجناس اثني عشر ضربا ، ففي المطلع براعة الاستهلال والتجنيس  
الركب والفتحة ، وفي البيت :

لقد ضنت وجود النسع من عدم      لهم ولم أستطع منح\* ذاك منح دمي  
تجنيس مطلق - وفي البيت :

أبيت والنسع هامر هامل سرب\*      والجسم في أحمم واللحم في ونكم  
تجنيس مذيّل ولاحق - وفي البيت :

من شاء حل أعياء الهوى كسنا      إذا عمتى شاة بالنسع لم يتكسر  
تجنيس تام ومطرف - وفي البيت :

من\* لي بكله غرور في طبائهم      غرر حسن يداوي الكتلهم بالكتلهم



تجنيس مصحف وحرف . وفي قوله :

بكل قدرٍ نضيرٍ لا نظير له ما ينقضي أملي منه ولا المني

تجنيس لظي ومقلوب . وفي البيت :

وكل لفظ أتى باسم ابن ذي يزن فسي فتكه بالعنق أو أبي هريرة

تجنيس معنوي . وضم كل بيت من الأبيات الأخرى فنا بديعاً واحداً .

وستى الحلبي بديعته « الكافية البديعية في المدايح النبوية » وشرحها بكتاب سماه « النتائج الالهية في شرح الكافية » وذكر انها خلاصة سبعين كتاباً<sup>(١١١)</sup> .

وشرحها عبدالقني النابلي ( - ١١٤٣ هـ ) بكتاب سماه « الجوهر السنني

في شرح بديعية الصفي » . وأتسى عليها الصوي ( - ٨٣٧ هـ ) في خزانة

وفضلها على البديعيات الأخرى ، ومن اعجابها بالحلي فلكنه وجاراه وهذا

حنوء . قال مفتخراً ببديعته : « قجاءت بديعية همت بها ما نحت الوصلي

في بيوت من الجبال ، وجاريت الصفي مقيداً بتسمية النوع وهو في ذلك

محلول المقال »<sup>(١١٢)</sup> .

وقلم ابن جابر الأندلسي ( - ٧٨٠ هـ ) ببديعته في مائة وسبعة وعشرين

بيتاً استلها بقوله :

بطية أول ويستم سيكاً الأسمر واترله المدح واتر أطيبة الكلمر

وسماها « الحلة السر<sup>(١١٣)</sup> في مدح خير الوري » وهي المعروفة ببديعية

العيان . وحدثه الدكتور زكي مبارك مبتكر هذا الفن وقال : « وقد شغل

نفسه بمعارضة البردة ولكن أي معارضة ؟ لقد خابك فنا جديداً هو البديعيات

(١٤) البديعية في ديوان صفي الدين الحلبي ص ٦٨٥ ، والتفصيل في منابع

بلاغية ص ٢٢٨ - وطبع مجمع اللغة العربية بدمشق « شرح الكافية

البديعية » سنة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م بتحقيق الدكتور نسيب نشاوي .

(١٥) خزانة الأدب ص ٤٦٧ .

(١٦) السيراء : المخططة ، أو بخطها حرير .

وذلك أن تكون القصيدة في مدح الرسول ولكن كل بيت من أبياتها يشجر  
 الى فن من فنون البديع<sup>(١٧٩)</sup> . وشرحها صديقه أبو جعفر أحمد بن يوسف  
 ابن مالك الرعيضي الغرناطي ( ١٧٧٩ هـ ) بكتاب سماه « طراز العلة وشفاء  
 القلة » وأشار الى أن ابن جابر اتبع في سرد المحسنات التنظيم القزويني ،  
 ولكنه بدأ باللفظ متابعاً بدر الدين بن مالك في « المصباح » . قال : « وقد  
 أن<sup>١</sup> أخذ في الكلام على أبيات القصيدة حسبما تحصل به الفائدة ويعود  
 على الناظر فيه بأحسن عائدة فنقول : إن المصنف تبع في هذه القصيدة القاسمي  
 جلال الدين القزويني صاحب « الأيضاح » و « التلخيص » فذكر من القاب  
 البديع ما ذكره إلا أن<sup>٢</sup> المصنف بدأ بالقسم الذي يتعلق باللفظ وأخر القسم  
 الذي يتعلق بالمعنى على ما سنتف عليه . وهو في هذا الترتيب موافق  
 لصاحب « المصباح » وهو ترتيب حسن لأن<sup>٣</sup> اللفظ وسيلة الى المعنى ،  
 وحق الوسيلة أن تكون متقدمة ، وأيضاً فإن ما يتعلق بالمعنى لا يكون إلا<sup>٤</sup>  
 بعد التركيب بخلاف ما يتعلق باللفظ ، وحال الاقتران مقدم على حال  
 التركيب<sup>(١٨٠)</sup> . وأثنى السيوطي على بديعية ابن جابر وقال : « إن<sup>٥</sup> نظمها  
 عال<sup>(١٨١)</sup> » ولكن العموي قال : « ونظم هذه القصيدة سافل بالنسبة الى  
 طريق الجماعة غير ان الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبا جعفر الاندلسي  
 شرحها شرحاً مفيداً»<sup>(١٨٢)</sup> .

ونظم عز الدين الوصلي ( ١٧٨٩ هـ ) بديعية في مائة وخمسة واربعين  
 بيتاً التزم فيها تسمية الفن البديعي مورداً بكلمة عنه في البيت الذي  
 يتضمنها ، ومثلها :

براعة تستهل الذمغ في العلم عبارة عن نداء المصرد العظم

(١٧) المدائح النبوية ص ٢٠٥ .

(١٨) طراز العلة وشفاء القلة ص ١٧ .

(١٩) بنية الوصية ج ١ ص ٣٥ .

(٢٠) خزائن الأدب ص ١١ .

ففي قوله : « براعة تستهل » إشارة الى براعة الاستهلال ، وفي قوله :  
فهي سلسى وسل ما ركبت بشدا قد أطلقت أمام الحي عن أسم  
تورية عن الجنس المركب والمطلق . وفي قوله :

مطلق ظاهر سري وشان دمي لما جرى من عيوني إذ وشى تمي  
تورية عن الجنس المطلق وإشارة اليه . وكان الموصلى أول من فعل ذلك  
ليتم على الحلبي الذي لم يلتزم بتسمية النوع ، قال عبدالغني التالبي :

« ثم جاء بعد صفى الدين الشيخ عز الدين الموصلى - رحمه الله تعالى -  
فعارضه بقصيدة على منوال قصيدته ، وذكر من الأنواع ما ذكره وزاد عليه  
بعض شيء يسير من اختراعاته مجبها بذكر النوع البديعي في الفاظ البيت  
موردا به ثلاثا يحتاج الى تعريف النوع من خارج الظن ، ولكنه تمسك  
وتكلف في غالب آياته وهجر مضجع الرقة والانجم ، ثم شرحها شرحا  
يبين فيه مقصده ومراده مع الاختصار ولم يتشتمر لغة الافكار» (٢١) .

وقلم أبو سعيد زين الدين شعبان بن محمد بن داود بن علي الأتاري  
القرشي ( - ٥٨٢٨ هـ ) ثلاث بديعيات سى الأولى « بديع البديع في  
مديح الشيع » وهي البديعية الصغرى وهي في مائة وتسعة وتسعين بيتا  
وقد التزم فيها تجريد ألقاب الأنواع التي نسبتها في البديعة الكبرى (٢٢)  
ومطلعها :

إن جئت بديراً فطب واقول بذي سلم سلم على من ساء بديراً على علم  
وفيه براعة المطلع . وسى الثانية « بديع البديع في مديح الشيع » أيضا ،  
وهي البديعية الوسطى وهي ثمانمائة وأربعون بيتا ، ومطلعها :

دع "عناك سلعاوسك" عن ساكن الحرم وخل "سلسى وسك" ما فيه من كرم

(٢١) تلخيصات الأزهري ص ٣ .

(٢٢) بديعيات الأتاري ص ١١ ، ٢٠ .

وسمى الثالثة « المقدم البديع في مدح الشفيح » وهي البديعية الكبرى وهي أربعمائة وسبعة أبيات ، ومطلعا :

حسن البراعة عند الله في الكلام ومدح أحمد خير العرب والمعجم  
وفيه إشارة إلى « حسن البراعة » ، وفعل مثل ذلك في الأبيات الأخرى  
وأشار إلى الفنون البلاغية موزنا .

وظهر في القرن الثامن أديب ناقد كان له أكبر الأثر في البديعيات  
وهو أبو بكر علي بن حجة الحسوي ( - ٨٣٧ هـ ) الذي وجد عصره يسخر  
بالبديعيات ، وكان قد أعجب ببديعتي العلي والموصلي فأراد أن يضع  
بديعية تتوقها وتعفوها فنظم بديعية ضمن كل بيت فيها لونا بديعيا  
وأشار إلى اسمه في البيت نفسه وسماها « تقديم أبي بكر » وهي في  
مائة وأربعين بيتا ، ومطلعا :

لي في ابتدا مدحك يا عرب ذي سلم براعة تستهل الدمع في العلم  
ورأي أن هذه البديعية لن تكون ذات فائدة عظيمة إن بقيت أبيات شعر  
تحتفظ وتزوي من غير تبصر بنونها البديعية فوضع لها شرحا سماه « خزنة  
الأدب وغاية الأرب » ووازن بينها وبين بديعتي العلي والموصلي (٢٢) .  
وكان لهذا الشرح أثر في البلاغة والبديعيات التي جاءت بعد ذلك فقد أخذ  
بعضهم على نفسه شرح بديعته كالسيوطي والباغونية والمدني والناقلي .

ولجلال الدين السيوطي ( - ٩١١ هـ ) بديعية سماها « نظم البديع  
في مدح خير شفيح » في مائة وأربعين بيتا مشتتة على مثلها من الأنواع  
ومطلعا :

من العتيق ومن تذكار ذي سلم براعة تستهل الدمع في العلم  
وشرحها شرحا موجزا .

(٢٢) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٢٢٥ ، القرويني وشرح التلخيص ص ١٧٧ .

وقلم صدرالدين بن منصور الحسيني المدني ( - ١١١٧ هـ ) بديعية  
في مائة وسبعة وأربعين بيتاً ، ومطلعها :

حسن ابتدائي يذكري جيرة الحرم له براعة شوق يستحلّ نسي  
وتنفس الفاظ آياتها أسماء الحسنيات البديعية ، ففي المطلع « حسن  
الابتداء » و « براعة الاستهلال » ، وفي قوله :

دهني وعجبي وعج بي بالرسوم و« ذاع » مركب الجهل والعقل مطلق الرسم  
الجناس المركب والمطلق . وشرحها بكتابه « أنواع الريع في أنواع البديع »  
الذي جاء أوسع المؤلفات البلاغية في العمود المتأخرة (٢١) .

وقلم عبدالغني التابلي ( - ١١٤٣ هـ ) بديعتين لم يلتزم في احدهما  
نسية النوع والتزمه في الثانية ، ومطلع الاولى :

يا منول الركب بين الهان فالعلم من سنج كاملة حثيت بالديم  
وشرحها بكتابه « فضحات الازهار على نسبات الاسرار في مدح النبي  
المختار » . ومطلع الثانية :

يا حسن مطلع من أهوى بذني سلم براعة الشوق في استهلالها أنسي  
والتزم فيها التورية باسم النوع بعد أن اتقد ذلك في مقدمة شرح  
بديعته الاولى ؛ لأن ذلك يكسب « تناثر الكلمات ونراية المباني وقسلافة  
المعاني » (٢٥) . وقال : « ثم ابي قلنت قصيدة أخرى على منوال هذه  
صرحت فيها باسم النوع تشيلاً لما ذكرته من الاستهلال ووفاء بما أمرت اليه  
في المقال . ثم ابي كتبت كل بيت منها عند ما ياتله في الهامش على حسب مقتضى

(٢٤) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٣٤٢ .

(٢٥) فضحات الازهار ص ٤ .

الحال» (٢٦) . وقال إن أبيات بديعته مائة وخمسون بيتاً مشتقة على مائة وخمسين فنا بعد زيادة لطيفة لا توجد في البديعيات وربما اشق في البيت الواحد التوعان والثلاثة بحسب انسجام القريحة في النظم (٢٧) .

وهناك بديعيات أخرى لوجيه الدين عبدالرحمن بن محمد البني ( - ٩٠٠ هـ ) وشرف الدين عيسى بن حجاج بن عيسى بن شداد السعدي القاهري ( - ٨٠٧ هـ ) وأبي الوفاء بن عمر العرضي الشافعي وقاسم بن محمد البكرمي ( - ١١٦٩ هـ ) و غلام علي آزاد ( - ١٢٠٠ هـ ) ومحمود صفوة الساعدي ( - ١٢٩٨ هـ ) وعبد الهادي بن رضوان نجا الأبياري ( - ١٣٠٥ هـ ) وعبد القادر الحسيني الأدهمي الطرابلسي وعبد الحميد قفس بن محمد علي الخطيب ( - ١١٣٥ هـ ) . ونظم المسيحيون بديعيات في مدح المسيح - عليه السلام - معارضة ليردة البوصيري والمدائح المحدثية (٢٨) .

### بديعية الباعونية :

أسهمت المرأة في نظم البديعيات ، فقد ظلت عائشة الباعونية (٢٩) ( - ٩٢٢ هـ ) بديعية في مائة وثلاثين بيتاً سبها «الفتح المين في مدح الأمين» ومطلعها :

في حسن مطلع أمتاري بذى سلم أصبحت في زمرة العشاق كالعلم

(٢٦) تفحات الزهار ص ٤ .

(٢٧) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٢٤٥ .

(٢٨) التفصيل في الصبح البديعي ص ٥٨ ، مناهج بلاغية ص ٢٤٦ ، القزويني وشروح التلخيص ص ٥٦ ، البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٥٨ ، دائرة المعارف الإسلامية ( الطبعة العربية ) ج ٣ ص ٤٧٠ .

(٢٩) هي عائشة بنت يوسف بن أحمد بن ناصر الباعوني أم عبدالوهاب الدمشقية . ( شيرات الذهب ج ٨ ص ١١١ ، الأعلام ج ٤ ص ٧٠ ، معجم المؤلفين ج ٥ ص ٥٧ ، الأعلام السلك ج ٣ ص ١٦٦ ) .

وظلتها على منوال بديعية ابن حجة من غير تسمية النوع البديعي نسكاً  
 بطلاقة الألفاظ وانسجام الكلمات ، وشرحها واعتقدت على ابن حجة كثيراً .  
 قالت : « وبعد فهذه قصيدة صادرة عن ذات قناع ، شاهدة بإسلامه الطباع ،  
 منتحة بحسن البيان ، مبنية على أساس تقوى من الله ورضوان ، سافرة عن  
 وجهه البديع ، سامية بمدح الحبيب الشفيع ، مطلقه من قيود وتسمية  
 الأنواع ، مشرقة الطوالع في أفق الإبداع ، مرسومة بين القصائد النبويات  
 بمقتضى الإلهام الذي هو عبدة أهل الاشارات بالفتح المبين في مدح الأمين .  
 استخرت الله - تعالى - بعد تمام قلمها وثبوت اسمها في شيء يروق الطالب  
 موارده وتظم عند الاستيفاد فوائده وهو أن أذكر بعد كل بيت حدّ النوع  
 الذي بنيت عليه وأقرّ شاهده فان ذلك ما يضطر إليه ، وأنحو في ذلك  
 سبيل الاختصار ولا أخل بواجب وأبته على ما لا يهدّ منه قصداً للضع  
 الطالب . والمسؤول من الفتاح بتأسيسها على قواعد إذن الله أن ترفع ، ومن  
 مثبت رفعها بوجاهة مدح الوجيه المشفع أن يصلي ويسلم عليه ويجعلها  
 خالصة لوجهه الكريم . وسيلة لي ولوالديّ ولذرتي ولاحابسي ولأبن  
 والاني خيراً الي وفور الحظ من فضله العظيم وأن ينلنا بوجاهة المسدوح  
 لديه ويحتمه عليه نهاية الآمال وما لم يخطر لنا على بال من منايح الوصال  
 ومبار الاتصال ودوام العواني والأمان وشمول الغلو والرضوان ، انه  
 جواد كريم رؤوف رحيم ، ومن الله أستمد وعليه أعتد ، وما توفيقي إلا  
 بالله عليه توكلت واليه أئيب » (٢٠) .

وفي دار الكتب بالقاهرة شرح آخر لبديعتها أكثر تفصيلاً ، إذ  
 توسعت فيه والتزمت أن تذكر عند كل محسن ما قاله ابن جابر الأندلسي  
 والحلي والموصلي ، وهذا الشرح غير مطبوع ، أما الأول فقد طبع على  
 جاشية « خزانة الأدب » للعبوي ، ويبدو أن الدكتور أحمد إبراهيم

(٢٠) شرح بديعية الباعوثية (خزانة الأدب) ص ٢١٠ .

موسى لم يطلع عليه فقال عن الترحمين : « وكلاهما مخلوطان »<sup>(٣١)</sup> ،  
 كما لم يطلع التابلسي على الشرح الكبير فقال في مقدمة « نفعات الأزهار » :  
 « ثم جاءت بعد ابن حجة فاضلة الزمان عائشة اليعاقبية - رحمة الله  
 تعالى - وقلبت قصيدة على مثال قصيدته مع عدم نسبة النوع تسكناً  
 بطلاقة اللفاظ وانسجام الكلمات وشرحها شرحاً مختصراً وقتت عليه بخطها  
 - رحمة الله تعالى - أسفرت فيه عن ثام البيان بقدر الطاقة وحسب  
 التيسير\* » .

وقصيدة « الفتح الين في مدح الأمين » معارضة لبردة البوصيري  
 والبديعيات الأخرى ، وقد جرت على نرارها في الوزن والروي : فهي من  
 البحر البسيط الذي يمتد فيه النفس ليعبر عن الخلجات ويستوعب الأفكار ،  
 وهي على روي الميم المكسورة ذات الإيقاع العذب الذي يحرك المشاعر  
 ويهز النفوس . وإذا كانت بردة البوصيري قد اشتهرت وقالت خطأ عظيماً  
 فلأنها أقل تكلفاً من القصائد الأخرى ، ولأنها ابتعدت عن نهج البديعيات  
 التي جاءت مجازاة لها وإن لم تلحقها في الشاعرية وتصل إلى غايتها في  
 التأثير . ولا تخرج عناصر القصيدة عما رسمته بردة البوصيري كثيراً فهي :

- ١ - النسيب .
- ٢ - الحديث عن الأحياء .
- ٣ - الكلام على باب السلام .
- ٤ - مدح النبي عليه السلام .
- ٥ - الكلام على معجزاته صلى الله عليه وسلم .
- ٦ - وصف النبي والحديث عن أخلاقه .
- ٧ - المناجاة .

(٣١) الصيغ البديعي ص ٤٥ . \* نفعات الأزهار ص ٢ .



يبدأ القسم الأول بالإشارة إلى ذي سلم والحديث عن حب الشاعرة الذي جعلها « في زمرة العشاق كالعلم » وتشرح حالها ثم تتخاطب سعدياً قائلة : « إنَّ أبصرت عينك كالمطلة وجئت سائلاً فسل عن أهلها » لأن هناك أخصاراً طالعة وهم آحبة وإن حال البعد بينهم وأورث الألم . لقد « حلوا كمالاً » و « وازدادوا دلالة » ولكنها أحست الفن بهم وإن حاولوا تلقها . وتحدث عما قيل لها عن سلوهم وهي لن تسلوهم أو تساهم بل ترجو عطفهم واشفاقهم عليها ، فكل شيء ، جون ، السهاد والشوق والجرى . وأتى لها أن تسلوهم و « نار الحب موقدة وسط الحشا وعيون الدمع كالديم » ولها جنون لم تكتحل بغير السهد ولها « رسوم بغير السقم لم تسم » . وهي مهابة تجاهها الأسد غير أن الأحبة أقوى وأشد وأهم « أزرروا بنسب الضحى والبدر حين بدوا وأومض البرق من تلقاء مبتسم » . وتتخاطب نفسها قائلة : جدي فأن وصلوا فذلك هو القصد وإلا فتوتني مية فيها إياه واحتشام وإن كان المشق قد أخذ منها ماخذاً عظيماً ، وقد كنت حالها ولكن نجتها بأبي ذلك كل الآباء ، ووضحها الدمع والسقام . وتحدث عن الذين قالوا لها « لرحوي » ولكن قلبها لا يطاوعها وهي لن تصمم العهد ، ولو علم العادل ما بها وعرف مقدار لوعتها لتركها وهو معذور لأنه لا يرى النور في الظلام ، ولعله يرى ذلك في يوم من الأيام ويرى النصح في كلامها ويكف عن لومها . وهي لذلك تتركه وتزعم بيانها عن ذمه ثم تلثت إليه قائلة : « هل أهداك الجهل أو أن في طرفك عسى أو فقدت رشذك أو أصابك لم » . لقد أتعبت نفسك في لومي فبعذرة مني إليك وإن « سمي عنك في صمم » أعذل وعنتك ما استطعت فلن تراني إلا كما شاء الهوى حافظة للذمم ، ولعلك ترى حسنتهم فتكف عن اللوم وتحدث عنهم مازجا ملائك بالذكرى فهي تعلق « لعليل الشوق من ألم » .

وتتخلص في القسم الثاني إلى الحديث عن الذين ليست في حبه ، ولماذا هذا العذل وهم عرب استوطنوا السر منها فهو منزلهم ولن تبوح به

يوما لغيرهم . انهم احبة ما لقلبيبا لغيرهم من ارب وان حبهم لم يزل  
يسو ويزداد منذ القدم وقد لزمتم صدق ولائهم لانهم حلتوا بقلبيبا وحلتي  
جرد مشتمهم جيدعا ، وهم آية في الجبال ، ولن تبلغ الشمس نبي الافاق  
مشرفة لألاء حسنهم . ثم تقسم اغلظ الايمان قائلة :

« لا مكنتني المعالي إن لم أكن لهم خادمة » لانهم بفضلهم غروني بنا  
عجزت به عن شكرهم واليسوني من ضيائهم « نوراً جلالتي » و « البسولي  
ثياب الوصل » . وتستمر في كلامها باثة وجدعا وشارحة شوقها ومظهرة  
لوعتها وتساءل : هل يجتمع شملها بهم وتجييب : « نعم ، نعم » لقد  
حدثني نبي بذلك وهي غير كاذبة فيما تقول .

وتعود في القسم الثالث قائلة : إن أسعدت الأيام بأسعد واجتمعت  
الأيامي وجئت التي عرج على قاعة الوعاء واتعشت على العتيق فالجوعاء  
من إضم ، واقصد به باب السلام وقف مقبلاً مولىء القدم لأن لي قبا  
بذاك المكان رهينا وهو يعاتي من الوجد كثيرا . وتطلب منه أن يأتي الكريم  
ويقبل غير خائف من الواشين ليرى الحسن والاحسان ، وترجوه أن لا يصدده  
عن ذلك تصح اللحين وما صاغوا من كلم .

وتتخلص في القسم الرابع الى مدح النبي - صلى الله عليه وسلم -  
فهد ابن الذبيح ، وهو أبو الزهراء وجد الحسن والحسين ، وهو المرتضى  
الذي اختاره الله - سبحانه وتعالى - « قبل اللوح والقلم » وخير النبيين  
وأسماهم نسا وأزكاهم حسبا وأعلامهم قريبا من الله . وقد « عزت جلالة »  
و « جلت مكانته » و « عشت هدايته » للناس جميعا وزلت نبي مدحه  
محكم الآيات . وتتحدث عن الوحي والامراء فقد خصه الله بالتبوة  
وامصفاء على سائر الانبياء في الأزل . وفي كلامها اشارة الى قوله - عليه  
الصلاة والسلام - : « كنت نيا وأدم بين الماء والطين » ولذلك فهو

ذو الجاه الشفيح وقد المجد حيث يسير تحت لوائه أهل المجد يوم الحشر العظيم .

وتحدث في القسم الخامس عن معجزاته وأولها القرآن الكريم الذي ينزل فيجد الناس فيه حلاوة ولا يلس ولا يبدل . ومن معجزاته - عليه السلام - لس راحته التي تعقب راحة ، ومحوه المحسن من ريقه الطاهر ، ومنها طاعة الثورين له وتجر الماء من أسبعية .

وننتقل في القسم السادس إلى صفاته - صلى الله عليه وسلم - فهو « فريد الحسن » و « بدر الكمال » وهو السراج الهادي الذي انتقل بالحق وانكسر بالخلق واعتصم بالبر والتزم به ، وهو « للبدل مستم » و « بالبشر مستم » وهو معجده في القرآن الكريم . وكان جماله عنوان سيرته ولو غدا البحر حبراً والشجر ورقاً ما حصرت أوصافه ، ولولا أن يكون في الوصف خروج قليل إن ذكره « محيي بالي الرسم » . وتكلم على أوصافه الأخرى وتصفه بالكرم الذي يري بكرم الآخرين ، فالفيث يهي آونة ، ولكن فيث غداه - عليه السلام - لا يزال يهي وسيظل كذلك إلى يوم الدين . انه كريم يعطي السائلين ، وهو الحبيب « غوث الوري » و « كعبة الآمال » وكل معنى يدع دون ربه . وانتقل إلى الكلام على تجريدتها الحج للرسول - عليه السلام - وإن قدمها لا تزال تسمى له بالصفاء ، وقد دعاها بحر الوفاء بالوفاء إلى نيل الوفاء وبلغت ماتروم منهم وهو القرب والحب والشوق . ثم تقول : « صحح عزيمة صدق في محبة » و « لل مرادك وابلغ كل ما تريد » و « أفرد بالمدح » مستنيا الذين حازوا علا الفضل « من فازوا يستقيم » فهم الباذلون النفس بذل المال والحافظون الجار ، وهم « سود الوقائع » و « حمر البيض » في الحرب و « خضر المربع » في السلم و « بيض الفعل والشيم » وهم في غبار المعركة كالبسودور في « حنيس الظلم » وقد هزموا الجميع وما فتلت عزائمهم ، وهم التجوم وقد

فأزوا بالسبق يتقدمهم خليفة رسول الله ذو القدم ولا عيب فيهم سوى  
انهم لا يضام لهم ولا يخلون بشيء في العدم ، وقد سادوا المعالي بخير  
الخلق في الأزل وحازوا الأماني بأدنى الناس للنعم .

ونتقل في القسم السابع الى المناجاة وتعلقها بطله الحبيب الذي  
تلوذ به إن خافت ذنبها وكيف لن ينجيها « من التهم » وهو الذي يكتفها  
قول الذي تروم حينما تطمح الى « شيء من الكرم » وما هبت الريح إلا رأته  
يرق وناء لها فيه ويبل عطاء من دية النعم .

وتعتم قصيدتها مخاطبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقولها :  
« يا أكرم الرسل سؤلي فيك غير خسر ، وأنت أكرم مدعو الى الكرم ،  
وحسي بحبك ان المرء يحشر مع أحبابه وذلك فوز عظيم وهناء » غير  
منحصر .

إن القصيدة تجري مجرى البيديات الأخرى من حيث عناصرها  
وهي عظيمة بعمانيها ولغزيرة بأوصافها ، غير أن الشاعرة فيها ضعيفة والتكلف  
بأثر في كثير من آياتها وذلك بسبب التزام الشاعرة بنقود البديع التي  
أصبحت تبدأ التزم به البيديون . ويبدو في قوافي القصيدة القلق والتكرار ،  
وما ذلك إلا لأن الشاعرة تريد أن تصل الى هدفها وهو الاستشهاد على  
ابن البديعي ، وهذا من الصنعة التي تخرج الشعر عن سبيله وتحيله قلما فيه  
من التكلف الشيء الكثير . ولكن قداسة الموضوع وتبل الهدف وشرف  
الغاية تشفع لمناشئة الباعونية التي كانت صورة سادقة للثؤنات في عهدها  
ومثالا للحياة الأدبية في القرن العاشر للهجرة . وقد وصفها ابن المعتاد  
الحنبلي بقوله : « الشيخة الصالحة الأدبية العاملة العاملة أم عبدالوهاب  
الدمشقية أحد أفراد الدهور وتوارد الزمان فضلا وأدباً وديانة وصيانة  
تستكت على يد السيد الجليل اسماعيل الخوارزمي ثم على خليفة المعري

يعني الأرموي • ثم حلت الى القاهرة ، ونالت من العلوم حظاً وافراً ، واجيزت بالافتساء والتفريس (٣٣٢) .

وقصيدة عائشة الباعونية شعرات من التصوف وليس فيها من أوصاف حسية وحديث عن الحب واللوعة والشوق ما يعرفه الشعراء الحسيون ، وإنما هو الشوق الى الله والقيام بحب نبيه المصطفى عليه السلام • وهي في ذلك تنحو منحى الشعراء المتصوفين كابن الفارض واليوسفي وغيرهما من اعلام العشق الالهي • تقول من كلام لها : « وكان ما أنعم الله به عليّ أنتي بعنده لم أزل اقلب في أطوار الایجاد في رفاحية لطائف البر الجراد ، الى أن خرجت الى هذا العالم المشحون بظواهر تجلياته الطائغ بمجائب قدرته وبدائع إرادته المشوب موارده بالاقدار والاکتدار ، الموضوع بكمال القدرة والحكمة للابتلاء والاختيار ، دار مسر لا بقاؤها الى دار القرار • فرباني اللطف الرباني في مشعد النعمة والسلامة ، وغضابي بلبان مداد التوفيق اسرك سبيل الاستقامة ، وفي بلوغ درجة التمييز أهلتي الحق لقراءة كتابه العزيز ومن عليّ يحفظه على التمام ولي من العمر حيثئذ ثمانية أعوام ، ثم لم أزل في كثف ملاحظات اللطيف حتى بلغت درجة التكليف» (٣٣٣) • وهذا كلام صوفية تنوق الى خالق الكون لا الى محبوب هجرها أو حبيب خانها ، وقصيدتها « الفتح المبين في مدح الأمين » تعبر عن هذا الوجد وتصوّر النزعة الصوفية أروع تصوير •

وليس الكلام هنا على النزعة الصوفية عند عائشة الباعونية وإنما الحديث عن قصيدتها وما فيها من فنون بلاغية جعلتها من أشهر البديعيات .

(٣٣١) شلرات الذهب ج ٨ ص ١١١ .

(٣٣٢) شلرات الذهب ج ٨ ص ١١٢ .

ولمن شرحها الذي يمدّ من جملة كتب البديع . والتصيدة كما ذكرناها في شرحها ، هي :

في حسن مطلع أقناري بذوي سلم أصبحت في زمرة العشاق كالعلم<sup>(٣٦)</sup>  
أقول والسمع جارم جارح مفلسي والجار جار بعذل فيه منهم<sup>(٣٧)</sup>  
بالهوى في الهوى رُوح سمعت بها ولم أجد رُوح بشرى منهم بهم<sup>(٣٨)</sup>  
ولمي بكائي لعالمٍ حالٍ من عدي لفتت صبراً فما أجدني لنع دمي<sup>(٣٩)</sup>  
يا سعد إن أبصرت عينك كاطمة وجئت منكأ فسل عن أهلها القدم<sup>(٤٠)</sup>  
فتم أقنار تيم طالعين على طويبع ، حيتهم وانزل بحيتم<sup>(٤١)</sup>

(٣٦) فيه براعة المطلع وهو أن تكون المعاني واضحة في استهلالها وأن يكون المطلع يدل على معنى التصيدة ويناسب القرض ، وهو حسن الابتداء .

(٣٧) فيه جناس مدبل ( جار - جارح ) وهو « أن يجيء بكلمتين متجانستين اللفظ متفتحتي الحركات غير أنهما مختلفان بحروف واحد » - الشرح ص ٣١٢ - ، وفيه جناس تام ( الجار - جارح ) وهو « أن يجيء المنكلم بكلمتين متفتحتين لفظاً مختلفتين معنى لا تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركاتهما » - الشرح ص ٣١٢ - .

(٣٨) فيه جناس محرف ( روح - رُوح ) وهو « ما اتفق ركناه فسي تصداف الحروف وتركيبهما سواء كان من اسمين أو فعلين أو من اسم ونصل أو من غير ذلك فإن قصد اختلاف الحركات » - الشرح ص ٣١٢ - .

(٣٩) فيه جناس مطلق ( من عدي - منع دمي ) وهو « أن يكون كل مسن الركنين مركباً من كلمتين » - الشرح ص ٣١٤ - .

(٤٠) فيه جناس مركب ( سلعا - سل عن ) وهو أن يكون أحد الركنين مركباً من كلمتين والآخر كلمة واحدة .

(٤١) فيه جناس مصحف ( تم - تم ) وهو أن تكون الكلمتان متشابهتين في الخط مختلفتين في التنقيط . وفيه جناس مطلق ( طالعين - طويبع ) وهو ما يوهم أحد ركنيه أن أصلهما واحد ، وليس الأمر كذلك .

أحبة لم يزالوا منتهي أملي وإن همم بالثنائي أوجبوا الي<sup>(11)</sup>

علكوا كمالاً جلوا حسناً سبوا أملاً

زادوا دلالةً فني صيري قياً مقسبي<sup>(12)</sup>

أحسنت ظني وإن هم حاولوا تلفي وثم سرّ وضئي فيه من شبي<sup>(13)</sup>

اليحمدي وأبو تمام كلّ شجر عاني القرام إلى قلبي لأجلهم<sup>(14)</sup>

قبل أسلمهم قلت إن هبت صيا سحراً وأشرق البحر تما سلخ شهرهم<sup>(15)</sup>

ما لي يرجوع عن الأشجان في والهي بل عن سلوي رجوعي صار من لزومي<sup>(16)</sup>

(11) فيه جناس مخالف (الملي - المي) وهو « أن يشتغل كل واحد من الركنين على حروف الآخر دون ترتيبهما » - الشرح ص 215 .

(12) فيه جناس لاحق ( علوا - جلوا ) وهو ما أبدل من أحد ركنيه حرف من غير مطرجه . والمعنى في الشاعر من مخرج والجيم من مخرج غيره .

(13) فيه جناس لفظي ( ظني - ضئي ) وهو « ما تعالّل ركنه وتجانسا خطاً لكن خالف أحدهما الآخر بإبدال حرف فيه مناسبة لفظية » - خزنة الأدب ص 28 - .

(14) فيه جناس معنوي ( اليحمدي - أبو تمام ) نالت الشاعرة : « فسلان اليحمدي هو منشئ العروشي اسمه الخليل ، وأبو تمام الشاعر اسمه حبيب . وقد ظهر في هذا البيت جناسان مضمران وهما ظليل وخاليل ، وحبيب وحبيب » - الشرح ص 217 - . وهذا الجناس نوصان تجنيس اسماء وتجنيس اشارة ( ينظر خزنة الأدب ص 4 ) .

(15) فيه مناقضة ، فقد علق الشاعرة الشرط على الممكن والمستحيل ومراد المتكلم المستحيل ، لان المناقضة هي تعليق الشرط على نقيضين ممكن ومستحيل ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن ليؤثر التعليق صدم وتوقع المتروك فكان المتكلم ناقض نفسه في الظاهر الا شرط وتوقع أسمر بوقع نقيضين . ( خزنة ص 114 ) .

(16) فيه رجوع وهو العود على الكلام السابق بالنقض للكنة . ( الايضاح ص 202 ، التلخيص ص 209 ، شروح التلخيص ج 4 ص 122 ) .

(17) كذا في الاصل ، و ( رجوت ) المرب إلى الوزن .

رجوتهم<sup>(٤٧)</sup> أن يعطوا فضلا وقد عطوا

لكن على تلفير من فسر عطتهم<sup>(٤٨)</sup>

- هان السهاد غراماً فيه ألقني شوقي وعن الكرى وجداً فلم أم<sup>(٤٩)</sup>  
وعاذلر رام سلواني فقلت له من الحال وجود الصيدني الأجر<sup>(٥٠)</sup>  
عذتي وادعيت التصح فيه فلا برحت تسمى بلا حد إلى النعم<sup>(٥١)</sup>  
كيف السلو وفار الحب موقدة وسط العشا وعيون الصبح كالديم<sup>(٥٢)</sup>  
ولي جنون بغير الهد ما أكتحت ولي رسوم بغير السقم لم تسم<sup>(٥٣)</sup>  
تهابني الأسد في آجامها وطبا تلك الظيا قد أذلتني لعزم<sup>(٥٤)</sup>

(٤٧) فيه استعراذ ، والاستعراذ قمان : قم بتقديم الاستعراذ فيه تقريراً  
لما أخير به التكلم وتوكيداً له كقول بعضهم :

وأخوان أخذتهم دروعاً فكانوها ولكن لأعادي  
وقم لا يتقدمه تقرير وتوكيد كقول زهير بن أبي سلمى :

أخوتة لأهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال ناله

والاستعراذ في بيت الشاعرة من القسم الأول - الشرح ص ٣١٩ .

(٤٨) فيه مطابقة ( السهاد - الكرى ) والمطابقة أن يجمع بين صدين مختلفين .

(٤٩) فيه تمثيل أخرج مخرج المثل وهو قولها : « ومن الحال وجود الصيد  
في الاسم » .

(٥٠) فيه إيهام وهو أن يقول المتكلم كلاماً يحتمل معنيين متضادين لا يتميز  
أحدهما عن الآخر . ولا يفهم من بيت الشاعرة ادعاء هو للعائل أم دعاء  
عليه لأنه يصلح للأمرين .

(٥١) فيه استعارة من « نار الحب » .

(٥٢) فيه أرواف ، والأرواف من الكناية وهو « أن يريد المتكلم معنى  
تلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له بل يعبر عنه بلفظ هو ردفه وتابعه عن  
الشرح ص ٣٢٢ . ومراد الشاعرة أنها من العشي لأنام ، وأنها حزينة  
أضناها السقم .

(٥٣) فيه اقتنان ( النسب والحماة ) والاقتنان هو « أن يأتي الشاعر  
بفتين متضادين من الشعر مثل التعيب والحماة والمدح والهجاء » .

- الشرح ص ٣٢٢ - .



- أزرق وأبيض الضحى والبدوحين بدأوا وأومض البرق من تلقاء يتسم (٤٤)
- يا نفس ماذا الولى جدى فإن يصلوا فالقصده أو الأغموتى موت محتشم (٤٥)
- لذكرهم صار سمع العذل يطربني من الواحسي وطحيتي لشكرهم (٤٦)
- بلغت في العشق مرمى ليس يتركه إلا طلع صبا مثلي الى العدم (٤٧)
- كنت حالي وبأسى كتبه شجني يحكي الفاضحين: الدمع والسقم (٤٨)
- قالوا ارهوي قلت قلبى ما يطاوهني قالوا انشي قلت عهدي غير متضم (٤٩)

(٥٤) فيه مراعاة النظير وهو الجمع بين أمر وما يناسبه مع الفاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة ( خزنة الادب ص ١٢١ ) وقد جمعت الشامرة بين الشمس والبدور وهما غير متضادين .

(٥٥) فيه عتاب المرء نفسه : وقد حثت الشامرة على نفسها قائلة : « يا نفس ماذا الولى ؟ » ، قال الحموي من هذا الفن : « لم أجد العنب مربيا الا على من أدخله في البديع وهذه من انواعه » ( خزنة ص ١٢٤ ) .

(٥٦) فيه مغابرة وهي أن يتلطف المرء بتوصله الى ما كان ذمه هو أو غيره . ومن المعروف أن الواحسي مذمومون فنلطفت الشامرة في مدحهم وجعلتهم سببا لعزبها وأوجبت شكرهم .

(٥٧) فيه سلامة الاختراع ، قالت الشامرة : « واتى فيما اعلم لم اسبق الى هذا الفن » - الشرح ص ٢٢٦ - .

(٥٨) فيه توشيح ( الدمع والسقم ) وهو « أن يأتي المتكلم أو الشاعر باسمه متى في حشو العجز . ثم يأتي بعده بكلمتين مفردتين هما عين ذلك المنسئ تكون الاخرى منهما غافية بيته ، او سجمة كلامه كأنه تفسر لما تشاء » - الشرح ص ٢٢٦ - .

(٥٩) فيه مراجعة (ذالوا - قلت ) وهي أن يحكي المتكلم مراجعة في القول ومحاوراة بيته وبين غيره بأوجز عبارة - الشرح ص ٢٢٧ - .

|                                  |                                      |
|----------------------------------|--------------------------------------|
| قالوا سلوت فقلت الصبر في كلفي    | قالوا يثبت فقلت البره في سفي (٦٠)    |
| يا عاذلي أنت معذور فليست تسرى    | إذا بدا الصبح ماغضى لغشى الظلم (٦١)  |
| أبرمت عذلاً ويخشى أن تجر به      | لي السلو وما السلوان من شيمي (٦٢)    |
| أجتر الأمور على أذلالها فسي      | تري بعينيك وجه النصح لي كلفي (٦٣)    |
| عن ذم مثلك بيانني أزمه           | إذا أنت عندي ممدود من التعم (٦٤)     |
| الجهل أحوالك أم في الطرف منك عسى | أم غاب رشداً أم ضراباً من القمم (٦٥) |
| أثبت قسك في عذلي ومعذرة          | متي اليك فسعي عنك في صمم (٦٦)        |

(٦٠) فيه القول بالوجوب وهو ضربان : الأول أن يقع حقة في كلام مدوح شيئاً يعني به نفسه فيثبت تلك الصفة لغيره من غير تصريح له بشيئها له ولا ينفيها عنه كقوله تعالى : « لنرجعنا إلى المدينة ليخرجن الأزمنة الأولى » ، وقد العزة والرسولة وللمؤمنين « فانهم كانوا بالأحر من فريقهم وبالأهل من فريق المؤمنين فانبت الله تعالى صفة العزة له والرسولة وللمؤمنين من غير تعرض للنبوت الإخراج بصفة العزة ولا تنفيها . والثاني حمل كلام المتكلم مع تقريره على خلاف مراده بما يحتمله بالترك متعلقه كقوله :

قلت لقلت إلا أبيت مسرراً قال لقلت كاهلي بأبدي

- (٦١) فيه تهكم بلفظ الوعد مكان ( الوعد ) .
- (٦٢) فيه مواربة وهي أن يقول المتكلم ما يتكر عليه بسببه وتوجه إليه المؤاخدة فلذا حصل الإنكار عليه استحضار بعذله وجها من الوجوه التي يمكن التخلص بها من تلك المؤاخدة أما بتحريف كلمة أو تصحيفها أو بزيادة أو بنقص . وموضع المواربة في « ويخشى » قال المراد بالباطل الماء التناة المرفوعة وغنمها والسجن المهبط ، فانت الشامرة بإلقاء المنذرة التحية وضماها والسجن المعجمة وتخلصت من المؤاخدة .
- (٦٣) فيه ضرب المثل وقد وقع إرساله في صدر البيت : « اجر الأمور على الأذلالها » .
- (٦٤) فيه نزاعة وهي أن ينزه المتكلم كلامه من الفحش في الهجاء .
- (٦٥) فيه تجاهل العارف ، وهو سؤال المتكلم عما يعلم سؤال ما لا يعلم .
- (٦٦) فيه الهزل يراد به التجد .

|                               |  |
|-------------------------------|--|
| اعفل وعنف وقل ما استطعت لآلزي | إلا كما شاء وجدني حافظاً ذمياً <sup>(٦٦)</sup> |
| تومني الصبرَ عن لي حلا بهم    | جسج ما مرء من حالات عشقم <sup>(٦٧)</sup>       |
| لم يا غول وشاهد حسنهم فاذا    | شاهدته واستطعت اللوم بعدُ تهر <sup>(٦٨)</sup>  |
| ابن أسل عرفن فرج لنا بيا      | من الملام وحشيه بوصفهم <sup>(٦٩)</sup>         |
| وامزج ملامك بالذكرى فان بها   | تغلا لعليل الشوق من ألم <sup>(٧٠)</sup>        |
| كرر أعدا طرب ابسطن نحن أجب    | قل سل جند لزم برء من دم <sup>(٧١)</sup>        |
| أعد حديث أحيائي فهم عرب       | قد أعرب اللمع فيهم كل منجم <sup>(٧٢)</sup>     |

(٦٧) فيه بسط ، وهو بسط الكلام بشرط زيادة في الغادة .

(٦٨) فيه تورية وهي « ان يذكر المتكلم لفظاً مغرداً له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة ، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول جملة أنه يريد القريب وليس كذلك » (الخرابة ص ٢٢٩) . والتورية هي « ما مرء إذ يحصل المرادة بتدليل حلا بهم » والمعنى أيضا .

(٦٩) فيه تصدير : وهو رد المعجز على المصدر ( لم يلعول - بعد لم ) .

(٧٠) فيه ما لا يستحيل بالانعكاس ، والشطر الأول من البيت يقرأ منكوسا .

(٧١) فيه تالف اللفظ والمعنى وهو « ان تكون الفاظ المعاني المطلوبة ليس فيها لفظة غير لاقية بذلك المعنى » - الشرح ص ٢٢٦ - .

(٧٢) فيه تعريف ، وهو ان يأتي المتكلم بمعان شتى من المدح أو الفسول أو غير ذلك من الأعراس من كل فن في سجع متفصلة عن أختها مع تساوي الجميل في الوزن . - الشرح ص ٢٢٧ - . وهذا اللمع ظاهر في كل لفظة من الفاظ البيت .

(٧٣) فيه اتماع وهو « ان يدمج المتكلم لخصاله في جملة معني من المعاني فد نعاه ليوهم السامع أنه لم يقصده ، وإنما عرض في كلامه لتنظيم معناه الذي قصده - الشرح ص ٢٢٨ - . وقد أدمجيت السباعرة شرح الحال في هواهم في التعريف بهم .

- واستوطنوا السرّ مني فهو منزلهم  
 ولا أفوه<sup>(٧٤)</sup> به يوماً لغيرهم<sup>(٧٥)</sup>  
 بدا الصدود يعدي عن جوارهم  
 فعاد وصل بقربي من معلوم<sup>(٧٦)</sup>  
 أحبّة ما لقلبي غيرهم أربّ<sup>(٧٧)</sup>  
 وجبتهم لمزلّ يربو من القدم<sup>(٧٨)</sup>  
 لزمت صدق ولاهم والتزمت به  
 فلتأسلوه إلا عن مثوّمهم<sup>(٧٩)</sup>  
 حلّوا بقلبي وحلّى جود منتهم  
 جيدي وشكر الأيادي مسمي ونسي<sup>(٨٠)</sup>

(٧٤) في الأصل ( ولم أفوه ) ولعله ( لم ) استفهام ، وقد ذكرت الشاعرة في الشرح ( لا أفوه ) .

(٧٥) فيه استخدام وهو لفظ مشترك بين معنيين ويراد بذلك اللفظ أحد المعنيين ثم يعاد عليه ضمير ليراد به المعنى الآخر أو يعاد عليه ضميران ، ويراد بأحدهما أحد المعنيين وبالأخر المعنى الآخر . واللفظة « السر » في البيت محتلة القلب والكلام المستودع فلما قالت « فهو منزلهم » استخدمت أحد معني اللفظ وهو دلالة القرينة على القلب ولما قالت « ولا أفوه » استخدمت المعنى الآخر وهو دلالة القرينة على الكلام المستودع .

(٧٦) فيه مقابلة ( بدأ - عاد ) - ( الصدود - وصل ) - ( يعدي - قربي ) - ( من - ) - ( جوارهم - معلوم ) .

(٧٧) فيه تألف اللفظ والوزن وهو أن تكون الأفعال تامة ولم يضطر الشاعر في الوزن إلى نقصها أو زيادتها - الشرح ص ٢٤٤ .

(٧٨) فيه تألف المعنى والوزن وهو « أن تأتي المعاني في الشعر صحيحة لا يضطر الشاعر في الوزن إلى قلبها من وجهها » . ( خزائن الأدب ص ٤٢٨ ) .

(٧٩) فيه ابتداء وهو أن يأتي الشاعر في البيت الواحد من الشعر أو القرينة الواحدة من الشعر عدة خبروب من البديع - الشرح ص ٢٤٦ . ، وقد جمعت الشاعرة بين الجناس المطلق ( حلوا - حلّى ) - ( الجود - العبد ) - ( المسمع - القسم ) ، والتورية في ( وحلى ) وحسن البيان والسهولة والانسجام وتألف اللفظ والوزن وتألف الوزن والمعنى والمناسبة والبسط

|                               |  |
|-------------------------------|--|
| ما بهجة النفس في الآفاق مشرقة | يوماً بأبهج من لألاءِ حسنهم <sup>(٨٠)</sup>  |
| لا مكثنتني المعالي من سيادتها | إن لم أكن لهم من جملة الخدم <sup>(٨١)</sup>  |
| بفضلهم غمروني من فواضهم       | بما عجزت به عن حقِّ شكرهم <sup>(٨٢)</sup>    |
| والبسوني مثلاً آمنت نارهم     | من طور حضرتهم نوراً جلا ظلمي <sup>(٨٣)</sup> |
| والبسوني ثياب الوصل مئكتة     | بقرهم وآقروا في القرى عظمي <sup>(٨٤)</sup>   |
| وخولوني مثلثاً فيه فزت بهم    | فوز العاقبة بواني فيض فضلهم <sup>(٨٥)</sup>  |
| لهم شاكل بالأحسان قد شملت     | وعاشت كرم الأخلاق والشيم <sup>(٨٦)</sup>     |

(٨٠) فيه تفریع وهو « أن يصغر الشاعر أو المتكلم كلامه باسم منفي بـ « ما » خاصة ثم يصف ذلك الاسم المنفي بأحسن أوصافه المناسبة لل مقام ، أما في الحسن وإنما في التبع ، ثم يجعله أصلاً يفرع منه جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو تسيب أو غير ذلك . ثم يغير عن ذلك الاسم بـ « أفعل » التفضيل ثم يدخل « من » على القصور بالدح أو الذم أو تحريماً ويلحق المجرور بـ « أفعل » التفضيل فتحصل المساواة بين الاسم المجرور بـ « من » وبين الاسم الداخِل عليه « ما » النافية لأن حرف النفي قد نفى الإفضالية فتبقى المساواة » . ( خزائن الأدب ص ٤١٤ ) .

(٨١) فيه القسم وجوابه وهو « أن يريد الشاعر الحلف على شيء فيأتي في الحلف بما يكون مدحاً له أو بما يكسوه فخراً ، أو يكون هجاء لغيره أو هجاءً أو جارياً مجرى المنزول والتفرق » - الشرح ص ٢٤٨ .

(٨٢) فيه حسن البيان وهو « الإبانة عما في النفس بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس » ( خزائن ص ٤٥٦ ) .

(٨٣) فيه توضيح وهو أن يكون أول الكلام دالاً عليه .

(٨٤) فيه مجاز ( ثياب الوصل ) ، والمجاز هو التعبير عن المعنى بغير لفظه الموضوع له .

(٨٥) فيه استطراد ، وهو الخروج من عرض الشيء إلى آخره على شرط أن يرجع إلى الكلام الأول .

(٨٦) فيه التهذيب والتأديب ، وهو وصف بعم كل كلام متفح محرر .

ولو عوائلد<sup>(٨٨)</sup> منهم بالجيبيل لها  
 وفا الوفا<sup>(٨٩)</sup> راق عيش المستهام بهم  
 حثثوا بقلبي فيا قلبي تهن<sup>(٩٠)</sup> بهم  
 قد طال شوقي وقلبي منزل<sup>(٩١)</sup> لهم  
 فليت شعري هل حالي ينتظم  
 قبل القوات وهل شلي بيلثم<sup>(٩٢)</sup>

(٨٧) فيه السجام ، وهو ما خلا من التقييد وكان كالسجام الماء في الحدارة .

(٨٨) في الأصل أو قالوا فا .

(٨٩) فيه تشريع ، والتشريع أن يأتي الشاعر ببيته على وزنين من أوزان العروض وثانيتين فإذا أسقط من أجزاء البيت جزء أو جزآن سلك ذلك البيت من وزن آخر غير الأول - الشرح ص ٢٦٠ ، خزانة الأدب ص ١١٩ - . وقد أخرجت الشاعرة من البيت قافية أخرى من منبوذ الرجز وهو ( وفا الوفا فلا جفا ) وصار باقي البيت من غير الجزئين الأولين ( راق عيش المستهام بهم بعدما جادوا بوصلهم ) . وهذا البيت من العروض الثالثة المطروقة المخبونة من القديم .

(٩٠) فيه التفات ، وهو الإنصاف من أسلوب إلى آخر ، وبينت الشاعرة فيه انصاف المتكلم من الأخبار إلى المخاطبة .

(٩١) فيه احتراس ، والاحتراس هو « أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل فيبطن له قياتي بما يخلصه من ذلك » ( خزانة ص ١٥٨ ) . قالت الشاعرة : « وقولي في بيثي المتقدم (و قلبي منزل لهم ) احتراس من توهم خلو القلب منهم إذا فهم شدة شوقي إلى ديارهم فلما قلت : ( وقلبي منزل لهم ) أزلت التوهم وأعطيت أن ذلك الشوق شوق البصر إلى رؤية معاهدهم . وأما البصرة فهي معمورة بهم لا يحتاجون عنها طرفة عين » . الشرح ص ٢٦٥ - .

(٩٢) فيه تألف اللفظ باللفظ ( منتظم - ملثم ) وهو « أن يكون في الكلام معنى يصح معه هذا النوع ويأخذ عدة معان فيختار منها لفظاً بينهما وبين بعض الكلام التلاف » . ( خزانة الأدب ص ٤٢٨ ) .

|  |  |
|--|--|
| تَعَمَّ تَعَمَّ حَدَّثَتِي وَهِيَ صَادِقَةٌ            | تَنُونَ سِرْمِي حَدِيثًا لَمِيرٍ مَشْتَهَرٍ (٩٣)       |
| عَنْ جُودِهِمْ عَنِ قَدَاهِمِ عَنِ فَوَاضِلِهِمْ       | عَنْ مَشْتَهَرٍ عَنِ وَفَاهِمٍ نَيْلٍ بَرَهَمٍ (٩٤)    |
| سَادُوا لَجُودِهِمْ جَمًّا وَبِذَاهِمِ                 | حَسَمٌ وَمُورِدِهِمْ لُحْمٌ لِكُلِّ ظَلَمِي (٩٥)       |
| يَأْسَعِدُونَ إِنْ سَاعَدُوا لِلسَّعَادِ وَاجْتَمَعَتْ | لِكِ الْأَمَانِي وَجِثَتْ الْحَيُّ عَمَّنْ أُنْمِ (٩٦) |
| عَرَجٌ عَلَى قَاعَةِ الْوَعَاءِ مَنَعَطًا              | عَلَى الْعَفِيقِ عَلَى الْجِرْعَاءِ مِنْ أَضْمِ (٩٧)   |
| وَاقْتَصَدَ مَحْصَلَتِي بِبَابِ السَّلَامِ وَقَفَ      | لَدَى الْمَقَامِ وَتَيْكَلُ مَوْطِيءُ الْقَدَمِ (٩٨)   |

(٩٣) فيه تكرار ( نعم نعم ) ، والتكرار إعادة اللفظ لتقرير المعنى .

(٩٤) فيه مناسبة وهي مناسبة في المعاني ومناسبة في الألفاظ ، والمعنوية هي أن يريد التكلم معنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ كقول الشاعر :  
والمناسبة اللفظية هي الإتيان بكلمات متوزات ، ومن ذلك قوله - عليه السلام - : « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة » قال : « لامة » ولم يقل « لامة » وهي القياس لكان المناسبة اللفظية التامة وغير التامة لأنها في الزنة دون التقفية .

(٩٥) فيه حسن النسق وهو « أن يأتي التكلم بالكلمات من النثر والأبيات من الشعر متواليات متلاحقات تلاهياً سليماً مستحسناً مستهيجاً ، وتكون جميلها ومفرداتها منسقة متوالية أنا أفرد منها البيت قام بنفسه واستقل معناه بلفظه » ( خزائن ص ١٥ ) .

(٩٦) فيه إيجاز ، وتقدير كلام الشاعر : « يا سعيد إن ساعدت الأعداء بالإسعاد واجتمعت لك جميع الأماني وجئت ذلك الحي » - فحدثت بعض هذه الألفاظ دلالة الباني عليها .

(٩٧) فيه تنسيم ، وهو اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود التكلم فيتمه . والتنسيم في قول الشاعر « منعطقاً » فان البيت صحيح المعنى غير هذه اللفظة ولكن يمجسها فيه تنسيم معنوي . - الشرح ص ٢٧٢ - .

(٩٨) وفيه تجريد ، وهو « أن ينتزع من أمر ذي صفة إلى آخر مثله » ( الأيضاح ص ٢٦٢ ، التلخيص ص ٣٦٨ ، شمعون التلخيص ج ٤ ص ٢٤٨ ) . وقد جردت الشاعر من المعنى مقاماً ، ومن المقام موطيء القدم .

|   |   |
|---|---|
| فلي فؤاد بذاك الحي مرتين <sup>(١٩١)</sup> | سلا السلو وعاني وجده بهم <sup>(١٩١)</sup>     |
| فأشده الله والأبوار مشرفة                 | تعلمو العالم من سكانها القدم <sup>(١٩٢)</sup> |
| أثر الكريم وهذا طور حضرتهم                | أقبل ولا تخفر الواشين بالكلم <sup>(١٩٣)</sup> |
| وشاهد الحسن والأحسان جزؤهم                | ولا تدع منك جزء غير مقسم <sup>(١٩٤)</sup>     |
| ولا يصدك عن بذل الوجوه لهم                | نصح الواحي وما صفاوا بنطقهم <sup>(١٩٥)</sup>  |
| هم الخاليس ما ذاقوا العرام ولا            | أمتوا حسي خير خلق الله كلهم <sup>(١٩٦)</sup>  |

(١٩١) فيه تمكن ( بهم ) ، وهو « أن يمسد النار لسجده فقرة أو النظم لغافية بيته تهيئدا تأتي به القافية ممكنة في مكانها مستفوية في قراها غير لفة ولا نافية » ( خزنة ص ٢٣٩ ) .

(١٩٠) فيه حذف ، وهو هنا حذف حرف من حروف الهجاء أو جميع الحروف المعجمة أو جميع الحروف المهملة . وقد حذف الشاعرة في هذا البيت الأحرف التي تنقط من تحت .

(١٠١) فيه اقتباس وقد اقتبست الشاعرة « أقبيل ولا تخلف » من سورة القصص ، الآية ٢١ .

(١٠٢) فيه تواتر ، والتواتر « أن يأتي الشاعر بمعنى مستغرب قللة استعماله ، لأنه لم يسمع بمثله . وهذا مما اختاره تدامة دون غيره ، ولكن نال به علماء البديع اختاروا غير رأي تدامة في هذا النوع فاتهم قالوا : لا يكون المعنى غريبا إلا إذا لم يسمع بمثله » . ( خزنة الأدب ص ١٢٢٢ ) .

(١٠٣) فيه كناية ، والكتابة البات معنى من المعاني بغير اللفظ الموضوع له في اللفظ ولكن بجريء إلى معنى هو ردفه في الوجود فيومي إليه ويجعله دليلا عليه ، وقد كتبت الشاعرة من أفرار الواحي بزعمهم النصح بالصياغة .

(١٠٤) فيه مخلص أي حسن التخلص ، وهو الانتقال من المعنى الأول إلى الثاني انتقالا فيه ارتباط وخروج حسن .



- محمد المصطفى بن الذبيح أبو ال زكهرء جدّ أميرى تبة الكرم (١٠٥)  
 الوافر العظم ابن الوافر العظم اب ن الوافر العظم ابن الوافر العظم (١٠٦)  
 المرتضى المجتبى المخصوص أحد من اختاره الله قبل اللوح والقلم (١٠٧)  
 خير النبيين والبرهان متضح عظاماً ونقلاً فلم ترتب ولم تصم (١٠٨)  
 أسماهم نسباً ، أذكاهم حسباً أعلامهم قروباً من بارىء النسب (١٠٩)  
 طه المتادى بالآساب العلى شرفاً وغيره بالأماسى ضمن كتبهم (١١٠)

(١٠٥) فيه أفراد ، وهو الأتيان باسم المدحوق ولقبه وكنتبه وصلبته اللائقة له وأسم من أمكن من أبيه وجهه ليرداد المدحوق تعريفاً ؛ - الشرح ص ٢٨٢ - وذلك واضح في بيت الشاعرة .

(١٠٦) فيه تكرار ، وهذا البيت مرتبط بالسابق وقد جاءت به الشاعرة تقريراً له ؛ بما يجيب من التسوية بذكر آياله من النبيين .

(١٠٧) فيه تكميل ، والتكميل « أن يأتي المتكلم أو الشاعر ببعض من مدح أو غيره من فنون الكلم والمراضه ثم يرى مدحه بالانتصار على ذلك المتكلم فقط غير كامل كمن أراد مدح إنسان بشجاعة مثلاً ثم رأى أن الانتصار عليها دون مدحه بالكرم غير كامل أو بالياس دون الحلم » - الشرح ص ٢٨٢ - .

(١٠٨) فيه ترتيب ، والترتيب « أن يجتج الشاعر الى أوصاف شتى في موضوع واحد أو في بيت وما بعده على الترتيب ؛ ويكون ترتيبها في الخلقة الطبيعية ولا يدخل النظم فيها وصفاً زائداً عما يوجد في الذهن أو في العيان » - ( خزنة ص ٣٦٧ ) - والترتيب في البيت هو في ذكر العقل والنقل ولا ثالث لهما في الحجة .

(١٠٩) فيه تسميط وهو « أن يجعل الشاعر كل بيت يسمطه أربعة أسماء ؛ ثلاثة منها على سجع واحد بخلاف نافية البيت » - ( خزنة ص ٤٢١ ) - .  
 والتسميط في بيت الشاعرة ( أسماهم نسباً ) - ( أذكاهم حسباً ) - ( أعلامهم قروباً ) - ( أعلامهم قروباً ) .

(١١٠) فيه سهولة حيث لا تكلف ولا تعقيد ولا تعسف في السبك .

- عزّت جلالته ، جلّت مكانته عمت هدايته للخلق بالنعم (١١١)
- اعظم به من لي مثل كل عزّت لي مدحه محكم الآيات من حكم (١١٢)
- يثبني فضلكا عن عزّ مرتبة من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم (١١٣)
- تبارك الله من أوحى اليه بما أوحى وخصصك بالتمنى العظم (١١٤)
- برتبة القاب بالأدنى بطلوته برؤية الله بالإناسي بالكلم (١١٥)
- دنا وقال فلا تأنر يشاركه فيما حواه من التخصيص والكرم (١١٦)
- أنى وكان ليأ عند خالقه قدام آدم طيشاً بعد لم يقم (١١٧)

(١١١) فيه جمالية ، وقد تماثلت اللفاظ البيت في الرتبة دون التقفية كما في قولها : ( عزّت جلالته ) - ( جلّت مكانته ) - ( عمت هدايته ) .

(١١٢) فيه اعتراض ولو سقطت كلمة « مرسل » لبقى البيت على ترتيبه ، ولكن مجيئها فيه لإفادة التوكيد وتقرير المعنى .

(١١٣) فيه إبداع ، وقد أودعت الشاعر الشطرة التالية من ميمية اليومي ييمنا بإلقاء آثاره - الشرح من ٣٩ - .

(١١٤) فيه إشارة باللفظ القابل إلى المعنى الكثير ، أو هو اللمحة الدالة .

(١١٥) فيه تفسير ، وهو « أن يأتي المتكلم أو الشاعر في بيت بمعنى لا يستل الفهم بمعرفة فحواه دون تفسيره أما في البيت الآخر أو في بقية البيت أن كان الكلام يحتاج إلى تفسير في أوله . والتفسير يأتي بعد الشرط وما هو في معناه والجار والمجرور وبعد المتبنا الذي يكون تفسيره خبره بشرط أن يكون المفسر مجتلا والمفسر مفصلاً » ( خزانة ص ١٠٤ ) . وصحة التفسير في البيت نظير أن الترتيب في مجزء والمفسر في صدره وكل قسم مستقل بنفسه .

(١١٦) فيه توضيح ، والتوضيح أن يكون معنى أول الكلام دالا على آخره .

(١١٧) فيه عنوان ، وهو « أن يأخذ المتكلم في عرض له من وصف أو فخر أو مدح أو ذم أو عتاب أو غير ذلك ثم يأتي لتصد تكمله بالفاظ تكون عنوانا لإخبار متقدمة وتخص مبالغة » ( خزانة من ٣٧٣ ) . وعنوان البيت يشير إلى اصطفائيته - صلى الله عليه وسلم - على سائر الأنبياء في الأزل - الشرح من ٣٩٥ - .

- ذو الجاء حيث يضم الخلق محشرهم ولا يسرى غيره في الكشف للقم (١١٨٥)
- ذو الجاء حيث أهمل الجاء قاطبة تسرى تحت لواء يوم حشرهم (١١٨٦)
- ذو المعجزات التي منها الكتاب فيا يسرى لمقتبس منه بكل جم (١١٨٧)
- يتلى ويحل ولا يلي وليس له مبدل\* وهو حل الله فاعتمس (١١٨٨)
- قل للذي يتهم عتيا يحاوله من حصر معجزه الطاهر الشيم (١١٨٩)
- كم أعقبت راحة باللمس راحتكم معا محنة ربي\* له بقم (١١٩٠)

(١١٨) فيه تسهيم وهو « ان يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخره تارة بالمعنى وتارة باللفظ » - الشرح ص ٣٩٦ - . والسامع للشطر الأول من البيت يعرف تمامه .

(١١٩) فيه حصر الجزئي والحاقه بالكلية وهو ان يأتي المتكلم الى نوع فيجمله بالتعظيم له جنبا بعد حصر اقسام الانواع والاجناس - الشرح ص ٣٩٧ - .

(١٢٠) فيه اكتفاء وهو « ان يأتي الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف فلم ينتشر الى ذكر المحذوف للدلالة بالي لفظ البيت عليه ويكتفى بما هو معلوم في القهين فيما يقتضي تمام المعنى » . ( خزائن الادب ص ١٢٦ ) .

(١٢١) فيه توليد ، وهو ان ينظر الشاعر الى معنى من معاني من تقعده ويكون محتاجا الى استعماله في بيت من قصيدة فيسوره ويولد بينهما معنى آخر . ومعنى بيت الشاعرة مولد من بيت البوصري :

فلا تعد ولا تحصي عجائبها ولا تسام على الاكثار بالسام

(١٢٢) فيه تفصيل وهو : « ان يأتي الشاعر بشطر بيت له متقدم صدرا كان او عمرا ليفصل به كلامه بعد حسن التصريف في التوثئة الملائمة » . ( خزائن ص ٢٢٢ ) . قالت الشاعرة : « ومعجزه تقدم لس في بيت من قصيدة نبوية » - الشرح ص ٤٠٢ - .

(١٢٣) فيه موارد ، والوارد ان يتوارد الشاعران على بيت او بعض بيت بلفظه ومعناه . قالت الشاعرة : « وقد فتح الله علي بالقصود من هذا النوع في بيتي التقدم وقصدت الموارد بشهادة الله - تعالى - آسى لما نظمت هذا البيت تذكرت بعد فراقه بيت الشيخ - البوصري - رحمه الله تعالى - قال :

تم ابرات وصبا باللمس راحتكم واطلعت لربنا من ريقة اللحم

والنيران أطعماء فللك بدت بعد الأقول وهذا شق في الظلم (١٢٦٤)

والماء من إصميه ناض فيض نضى كفيه سرود هذا معدم المعدم (١٢٦٥)

فريد حسن تسمى عن مثله

في الخلق والخالق والأحكام والمعكم (١٢٦٦)

بدر الكمال كمال اليدر مكتسب من نوره وضياء الشمس فاعظم (١٢٦٧)

أظلم به من لبي سيد سندر هاد سراج منير صفوة القدم (١٢٦٨)

بالحن مشتغل في الخلق مكتمل بالبر معتصم بالبر ملتزم (١٢٦٩)

للبيدل منتهم بالبشر متهم يسو ببتهم كالدر منتظم (١٢٧٠)

(١٢٦٤) فيه تقسيم ، وهو استيفاء المتكلم اقسام المعنى الذي هو أخذ فيه ، وقد استوفت الشاعر ذلك في بيتها وقالت بعد ( النيران اطعماء ) : ( لتلك بدت بعد الأقول ) و ( هذا شق في الظلم ) وبذلك استوفت المعنى .

(١٢٦٥) فيه جمع مع تقسيم ، فقد جمعت الشاعر بين الماء وفيض كفيه ثم قسمت في بقية البيت .

(١٢٦٦) فيه جمع ، فقد جمعت بين ( الخلق ) و ( الخلق ) و ( الأحكام ) و ( الحكم ) في حكم واحد .

(١٢٦٧) فيه قلب ( بدر الكمال - كمال اليدر ) .

(١٢٦٨) فيه تنسيق الصفات ، إذ ذكرت النبي - صلى الله عليه وسلم - والعقبت ذلك بتعدد صفاته ( سيد - سندر - هاد - سراج منير - صفوة القدم ) .

(١٢٦٩) فيه تشطير وقد قسمت الشاعر بينها شطرين ثم صرحت كل شطر من الشطرين وجادت بكل شطر من بيتها مخالفا لقافية الآخر . ( مشتغل - مكتمل ) - ( معتصم - ملتزم ) .

(١٢٧٠) فيه سجع ( منتظم - متهم - معتصم - منتظم ) ، وقد جاء روي الاستيعاب مثل روي القافية ، وهذا من شروطه في الشعر - الشرح

ص ٤١١ - .

مسجده الذكر في الفرقان بالحكم محمد الأمر في التبيان من حكم (١٢١)  
 جمال صورته عنوان سيرته هذا بديع وهدي آية الأمم (١٢٢)  
 ولو غدا البحر جيراً والقضا ورقاً في حصر أوصافه ضافاً بعضهم (١٢٣)  
 وذكره كاد لولا سئته سبقت إذا تكسر يحيى بالي الرسم (١٢٤)  
 علا من الرسل والتشبه ممنوع في وصفه ونصور العقل كالعلم (١٢٥)  
 محمد اسمه لعتة لجملة ما في الذكر من مدحه في نون والقلم (١٢٦)  
 علاه كالشمس لا يخفى على بصر والوجه كالبرجولو حالك الظلم (١٢٧)  
 لو كان ثم مثل قلت طلعت كاليدز حاشي تعالى كامل العظم (١٢٨)

(١٢١) فيه ترصيع (مسجد الذكر - محمد الأمر) - (في الفرقان بالحكم -

في التبيان من حكم) وهذا يشبه ترصيع العقد ، وذلك أن يكون في  
 أحد جانبيه من الحيات مثل ما في الآخر .

(١٢٢) فيه لف وتشر (جمال صورته - هذا بديع) - (عنوان سيرته -  
 آية الأمم) .

(١٢٣) فيه عراق في المعنى ، والأعراق هو فوق البالغة ودون النلو .

(١٢٤) فيه غلو ، ولذلك استعملت الشاعر (كاد) .

(١٢٥) فيه مبالغة ، قالت الشاعر : « وبالجملة فكل مبالغة في هذا التمام  
 ممكنة وغير مستحيلة في معجزات المدوح - صلى الله عليه وسلم -  
 وعظم قدره » - الشرح ص ٤١٥ - .

(١٢٦) فيه اتفاق ، قالت الشاعر : « الاتفاق في بيتي ببركة المدوح  
 - صلى الله عليه وسلم - ظاهر فإن اسمه الشريف محمد اسم عظيم  
 لا كثرت أخلاقه الحميدة فحمد مرة بعد مرة فهو محمد ، وقد مدح  
 في ( ن ) بقوله : « وأنت أعلى خلق عظيم » نطابق اسمه على مدحه .  
 وظاهر الاتفاق الذي هو النوع في البيت - الشرح ص ٤١٥ - .

(١٢٧) فيه جمع مع تفریق .

(١٢٨) فيه تشبيه « كاليدز » .

قالوا هو الغيث قلت الغيث آونة<sup>(١٢٦)</sup> يهشي ويغيث<sup>(١٢٧)</sup> نداءه لا يزال هشي<sup>(١٢٨)</sup>  
 يهشي العطاة أمانهم قلت لري<sup>(١٢٩)</sup> في حيه غير منشوح ومقتم<sup>(١٣٠)</sup>  
 في النور لاح علاه لاظفر له<sup>(١٣١)</sup> نور القرآن قراة من لدن حكيم<sup>(١٣٢)</sup>  
 عاز الجبال فنا في حسن متصفر<sup>(١٣٣)</sup> بشرطه بعض ما في سيد الأمم<sup>(١٣٤)</sup>  
 وكل معنى يديع دون رتبة من<sup>(١٣٥)</sup> سما على الخلق عند الحق في القدم<sup>(١٣٦)</sup>  
 هو العيب من الرحمن رحته<sup>(١٣٧)</sup> للعالمين بإيجاد من العدم<sup>(١٣٨)</sup>

(١٢٦) فيه طريق ، وهو « أن بعدد الي شيئين من نوع فيقع بينهما تباين  
 في مدح أو غيره » - الشرح من ١٦ - والتباين في البيت ان الرسول  
 - صلى الله عليه وسلم - غيث والمطر غيث ولكن غيث ندى الرسول  
 دائم ، وغيث المطر ينزل تارة ولا ينزل اخرى ، فهو منقطع ابدا .

(١٢٧) فيه صفة الأقسام ، قالت الشاعرة : « وقد فتح الله علي بالقصود  
 في هذا البيت بصحة هذا النوع ، فان المدوح هو الذي  
 امتلا من العطاء فلم يبق له حاجة والمقتم هو الذي أعطى ولم يبلغ  
 من امتلا فهو يفتنم منافع الجود حتى يساويه ولا ثالث لهدبين القسمين  
 في حضرة العطي الأشرف الذي هو النبي - صلى الله عليه وسلم -  
 فإنه لا يكون فيها محروم ولا يائس » - الشرح من ٢٠ - .

(١٢٨) فيه اشتراك « القرآن - قرانا » ، والاشتراك « ان يائي الناظم يسي  
 بينه بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا أو فرعيا فيسبق ذهن  
 السامع الى المعنى الذي لم يرد الناظم فيأتي في آخر البيت مما يؤكد  
 ان القصود غير ما نوه عنه ( خزنة الأدب من ٢٦٥ ) .

(١٢٩) فيه التمجع الى معنى الآخر المشهور من ان النبي - صلى الله عليه وسلم -  
 أوتي الحسن كله وأوتي يوسف - صلاة الله عليه شرطه - الشرح  
 من ٢٢ - .

(١٣٠) لم يضع الشاعرة له عنوانا في شرحها لانه لا يدخل في باب مستقل  
 من أسواق اليديع عندها .

(١٣١) فيه المذهب الكلامي وهو أن يورد الشاعر مع الحكم ردا لتكر حجة  
 صحيحة ، فالذي أوجد من العدم قادر على أن يمنح نبيه رحمة للعالمين .

غوث الوردى كعبة الآمال ملتزمي في حبه بالتفاني صار من لزمي (١٤٥)  
 جردت حبي له من كل مضدة ولم تنزل بالصفا تسمى له قديمي (١٤٦)  
 بحر وفاء دعائي بالوفاء التي قيل الوفاء وروائي من التعم (١٤٧)  
 بلغت ما أروم منهم فلم أرم عن جلا عني بالمزم والهم (١٤٨)  
 صحت عزيمة صدق في محبة وفي مرادك وابلغ كسل ما ترم (١٤٩)  
 والرد بالمدح واستثنى بمدحك من حازوا على الفضل من نازوا بسبقهم (١٥٠)  
 الأذلو النفس بذل المال من يدهم والحافظو الجار حفظ العهد والدم (١٥١)  
 لا يلبون بفضل الله ما وهبوا ويسلبوا (١٥٢) ضرر الأملق والعدم (١٥٣)

(١٤٥) فيه التزام ، وهو لروم ما لا يلزم (ملتزمي - لزمي) .

(١٤٦) فيه توجيه وهو « أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى احتمالا مطلقا من غير تقييد بمدح أو لومه » ، ( خزنة الأدب ص ١٤٤ ) .

(١٤٧) فيه ترديد وهو « أن يطلق لفظة في البيت بمعنى ثم يرددها فيه بعينها ويطلقها بمعنى آخر » - الشرح ص ٤٢٧ - وينضح ذلك في لفظة « الوفاء » في البيت .

(١٤٨) فيه تجزئة وقد جزأت الشاعرة بيتها أجزاء عروضية وسجعتها .

(١٤٩) لم تضع الشاعرة له عنوانا لأنه لا يدخل في باب مستقل من أبواب البديع منها .

(١٥٠) فيه إيضاح ، قالت الشاعرة : « فاني لما قلت ( واستثنى بمدحك من حازوا على الفضل ) لم يعلم من هم المقصودون بالمدح فلما قلت ( من نازوا بسبقهم ) زال اللبس واتضح أنهم الصحابة - رضي الله عنهم ورضا بعثه وكرمه » - الشرح ص ٤٢٩ - .

(١٥١) فيه استنباع وهو « أن يذكر الناظم أو الناسخ معنى مدح أو ذم أو عرض من أعراض الشعر فيستتبع معنى آخر من جنسه يقتضي زيادة في وصف ذلك الفن » ( خزنة ص ٤١٧ ) . وقد قسأت الشاعرة : ( الأذلو النفس ) ثم قالت ( والحافظو الجار ) ؛

(١٥٢) كذا في الأصل .

سود الوقائع حمر البيض في حمر بدم خضر الرابع بيض الفعل والشيء (١٥٤)  
 كأنهم في عجاج التقع حين بدوا بدور تم بدت في حندين الظلم (١٥٥)  
 لتجمع فلتوا وما فلتت عزائمهم وهي الواضي على استفعال كل عم (١٥٦)  
 هم التجوم فما أسنى مطالمهم في أفق ملكه البيضاء بديهم (١٥٧)  
 لا يزوج الشك منهم صفو منتقد ولا يشين التقى بالثم واللمم (١٥٨)

(١٥٣) فيه سلب وإيجاب وهو « أن ينسب المتكلم كلامه على نفي شيء من جهة وإيائه من جهة أخرى » أو « أن يتصد المادح أفراد مدوحه بصفة لا يشركه فيها غيره فينبغي في أول كلامه من جميع الناس ويشتبه بمدوحه بعد ذلك » ( خزائن ص ٣٦١ ) . وقد بيئت الشاعرة بيتها على أنفي في أوله والآيات في تكلمته .

(١٥٤) فيه تدييح ، والتدييح أن يذكر الناظم أو الناثر الواتنا يتصد الكتابة بما أو التورية بذكرها من وصف أو مدح أو غيرها . وقد كتبت الشاعرة من الشدة بـ « سود الوقائع » وعن الحرب والشجاعة في القتال بـ « حمر البيض » وعن الرفاهية والكرم بـ « خضر الرابع » .

(١٥٥) فيه تشبيه شيء بشئين ( كأنهم بدور تم في حندين الظلم ) .

(١٥٦) فيه تذكيت فالت شاعرة : « خصصت الاستفعال بالذات لفهومه وهو محقق دولة التفر وحسم مواد أصله . ولو قلت غير هذه اللفظة لسد مسدما ولكن في الاستفعال نكتة ليست في غيره وهي ما ذكرته وكذا في فولي ( كل عم ) فلو قلت ( محتم ) لسد ولكن كان يفوتني معنى الانطلاق . هذا مع استعمال البيت المذكور مع تحرير النوع فيه على المناسبة البدئية بين الماضي والقول وحسن الكتابة عن صحة العزائم التي تشير ذلك من الأنواع » - الشرح ص ٤٢٤ - ٤٢٥ .

(١٥٧) فيه مساواة بين اللفظ والمعنى .

(١٥٨) فيه نفي الشيء بإيجابه ، وهو « أن يثبت المتكلم شيئا في ظاهر كلامه ، وينفي ما هو من سببه مجازاً والنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي ألبته » ( خزائن الأدب ص ٢٢٢ ) .



بالسبق فآزوا بتخصيص تقدمهم فيه خليفته الصديق ذو القدم<sup>(١٦٤)</sup>

لا عيبَ فيهم سوى أن لا يضم لهم

وقد ولا يخلوا<sup>(١٦٥)</sup> بالرقد في المدم<sup>(١٦٦)</sup>

سادوا المعالي بغير الخلق في أزل حازوا الأمانى بأوفى الناس للضم<sup>(١٦٧)</sup>

طه الذي إن أخفه ذلي ولذت به أمنت خوفي وتجانسي من التقم<sup>(١٦٨)</sup>

ولا طمحت السى شيء من الكرم إلا وبتقني فوق الذي أومر<sup>(١٦٩)</sup>

ما عبت الرح إلا شئت برق وفا لي فيه ويل عطا من ذببة النعم<sup>(١٧٠)</sup>

(١٥٩) فيه جميع المؤلف والمختلف ، وهو « أن يريد الشاعر النسوية بين  
ممدوحين فيأتي بعمان مؤلفة في مدحها ويريد بعد ذلك ترجيح أحدهما  
على الآخر بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الآخر فيأتي لأجل الترجيح  
بعمان تخالف معنى النسوية » - الشرح ص ٤٤١ - وقد رجحت الشاعرة  
أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - لأنه كان أول السابقين إلى الإسلام .

(١٦٠) كذا في الأصل .

(١٦١) فيه مدح في معرض المدح .

(١٦٢) لم تضع الشاعرة له عنواناً لأنه لا يدخل في باب مستقل من أبواب  
البدع عندها .

(١٦٣) فيه ازدواج ، وقد زوجت الشاعرة في البيت بين معنيين في الشرط  
والجواب ( أن أخف ) - أمنت خوفي ) .

(١٦٤) فيه تصريع ، وهو استواء آخر جزء في صدر البيت وآخر في  
جزء في صدر في الوزن والروي والأعراب ( من الكرم ) - ( الذي أومر ) .

(١٦٥) فيه فرائد ، والفرائد أن يأتي الناظم أو الشاعر بلفظة فصيحة من كلام  
العرب العربية تنزل من الكلام منزلة الفرائد من العقد وتدل على فصاحة  
الكلام بحيث لو سقطت من الكلام لم يسه غيرها مسدها « خزائنة  
ص ٣٧٢ ا . والفريدة في بيت الشاعرة ( شمت ) - الترح ص ٤٥٤ - .

- يا أكرم الرسل سؤالي فيك غير خذل وأنت أكرم مدعو إلى الكرم<sup>(١٦٦)</sup>  
 حسي بحبك أن الرء يعشر مع<sup>(١٦٧)</sup> أجابيه فنائي غير منحسم<sup>(١٦٨)</sup>  
 مدحت مجدت والاخلاص ملتزمي فيه وحسن امتداحي فيك مختسي<sup>(١٦٩)</sup>

### الوزن:

هذه قصيدة عائشة الباعونية وهي تجري فيها مجرى شعراء البديعيات الذين اتخذوا من مدائحهم للنبي محمداً - صلى الله عليه وسلم - وسيلة لأظهار فنون البلاغة . وقد كانت عائشة أقرب إلى ابن حجة الحموي وإن لم تسم<sup>١</sup> الفن البديعي أو توردني عنه كما فعل ولكنها اهتمت عليه في الشرح كثيراً

(١٦٦) فيه برامة الطوب وهو « أن يلوح الطالب بالطلب بالفاظ عذبة منتحة مقترنة بتعظيم المدحوخ خالية من الالفاظ والتصريح بل يشعر بها في النفس دون كشفه - الشرح ص ٤٥٤ - وقد ذكرت الشاعرة أن سؤالها في النبي العظيم - صلى الله عليه وسلم - غير خف وإن طلبها الذي اشارت إليه جاء تلويحاً بالفاظ عذبة مقترنة بتعظيم الرسول الكريم ، ثم لحنت بيتها بعد طلبها بالقول انه أكرم مدعو إلى الكرم -

(١٦٧) فيه عقد وهو نظم المنثور ، ومن شرائط العقد أن يؤخذ المنثور بجملته لفظه أو بمعظمه ليريد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر ، وعلى أخذ معنى المنثور دون لفظه كان ذلك نوعاً من أنواع السرقات ولا يسمى عقداً إلا إذا أخذ الناظم المنثور برمته وإن غير منه شيئاً بطريق من الطرق على أن يعرف أصل الكلام المأخوذ . ( خزائن ص ٤٥٩ ، الشرح ص ٤٥٦ )  
 قالت الشاعرة : « ويبنى عقده ظاهر ، والمقصود فيه من العقد قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « يعشر المرء مع من أحب » وليس رواية : « المرء مع من أحب » - الشرح ص ٤٦١ -

(١٦٨) فيه حسن الختام وهو « أن يكون آخر الكلام الذي يتقف عليه المرسل أو الخطيب أو الشاعر مستعقباً لتبقى لديه في الاسماع » وقالت الشاعرة : « وبالجملة فبحاسن هذا النوع لا تدخل تحت دائرة العصر ، وفي هذا التلويح كفاية في الدلالة على صحة النوع في بيتي المتقدم ، وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين » - الشرح ص ٤٦٢ ، ٤٦٧ -

ونقلت عنه تعريفاته للفنون البلاغية ، كما استفادت من كتاب «حسن التوسل» للشهاب العلي، وكتب ابن أبي الاسبع المصري كتحريو التحيين، وبديع القرآن . وكانت ترجع الى كلام عبدالله بن المتمر صاحب كتاب « البديع » وقدامة بن جعفر مؤلف كتاب « لقد الشعر » والقزويني صاحب « التلخيص » « والايضاح » . وكان اعتمادها على شعراء البديعيات اوضح لالتصال اتجاهاها بهم وارتباط قضاها بالفن الذي طرقوه .

لقد كانت بديعية الجاعونية من القصاصد التي اكرت في البلاغة ؛ لان الشاعر لم تشر الى الفن البلاغي وبذلك احتاجت الى ايضاح وشرح ، ولولا ذلك لبقيت القصيدة تلى او تحتفظ من غير فهم دقيق لها . وقد فعل مثل ذلك الشعراء الذين كتبوا عن الغرض ووردوا او لم يضعوا ، ومن هؤلاء ابن حجة الحموي الذي اتخذه الشاعر اماماً لها في فن البديع فقد التزم بتسمية الفن البديعي ولم يلتزم به الشاعر ؛ قال في براعة الاستهلال :

لي في ابتداء مدحك يا عربذي سلم براعة تستهل الدعج في العلم

فقوله : « براعة تستهل » اشارة الى الفن البديعي ، اما عائشة فقد قالت :

في حسن مطلع أقصاري بذي سلم أصبحت في زمرة العشاق كالعلم

وفي قولها « حسن مطلع » اشارة خفية الى براعة الاستهلال أو حسن المطلع ، ولكنها حينما جاءت الى الجنس المذيل والتام لم تشر الى التسمية وانما قالت :

أقول والمدع جار جارح مقلي والجار جار بعذل فيه متهم

وليس في هذا البيت تورية من الجنس أو أنواعه ، غير ان العارف يعلم انها ذكرت الجنس المذيل في ( جار - جارح ) والتام في ( الجار - جار ) وكان ابن حجة قد قال عن المذيل :

وذيل الهم سهل المدع لي فجزري كلاحق الغيث حيث الأرض في سمر

فقله : « وذيل » إشارة الى الجنس المذيل و « الهنم - هبل » شاهده وقال  
عن الجنس التام :

ياسعد ماتم لي سعد يطرفني بقرهم وقليل الحظ لم يسم

فقله : « لم » إشارة الى الجنس التام و « سعد - سعد » شاهده .

وسبيل ابن حجة الصوري أقرب الى المذارك لانه أشار الى الفن البديعي ،  
أما عائشة الباعونية فقد جرحت بديعتها من التسمية وبذلك كانت بعيدة المثال  
لا تندرک إلا بعد التأمل والتفكير . وكان صفي الدين الحلبي قد فعل ذلك وانزعم  
عز الدين الوصلي بالتسمية فجاءت بدييته ثقيلة على خلاف بديعة الحلبي .  
وقد أشار الصوري الى ذلك بقوله وهو يذكر الوصلي : « انزعم فيها بتسمية  
النوع البديعي ووركي بها من جنس الغزل ليتسيز بذلك على الشيخ صفي الدين  
الحلبي - فتمسده الله برحمة - لانه ما انزعم في بدييته بحصل هذا العبء  
الثقيل » (١٦٦) . وتحررت الباعونية من هذا العبء الثقيل غير انها لم تصل  
الى ما وصل اليه الحلبي في بدييته لانه كان شاعراً كبيراً له القدرة على التعبير  
والإداء ، وكانت تعظم الشعر بدافع ليل وحب لرسول الله عظيم ، وستان بين  
ناظم وشاعر . ولذلك جاءت بديعتها تشكو الكثير ومن ذلك إيهام الانواع  
البديعية فترحتها شرحاً موجزاً يرفع السادي في الأدب ولكنه لا يحقق  
طموح الأديب .

ومهما يكن من أمر فإن لعائشة الباعونية آثراً في البلاغة في القرن التاسع  
 للهجرة وما بعده لانها كانت حلقة من حلقات علم البديع ، وهي حلقات لم  
تنقطع إلا في القرن الرابع عشر للهجرة وكانت معلماً من معالم الدرس البلاغي  
في عصرها . ولو تهيأت لها الأسباب لأبدعت وأجادت ، ويكفي انها كانت  
سوتاً للمرأة المسلمة المؤمنة ، وفخرأً للأمة التي أنجبت الشهيرات في العلم  
والفقه والتصوف والأدب ، وليس ذلك بتقليل في عصر قيل عنه إنه مظلم ،  
وزمان كسدت فيه سوق العلم والأدب .

تلك أهم ملامح تأثير المدائح النبوية في البلاغة العربية ، وقد تمثل ذلك التأثير في البديعيات وهي كثيرة تدل على اهتمام عظيم بتفنون البديع في العمود المتأخرة . وإذا كان فيها اسراف في الصنعة والتفنن في ايجاد أنواع بديعية دعا الدارسين الى انتقادها وتصويرها بغير حقيقتها فإن الجهد المبذول فيها كبير يدل على ما كان يتمتع به أولئك الشعراء من صبر على النظم ، وإطلاع على اللغة وذكاء في معالجة النون والتورية عنها وهي تمثل اتجاهاً جديداً في تاريخ البلاغة يختلف كل الاختلاف عما عرف من شروح التلخيص التي سيطرت على المنهج البلاغي بعد القرن السابع للهجرة وتصوير حياة الأدب في ذلك العهد الذي جنح فيه الشعراء الى العناية بصور البديع . وكانت تطبيقاً لذلك الأدب وما حفل به من فنون بديعية لجّ بها الشعراء المولودون وأحصى منها ابن المعتز ثمانية عشر وترك الباب مفتوحاً لمن أراد التوسع فيها ، : "كانت البديعيات كانت استجابة لتلك الدعوة . وتتلخ البديعيات - أيضاً - العودة الى البديع كما عرفه الجاحظ وابن المعتز وقدامة بن جعفر وغيرهم من البلاغيين الذين سبقوا تقسيم البلاغة وحصر البديع في المحسنات اللفظية والعموية يضاف الى ذلك ان العصر الذي عاش فيه أصحاب البديعيات كان يتخنى بنظم علوم اللغة تقريباً لها وضبطاً لتقواعدها وقد رأى البديعيون أن البلاغة ينبغي أن تقيّد ليستعمل حفظها ومعتمداً ، وقاموا بذلك خير قيام مع ما في النظم من تكلف وأسفاف في بعض الأحيان ."

ولم تكن البديعيات في مستوى واحد بل اختلفت بتعدد أصحابها وتباين ثقافتهم ومواهبهم ، ولعل بديعية سفي الدين الحلبي أجودها شعراً وأصدقها عاطفة لأنه لم يلتزم التورية عن الفن البديعي كما التزمه الموصلاني والحموي . والبديعيات بعد ذلك ثلاثة ألوان :

الأول : ليس فيه تسمية للنوع البديعي ويشله الحلبي والباغوية .

الثاني : فيه تسمية النوع ويشله الموصلاني والحموي .

وهذان اللونان مع اختلاف في الأسلوب يمثلان البلاغة بتفوتها الثلاثة ،  
لأن البديع عند أصحابها لا ينحصر فيما عرّفه أصحاب الشروح والتلخيصات  
وإنما يشمل المعاني والبيان والبديع .

الثالث : حصر البديع في المصنعات اللغوية والمنوية وبمثل ابن جابر الأندلسي  
الذي اتخذ من مذهب السكاكي والقزويني سبيلاً .  
وقد ظهر أثر البديعيات في البلاغة واضحاً في :

١ - أنها سلكت فنون البلاغة في أبيات سهل حفظها وانتشارها ، لأن  
الشعر أسير في الحفظ وأكثر دوراً ، ولا سيما إذا كان في مدح النبي العظيم  
محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وقد كان العصر الذي ظهر فيه أصحاب  
البديعيات عصر زهد وتصوف وتوجه إلى الله لينقذهم مما هم فيه من  
ظلم واستبداد .

٢ - أنها لم تحرق بين علوم البلاغة وإنما سلكتها في علم واحد هو  
البديع بمعناه الواسع ، أي أنها دعوة للعودة إلى ما كانت عليه البلاغة في عهد  
كبار البلاغيين كالجاحظ وابن المعتز وقدامة وعبدالقاهر وابن رشيق وابن سنان  
وإبن الأثير وغيرهم من جعل البلاغة علماً واحداً يُعتبر بها عن فضل بعض  
القائلين على بعض من حيث نظروا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض  
والقاصد ، وراسوا أن يعلموهم ما في قلوبهم ويكشئوا لهم عن ضمائر  
قلوبهم (١٣٠) .

٣ - أنها دفعت المؤلفين أو الشعراء أنفسهم إلى شرح البديعيات كما فعل  
ابن حجة العسوي وعائشة الباعونية وابن معصوم المدني وغيرهم . وقد كانت  
شروحهم من أهم كتب البلاغة العربية في ذلك العهد لأنها جمعت كل ما عرفته  
البلاغة من فنون قبل القرن السابع للهجرة ، وذكرت كثيراً من آراء المتقدمين  
وتعريفاتهم ؛ ولأنها أعطت صورة دقيقة للحياة الأدبية في ذلك العهد وحدثت  
الذوق الفني الذي كان الأدباء يلتزمون به .

٤ - أنها دفعت الشراح الى التجديد في الشواهد البلاغية والاستعانة بشعر المعاصرين لهم ، وتكاد « خزانة الأدب » للحوي تمثل عصره أدق تمثيل ؛ لأن المؤلف ذكر كثيراً من شعر معاصره وبذلك حفظ لنا ثروة أدبية ترسم ملامح ذلك العصر . ولم يكن شراح التلخيص كذلك ؛ لأنهم لم يخرجوا كثيراً على شواهد التلخيص للقرظي وشواهد البلاغة القديمة ، وبذلك كان أصحاب البديعيات وشراحها أكثر تمثيلاً لعصرهم من شراح التلخيص ، ولعل فيما قدموه قوماً ، ولعل فيما قدمه هذا البحث فائدة لمن لعنيه الثقافة العربية الاسلامية وهو يستقبل القرن الخامس عشر للهجرة بروح مؤمنة وعزيمة ثابتة وخطوات مطمئنة لبني مستقيلاً زاهراً تسود فيه كلمة الله وتعلو فوق كل صوت تردده جنات عالم يشهد الهياراً إن لم تتركه رحمة الله .

#### المصادر :

- ١ - الإعلام - خير الدين الزركلي . الطبعة الثانية - القاهرة .
- ٢ - أعلام النساء - معر رضا كحالة ، الطبعة الثانية - دمشق ١٢٧٨هـ - ١٩٥٩م .
- ٣ - أوار الربيع في انواع البديع - ابن معصوم علي صدر الدين المدني - تحقيق شاكِر هادي شكر - النجف ١٢٨٨هـ - ١٩٦٨م .
- ٤ - الإيضاح - الخطيب القرظي . القاهرة . ( مطبعة السنة المحمدية ) .
- ٥ - بديعيات الأثاري - زين الدين شعبان بن محمد القرظي الأثاري - تحقيق هلال ناجي . بغداد ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
- ٦ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - جلال الدين السيوطي . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٢٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- ٧ - البلاغة تطور وتاريخ - الدكتور شوقي ضيف . القاهرة ١٩٦٥م .
- ٨ - البيان والتبيين - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبدالسلام هارون . القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .
- ٩ - التلخيص - الخطيب القرظي . تحقيق عبدالرحمن البرغوثي . الطبعة الثانية - القاهرة . ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م .
- ١٠ - خزانة الأدب وغاية الأرب - ابن حجة الحوي . القاهرة ١٣٠٤هـ .

- ١١ - دائرة المعارف الإسلامية ( الطبعة العربية ) مادة ( بديع ) .
- ١٢ - دلائل الإعجاز - عبدالقاهر الجرجاني - تحقيق محمد رشيد رضا ،  
القاهرة ١٣٧٢هـ .
- ١٣ - ديوان صفي الدين الحلبي . دار صادر - بيروت ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م .
- ١٤ - السيرة النبوية - أبو محمد عبدالملك بن هشام - تحقيق مصطفى السقا  
وجمادته . الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .
- ١٥ - سبلرات الذهب - ابن العماد الحنبلي . القاهرة .
- ١٦ - شرح بديعية الباهونية - عائشة الباهونية . ( مطبوعة على حاشية خراطة  
الأدب لابن حجة الحموي ) - القاهرة ١٣٠٤هـ .
- ١٧ - شروح التلخيص . القاهرة ١٩٢٧م .
- ١٨ - شعر صفي الدين الحلبي - الدكتور جواد أحمد علوش . بغداد ١٣٧٩هـ -  
١٩٥٩م .
- ١٩ - الصيغ البديعية في اللغة العربية - الدكتور أحمد إبراهيم موسى .  
القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .
- ٢٠ - طراز الحلة وشفاء النلة - أبو جعفر الرعيني . مخطوطة مكتبة الأوقاف  
العامة بغداد رقم ( ١٢١٤٤ ) .
- ٢١ - فنون بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب . بيروت ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- ٢٢ - فوات الوفيات - محمد بن شاكر بن أحمد الكشي . تحقيق محمد محري  
الدين عبدالحميد . القاهرة ١٩٥١م .
- ٢٣ - القزويني وشروح التلخيص - الدكتور أحمد مطلوب - بغداد ١٣٨٧هـ -  
١٩٦٧م .
- ٢٤ - كتاب الصناعتين - أبو هلال العسكري . تحقيق علي محمد البحاري ومحمد  
أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- ٢٥ - المناهج النبوية في الأدب العربي - الدكتور زكي مبارك . القاهرة ١٩٦٧م .
- ٢٦ - مصطلحات بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب . بغداد ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- ٢٧ - معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة . دمشق ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م .
- ٢٨ - مناهج بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب - بيروت ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م .
- ٢٩ - نغمات الأزهار - عبد الفتى التابلسي . دمشق ١٣٩٩هـ .





( ١٠ )

## أثر البلاغة العربية في البلاغة الفارسية

التبئة :

كان الدكتور طه حسين من أوائل الباحثين العرب الذين تحدثوا عن الأثر اليوناني في البلاغة العربية<sup>(١)</sup> ، وقد قرر أن البيان العربي في أول نشأته وفي عهد الجاحظ تبين فيه ثلاثة عناصر هي : العنصر العربي ، والعنصر الفارسي الذي يميل إلى البراعة والظرف في القول والهيئة ، والعنصر اليوناني الذي يتصل بالمعالي من حيث دقتها والعلاقة بينها وبين الالتفاف<sup>(٢)</sup> ثم انتهى إلى أن البيان العربي « كان في جميع أطواره وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية أولا وبالبيان اليوناني أخيرا ، واذن لا يكون أرسطو المعلم الأول للمسلمين في الفلسفة وحدها ، ولكنه إلى جانب ذلك معلمهم الأول في علم البيان »<sup>(٣)</sup> . وقد بنى رأيه على كثير من الظن ، من ذلك تصوره لكتاب الديدع لابن المعتز وصلته بأرسطو قال : « لم أطلع على كتاب الديدع هذا ، ولكن الذين نقلوا عنه أكثروا من ذكره كثرة تسكنا من تصوره ، فهو عسكرة عن تعداد لأنواع

- 
- (١) نشر في مجلة دراسات للجيل ( العدد الثالث - كانون الأول ١٩٨٢ م ) .  
(٢) قدم الدكتور طه حسين بحثه « البيان العربي من الجاحظ إلى عبدالقاهر » إلى مؤتمر المستشرقين باللغة الفرنسية في الحادي عشر من أيلول - سنة ١٩٣٢م ونشر مترجما بقلم عبدالحميد العبدلي في مقدمة « نقد النشر » المنسوب إلى قدامة بن جعفر .  
(٣) مقدمة نقد النشر ص ٧ - (٢) مقدمة نقد النشر ص ٣١ .

البديع مع الاستشهاد لكسل نوع منها بشواهد من كلام القدماء والمعاصرين لابن المعتز ، ومع الموازنة بين هذه الشواهد بعضها وبعض . وهم يقولون ان ابن المعتز أحصى في كتابه ثمانية عشر نوعا من أنواع البديع من يدرسها في كتاب معاصره قدامة بن جندر وفي كتب الذين جاءوا بعده يلاحظ فيها لامحالة اثرأ يينا للفصل الثالث من كتاب « الخطابة » وبعبارة أدق للقسم الأول من الفصل الثالث وهو الذي يبحث في العبارة « (١) » . وكان بعض كلامه صحيحا ؛ لانه أخذته من تحدثوا عن كتاب البديع ، لكن تصور « لعلاقة الكتاب بخطابة أرسطو ضارب » من الفن يخالف حقيقة كتاب البديع . فالبيان العربي ليس يونانيا ولا فارسية ، وانما هو فن أصيل عرف منذ الجاهلية وشاع في كلام العرب وكتاب الله وحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولكن الباحثين العرب تلقوا كلام الدكتور طه حسين وأداروه في كتبهم وكأنه نصر مبین ، وبني عليه الدكتور ابراهيم سلامة كتابه « بلاغة أرسطو بين العرب واليونان » وتبعه آخرون وعرضوا لمثل ما عرض له الدكتور طه فكان منهم الموجز وكان منهم المطيل .

ولم يلق الدكتور طه حسين عند ارتباط البيان العربي بالبيان اليوناني وانما دفع طلابه الى أن يتلمسوا ذلك الارتباط بالفرس ليجيز هلى ما بقي من أصالة للعرب في هذا الميدان . قال الدكتور زكي مبارك : « يرى المسيورسيه أن الزخرف الفني وصل الى العرب من الفرس ، وكان الدكتور طه حسين يشابهه في ذلك ثم تغيرت فجأة فزعم أنه وصل الى العرب من اليونان . وكانت حجة وحجة المسيورسيه ان المولعين بالزخرف من كتاب اللغة العربية أكثرهم من الفرس المستعربين ، وهذه مدرسة قديمة يرجع عهدها الى رينان وهي ترمي الى الحكم بأن المدنية العربية غربية عن العرب ، وان العرب مديسون في

(١) مقدمة نقد النشر ص ١٢ .

علومهم وفلسفتهم وفتوحهم وآدابهم الى الفرس واليونان . والدكتور طه حسين متأثر بهذه المفرة الى حد بعيد ، فهو يقول بان البلاغة العربية أخذت حرفيا عن البلاغة اليونانية حتى في التواهد والصور والتعابير . وأذكر أنه أوصاني بالرجوع الى تاريخ آداب الفارسية لأعرف بالفيط من هم الكتاب الفرس الذين أوحوا الى كتاب العرب فنون اليديع كالسجع والتورية والفياق والجناس<sup>(٥٦)</sup> . لقد أغرى الدكتور طه تلميذه الدكتور زكي مبارك باكمال البحث ورد ما بقسي في البلاغة العربية من فنون الى الفرس وسلب العرب أصالتهم ، ولكن التلميذ لم يطع لأنه لا يؤمن بما قاله استاذه أو المستشرقون وقرر « أن الزخرف عنصر أصيل في اللغة العربية »<sup>(٥٧)</sup> . وإن القرآن الكريم خير شاهد على ذلك .

والغريب ان القائمين بالأثر الفارسي لم يدرسوا المسألة دراسة علمية وإنما اكتفوا بما ردهه المستشرقون ولذلك لم يستطيعوا أن يضعوا أيديهم على لون من ذلك الأثر المزعوم . فالفارسية التي عرفها العرب هي « الدرية » التي نشأت بعد الاسلام ، وقد ذكرها الجاحظ في القرن الثالث للهجرة<sup>(٥٨)</sup> . وأشار الى ما خلق قديما بالقاظ أهل المدينة من القاظ الفرس<sup>(٥٩)</sup> ، ولكن ذلك لا يؤثر في أصالة العرب ؛ لان علوق القاظ بالقاظ قوم لا يعني أنهم وقعوا في التأثير ، ولان اللغة ليست ألقاظا وإنما هي صياغة وتركيب .

واللغة الدرية هي التي دون الفرس بها آدابهم بعد الاسلام ، وهذه حقيقة لا تنكر ، وقد قررها المستشرق براون منذ مطلع هذا القرن فقال إن تلك اللغة « نشأت مع الفتح العربي واعتناق الفرس للإسلام في القرن السابع الميلادي واستمرت مستعملة منذ ذلك الوقت حتى أيامنا هذه »<sup>(٦٠)</sup> . وقاتن :

(٥٦) النشر الفتي ج ١ ص ٤٤ . (٦) النشر الفتي ج ١ ص ٤٥ .

(٧) البيان والتبيين ج ٣ ص ٣١ .

(٨) البيان ج ١ ص ١٩ .

(٩) تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي الى السعدي ص ٩ .

« إن اللغة التي سبقت الفارسية هي اليهودية ، وهذه اللغة الأخيرة هي اللغة  
 الرسمية التي سادت في البلاد الفارسية أيام الساسانيين ( ٦٢٦ - ٦٥١ م )  
 وهي التي استمرت لغة الدين بين الموايذة الزرادشتيين طوال القرنين أو الثلاثة  
 اللاحقة لذلك . وقد قدّر الدكتور وست أن الآداب اليهودية الموجودة في  
 أيدينا تبلغ في حجمها حجم التوراة وانها في الغالب تتعلق بموضوعات دينية  
 أو فقهية ، يضاف إليها بعض النقوش اليهودية المكتوبة على الصخور أو النقود  
 أو الجواهرات التي يرجع تاريخها الى منتصف القرن الثالث الميلادي . وإن  
 اللغة اليهودية ما هي إلاّ تطور متأخر للغة الفارسية القديمة التي لا تعرف من  
 أمرها إلاّ بقدر ما بقي مسجلاً منها في هذه النقوش النحوتة في الصخر في  
 بربسيوليس وبهستون ، ومواضع أخرى أمر بكتابتها دارا الأكبر ومن بعده  
 من ملوك الدولة الآكمنية . وإن اللغة التي تعرف باسم لغة الأفستا أو خطا  
 باسم الزند ، هي اللغة التي كتبت فيها تعاليم زرادشت ، هي لغة شقيقة للغة  
 الفارسية القديمة وكذلك للغة السنسكريتية . وأنا بناء على ذلك لا اتصل  
 بالفارسية الحديثة وإن كانت لا تزال تستل في بعض اللهجات المحلية في فارس  
 وكذلك في اللغة الاقفاية المعروفة باسم البشتو » (١٠) .

وتابع الباحثون المستشرق براون فقال الأستاذ احمد أمين : « كانت لغة  
 الفرس في عهد الدولة الساسانية هي اللغة الفهلوية » (١١) . ولكن بعد دخول  
 الاسلام واللغة العربية في إيران تعرضت « الديانة الفارسية واللغة الفهلوية  
 للاضمحلال ثم الفناء » (١٢) . وإن أكثر الكتب الفهلوية التي نقل عنها العرب  
 ضاعت ولم يسبق منها الا القليل كالتأريخ الفهلوية وأعمال أردشير بن  
 بابك (١٣) . وقال الدكتور محمد نجفي هلال إن الفارسية البرية هي لغة الأدب

(١٠) تاريخ الأدب في إيران ص ١١ .

(١١) فجر الإسلام ص ١٤٠ .

(١٢) فجر الإسلام ص ١٤٠ .

(١٣) قصة الأدب في العالم ج ١ ص ٧٨ .

الفارسي بعد الفتح الإسلامي لآيران<sup>(١٤)</sup> . وقال الدكتور أحمد ناجي القيسي :  
 « نشأت لغتهم التي يتكلمون بها اليوم والتي تسمى بالسفوية من التفاعل بين  
 لغتنا ولغتهم التي كانت عندهم إبان الفتح الإسلامي العربي العظيم »<sup>(١٥)</sup> .  
 وقال الدكتور حسين علي محفوظ : « مرت الفارسية بمرحلة أربع<sup>(١٦)</sup> هي :  
 الفارسية القديمة بالخط المساري ، والفارسية الأفستائية ، والفارسية  
 الوسطى - اليهودية - ثم الفارسية الفرية بالخط العربي . والفرية هي واحدة  
 من نتائج اختلاط اليهودية بالعربية وثمرة تأثرها بها في دخول العرب وانتشار  
 الإسلام »<sup>(١٧)</sup> ، ولذلك لم يظهر المعجم الفارسي إلا في أواسط القرن الخامس  
 للهجرة فقد تأثر أبو منصور علي بن أحمد الأسدي الطوسي بالخليل بن أحمد  
 ووضع المعجم الأول في الفارسية وسماه « لغت الفرس » وهو معجم يشتمل  
 على ( ١٢٧٥ ) كلمة فقط<sup>(١٨)</sup> . ومعنى ذلك أن الأدب الفارسي نشأ بعد الإسلام  
 لأن الفرس قد « تعددوا إلاّ يعلّموا أبناءهم أي فن من الفنون عدا فن الحياة ،  
 فأما الأدب فقد كان في رأيهم ترفاً قلّ أن يحتاجوا إليه . . . . وكان الشعر  
 عندهم يتغنى أكثر مما يقرأ فلما مات المغنون مات الشعر معهم »<sup>(١٩)</sup> ، ولذلك  
 « لم يصل النياشيء من شعر الدولة السامانية »<sup>(٢٠)</sup> . ولا « نعرف شيئاً من  
 آثار الفرس القدماء في الشعر ، وليس بين أيدينا آثاره من الشعر في اللغة  
 الفهلوية أو اللغة الفارسية القديمة أو لغة الأفستا »<sup>(٢١)</sup> ، ولا يعرف من

- 
- (١٤) الحياة العاطفية بين العنصرية والصوفية من ١٧٢ ، الأدب القارن من ١١٨ .  
 (١٥) مؤلف المعجم من لغة العرب من ٣ - ٤ .  
 (١٦) نقل ابن التديم ( - ٣٨٠ هـ ) عن ابن المقفع أن اللغات الفارسية هي :  
 الفهلوية والندوية والفارسية والخوزية والسريانية وذكر أن الفارسية هي  
 التي يتكلم بها الواحدة والعماء وأشياهم . الفهرست من ١١٥ .  
 (١٧) مظاهر تأثير اللغة العربية في اللغة الفارسية ٦ - ٧ .  
 (١٨) المصدر نفسه من ٢٩ .  
 (١٩) قصة الحضارة ج ٢ مجلد ١ من ٤٤٥ .  
 (٢٠) فجر الإسلام من ١٤١ . (٢١) قصة الأدب ج ١ من ٤١٧ .

في الأدب الإيراني القديم إلا عبارات منقوشة في عهد السلوك الأخمينيين ، ولم يصل إلينا من النصوص المكتوبة باللغة الزندية القريبة من الآرامية القديمة إلا آثار قليلة الأختار<sup>(٢٢٢)</sup> . قال الدكتور حسين علي محفوظ : « وإذا ولدت اللغة الفارسية الحديثة في القرن الأول الهجري فقد ظهر باكورة النثر الفارسي في المائة الثانية ، وظل الأدب الفارسي تبعاً للأنب العربي يمضي خلفه ونحو نحوه ومسلك مسالكه ويتابعه ويقبله ويقتدي به ، وكلما بدت ظاهرة في الأدب العربي لاحت إماراتها في الأدب الفارسي بعد قرن<sup>(٢٢٣)</sup> . أي إن ما قيل من تأثر الكتاب والشعراء العرب بالفارس ليس صحيحاً ، فقد جاء في رسالة عبد الحميد الكاتب ( ١٢٢ هـ ) إلى الكتاب : « فتناقصوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتمعنوا في الدين وابتدأوا بعلم كتاب الله عز وجل - والتراخي ثم العربية فإنها ثقاف المستكم ، ثم أجدوا الخط فانه حلية كتبكم ، وارووا الأشعار واملحوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والمجم وأحاديثها وسيرها فإن ذلك معين لكم على ما تنسوا إليه همكم<sup>(٢٢٤)</sup> . وكلام عبد الحميد واضح فليس فيه دعوة إلى النظر في آداب الفرس ولغتهم وإنما هو حث على الأخذ بالثقافة العربية والتسك بكتاب العربية الأكبر ، وليس في قوله « أيام العرب والمجم » ما يقتصر على أيام الفرس بل أيام غير العرب ، وهي كثيرة ولا تفصل معرفة الأيام في أسلوب التعبير والصيغة والصنعة ، وهو ما ظنه بعض الباحثين أثراً من آثار الفرس » .

ومن أقدم ما ذكر من الشعر الفارسي قصيدة العباس التي أنشأها ليستقبل بها الأسون عند قدومه إلى مرو في سنة ١٩٣ هـ ( ٨٠٩ م ) ولكن كازمرسكي يرى أنها زائفة منتحلة ، وقد أيده المستشرق براون وقال : « ولعل من أقدم الأشعار الفارسية التي وصلت إلينا هي الأبيات التي حدثنا بها

(٢٢٢) المعجم الأدبي ص ٥١٧ .

(٢٢٣) مظاهر تأثر اللغة العربية في اللغة الفارسية ص ٧ .

(٢٢٤) صبح الأعشى ج ١ ص ٨٥ ، رسائل البلغاء ص ٢٢٥ .

قلامي عروضي سمرقندي في كتابه « چهار مقالة » - المقالات الأربع - فقال إنها أوتحت الى احد النخبستاني أن يتور في وجه الدولة الصفارية في سنة ٢٦٢هـ ( ٨٧٥ - ٨٧٦م )<sup>(٢٥٦)</sup> . وقال : « إن القصيدة والنظمة هما من ضروب النظم استعارهما الفرس من العرب وقد وضموها على نسق المملكات الجاهلية من حيث الصياغة والاسلوب وإن كان قد أصابها شيء من التعديل على أيدي الفرس كما فعلوا أيضا بالعزل»<sup>(٢٦٦)</sup> . وقصر أن الفرس تلاميذ العرب المخلصون في الشعر والنثر ، وقد ذكر صاحب « چهار مقالة » أن « كاتب الديوان لا يبلغ شأواً عالياً في صناعته حتى يأخذ بطرف من كل علم وحتى يتلقى التكاثر الرقيقة من أفواه الأساندة المبرزين ، وحتى يستمع الى لطائف الحكماء الماهرين وحتى يقتبس طرائف الأدباء القادرين . ومن أجل ذلك وجب على كل من يريد التبريز في الكتابة أن يقرأ في العربية كلام رب العزة وأخبار المصطفى وآثار الصحابة وأمثال العرب وكتابات صاحب اسماعيل بن عباد والصابي وقدامة بن جعفر وبديع الزمان السداني والحريري وجباعة آخرين من الكتاب وكذلك أشعار المتنبي والأبيوردي والفري»<sup>(٢٦٧)</sup> . وهذا ما التزم به الكتاب العرب قبل ذلك ، فالأدب الفارسي - إذن - هو الأدب الذي نشأ في القرن الثالث للهجرة واستمر الى العصر الحديث<sup>(٢٦٨)</sup> .

هذه حقيقة اللغة الفارسية وأدبها ولكن الباحثين - مع ذلك - يؤمنون بأنّها في اللغة العربية وعلومها من غير أن يضعوا أيديهم على الحقائق ، وهم يكتبون بذكر بعض الأمثال والحكم وهي ما لا تنفرد به أمة دون أمة ، ويرددون ما ذكره الجاحظ من أن للفرس رسائل بخطها

(٢٥) تاريخ الأدب في إيران ص ٢٢ ، وينظر قصة الأدب ج ١ ص ٤٤٩ .

(٢٦) تاريخ الأدب في إيران ص ٢٨ - ٢٩ .

(٢٧) تاريخ الأدب في إيران ص ١٠٢ .

(٢٨) قصة الأدب ج ١ ص ٢٨ ، ٤٤٨ ، القصة في الأدب الفارسي ص ٤٢ ، ٧٨ ،

المعجم الأدبي ص ٥١٧ .

وشرحه<sup>(٢٩٦)</sup>، وانه قال : « قالوا : ومن أحب أن يبلغ في صناعة البلاغة ويعرف الغريب ويبحر في اللغة فيقرأ كاروند . ومن احتاج الى العقل والأدب والعلم بالتراتب والمير والمثلثات<sup>(٢٩٧)</sup> والألفاظ الكريمة والمعاني الشريفة فليظفر في سير الملوك فهذه الفرس ورسائلها وخطبها وألقابها ومعانيها ، وهذه يونان ورسائلها وخطبها وعللها وحكمها »<sup>(٢٩٨)</sup>، وليس لوريا<sup>(٢٩٩)</sup> أن يكون للفرس واليونان شعر وخطب ورسائل وحكم وإن يذكر الجاحظ ذلك وهو الذي قال : « وانما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب وقارس والهند والروم والباقون هجج وأشباه الهجج »<sup>(٣٠٠)</sup> . ولكن الاعتراف بأدب هذه الأمم شيء ، والتأثر به شيء آخر ، والجاحظ الذي نقل ذلك عن أنصار الشعوبية عاد فقال : « ونحن لانستطيع أن نعلم أن الرسائل التي بأيدي الناس للفرس أنها صحيحة غير مصنوعة وقديمة غير مولدة ، إذ كان مثل ابن المقفع وسهل بن هارون وأبي عبيد الله وعبد الحميد وغيلان يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل ويصنعوا مثل تلك السير »<sup>(٣٠١)</sup> . وجاء مثل ذلك في شرح التبريزي لبيت أبي تمام :

بلى كان كالفضحاك في سطواته      بالعالمين وأنت أفرسبون

« هذا شيء أخذه الطائي من سير الفرس ، وهي كثيرة الكذب وكذلك جميع الاخبار المنقولة يعترض عليها المين كثيرا »<sup>(٣٠٢)</sup> . وفي ذلك ما يوحى بأن

(٢٩٦) البيان ج ١ ص ١٢ ، ٢٧ ، ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٢٩٧) الثالثة : بفتح الميم وضم الناء - العنوية والتنكيل .

(٢٩٨) البيان ج ٣ ص ١٤ .

(٢٩٩) جاء في فهرست ابن النديم ص ١٥ : « فرات بخط أبي عبدالله محمد بن عبدوس الجعشيارى في كتاب الوزراء تأليفه قال : « كانت الكتب والرسائل قبل ملك كئناس بن لهراسب قليلة ولم يكن لهم اقتدار على بسط الكلام واخراج المعاني بفضيح الألفاظ من النفوس » .

(٣٠٠) البيان ج ١ ص ١٣٧ ، ٢٨٤ . (٣٠١) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٩ .

(٣٠٢) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ج ٢ ص ٢٢١ ، وينظر الأدب والسياسة للدكتور العبود ص ٢٥٩ .



الفرس تلقوا كثيراً من الأخبار ووضعوا الكتب والرسائل ليثبتوا أن لهم تراثاً ، وإن لهم حضارة أثمرت في العرب ووجهت حياتهم . وقد اتساق بعضهم وراء ذلك ، وقرروا أن العرب ورثة تلك الحضارة على الرغم من شكّ الفسباء في كتب الفرس ورسائلهم . وكان الجاحظ صادق الحسّ خبيراً بما كان يصنعه الشعوبيون ، وكان غيره يشعر بأن التلفيق يشكك تلك الأخبار ويعرضها زاهية مع أن المين يعترض عليها كثيراً .

ومهما يكن من أمر فليس هنا مجال إنكار ما للأمة من لغة وأدب وحضارة ولكن الذي ينكره الباحث المدقق هو ما يذهب إليه بعضهم من أن الزخرفة التي وصلت إلى المغرب من الفرس<sup>(١٦٦)</sup> . وذلك بسبب طبيعة الفرس الذين يتكلمون بالزخرفة كلغة شديداً في حياتهم وعبارتهم<sup>(١٦٧)</sup> . ولا يختص الفرس وحدهم بهذه الزخرفة فالتراث العربي قبل الإسلام وبعضه حافل بالسوان المتصنعة والبديع ، وليس غريباً أن يزداد ذلك الكلف في القرون المتأخرة وأن يكون سمة من سمات الأدب العربي . يضاف إلى ذلك أن التناسق والتقابل والتجانس لا يختصّ أمة دون أمة ، وقد كان ذلك من أبرز ملامح الأدب العربي القديم ، وأن المبالغة لون من ألوان التعبير عند العرب قبل الإسلام وليست فناً فارسياً نشأ بسبب اسراف الفرس وغلوهم في سلوكهم . وقد كان للعرب موقف من المبالغة وحينما يحثها النقاد أشساروا إلى موقف اليونان ولم يهربوا إلى موقف الفرس ، قال قتادة بن جعفر : « إنّ الظل عندني أجود المذهبين ، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً . وقد بلغني عن بعضهم أنه قال : « أحسن الشعر أكذبه » ، وكذا يرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذاهب لغتهم »<sup>(١٦٨)</sup> . ولو كانت المبالغة خاصة بالفرس أو أنها سمة من سمات أدبهم

(١٦٦) تنظر الآراء في النشر الغني ج ١ ص ٤٤ .

(١٦٧) ينظر الأدب في ظل بني بويه ص ٢٢٨ وما بعدها .

(١٦٨) نقد الشعر ص ٦٥ .

لأشار إليها النقاد العرب كما أشاروا الى اليونان الذين تفصل بينهم وبين العرب جبال وبحار .

التلخيص :

لم يكن البيديع فارسياً وإنما هو فن عربي أصيل ، والأدلة على ذلك

كثيرة منها :

١ - ان القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر القديم وكلام العرب البيديع حفل بالوان منه ، وقد دفع ذلك ابن المعتز الى أن يؤلف كتابه «البيديع» ويقول : « قد قدّمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله - صلى الله عليه - وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار التقديس من الكلام الذي ساء المحدثون البيديع ، ليطم أن يشاروا ومسلما وأبا نواس ومن تليكم وسلك سبيلهم لم يسبقوا الى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فحرف في زمانهم حتى سبي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه »<sup>(٣٩)</sup> . ولم يكن الشعر الفارسي عند نشأته كذلك ، وإنما جاءت العناية بالبيديع متأخرة ، قال الباحث الإيراني عباس إقبال : « ويستفاد من بعض القرائن أن شعراء الفرس اهتموا بعناية خاصة بالبيديع منذ أواخر عهد السامانيين وأوائل دولة الغزنويين فقالوا أشعاراً بديعة يشتمل بها من ناحية جبالها اللفظي والمعنوي »<sup>(٤٠)</sup> . وقال المستشرق براون : « يتصور كثير من الناس أن الآداب الفارسية نشأت بانها مصطنعة متكلفة فتتلى بالصناعات البيديعية وترخر بالمجازات والاستعارات ولكن هذا الرأي ليس صحيحاً إلا فيما يتعلق بمجموعة من الآداب نشأت في كنف الفاتحين الأجانب من المغول أو الأتراك »<sup>(٤١)</sup> . وقال الدكتور عبد الوهاب عزام : « كان تشوّه الأدب الفارسي وازدهاره لي

(٣٩) البيديع ص ٦٠ .

(٤٠) حقائق الشعر ص ٦٤ .

(٤١) تاريخ الادب في ايران ص ٢٧ .

حضانة الأدب العربي وسيطرته فتبع الأدب الناصب<sup>١٤٢</sup> الأدب القديم في الصناعة الفنية التي أولع بها بعض شعراء العرب منذ القرن الثالث الهجري ثم زادت صنوفها وشاعت وعشقت حتى صيرت الشعر صناعة لفظية في القرون الأخيرة فصيغت المجازات والاستعارات الفارسية على غرار ما ألف في الأدب العربي<sup>١٤٣</sup> وطبق على النظم والنثر في اللغة الفارسية قواعد البلاغة العربية حينما صارت البلاغة قواعد ، فكانت كتب البلاغة الفارسية في قواعدها واصطلاحاتها لا تختلف كثيراً عن نظيراتها في اللغة العربية<sup>١٤٤</sup>.

٢ - ان الشاعر العباسي مسلم بن الوليد ( - ٢٠٨ هـ ) أطلق على البديع هذا اللقب ، قال أبو الفرج الأصفهاني : « وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع وهو لقب هذا الجنس البديع واللطيف ، وتبعه فيه جماعة وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي فإنه جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه »<sup>١٤٥</sup> ، وربما أخذ مصطلحه من الرواة وقد أشار الجاحظ الي ذلك بقوله : « وهذا الذي تسميه الرواة البديع »<sup>١٤٦</sup>.

٣ - ان المشاركة لم يقتصروا بالبديع كاهتمام العرب ولا سيما المغاربة لان المشاركة كانوا أكثر ميلاً الي « الأخط بالمعاني والجواهر لا بالصيغة والالفاظ والبديع »<sup>١٤٧</sup> ، والي ذلك أشار ابن خلدون وهو يتحدث عن علمي المعاني والبيان فقال : « وبالجملة فالمشاركة على هذا الفن تقوم من المغاربة وسببه - والله أعلم - أنه كمال في العلوم اللسانية ، والصنائع الكتابية توجد في العراق ، والشرق أوفر عمراً من المغرب - كما ذكرناه - أو تقول لعناية العجم وهم معظم أهل الشرق كتنسيق الرمضري وهو كلكه مبني على هذا الفن وهو أصله . وإنما اقتص بأهل المغرب من أصنافه علم البديع خاصة

(١٤٢) قصة الادب ج ١ ص ٤٤١ - ٤٤٢ .

(١٤٣) الاغانى ج ١٩ ص ٣١ .

(١٤٤) البيان والتبيين ج ٤ ص ٥٥ .

(١٤٥) شبهة الدين بن الأثير وجهوده في النقد ص ٣١٢ .

وجملوه من جملة علوم الأدب الشعرية وفرغوا له ألقاباً ، وعقدوا أبواباً ونوعوا أنواعاً ، وزعموا أنهم حصوها من لسان العرب . وإنما حصلهم على ذلك الولوع بتزيين الألفاظ وأن علم البديع سهل المآخذ وصعبت عليهم مآخذ البلاغة والبيان لدقة أقطارها ونحوض معانيها فتجافسوا عنها<sup>(١٦٦)</sup> . ومصداق ما ذكره ابن خلدون ظهور كتب البلاغة المتأثرة بالفلسفة والمنطق في الشرق كفتحاح العلوم للسكاكي ومعلم شروح التلخيص ، وظهور كتب البلاغة المتأثرة بالزعة الأدبية في الأماص العربية ومنها البديع لابن المعتز وقد الشعر لقدامة بن جعفر وكتاب الصناعتين لأبي حلال العسكري والبديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ وتحرير التحبير وبديع القرآن لابن أبي الأصعب المصري . ومن ذلك بديعيات صفي الدين الحلبي وابن جابر الاندلسي وعزالدين الموصللي وابن حجة الحموي وجلال الدين السيوطي وعائشة الباعونية وعبدالغني النابلسي وغيرهم<sup>(١٦٧)</sup> . وهؤلاء كلهم نشأوا في بيئات عربية ولم يتأثروا بالفرس وآدابهم أو يبنهج السكاكي في تحديد علوم البلاغة .

٤ - ان الجاحظ ( ٢٥٥ هـ ) ذكر أن البديع مقصور على العرب ، قال : « والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل لسان<sup>(١٦٨)</sup> . وليس ذلك تعصبا للعرب<sup>(١٦٩)</sup> وإنما هي الحقيقة التي يؤيدها

(١٦٦) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

(١٦٧) نظم قوامي الكنجوي وهو من رجال القرن الثاني عشر الميلادي - السادس الهجري - قصيدة مصنعة فسمتها مائة بيت ، وفي كل بيت لون أو أكثر من ألوان البديع . ( تاريخ الأدب في إيران ص ١٦٣ . وقد طلق المترجم في الهامش : «ههنا هو القول المشهور ولكن هناك من يشك في صحة النسب » . ولا يبعد أن يكون الشاعر الفارسي قد أخذ من البديعيات المعروفة وهي قديمة في الشعر العربي فقد ظهرت منذ القرن السادس الهجرية -

(١٦٨) البيان والتبيين ج ٤ ص ٥٥ .

(١٦٩) كما نفل ذلك من قبل ؛ ولكن البحث الجديد أظهر غير ما رأينا متنازعين بالدراسات العربية غير الدقيقة . ( نلظر كتبنا مصطلحات بلاغية ص ٨١ ، مناهج بلاغية ص ٣٢ ، فنون بلاغية ص ١٩٧ ) .

القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب جاهليه واسلامه ، وقد أخذ  
 المرس البديع من العرب حينما ألفوا كتبهم البلاغية في عهد متأخر وذكر  
 ذلك الباحث الإيراني عباس إقبال فقال : « وعلم البديع مثل طائفة أخرى  
 كبيرة من شعب الفنون الأدبية يعتبر من العلوم الخاصة باللغة العربية لأنها  
 إذا استثنينا بعض الصناعات المنعوية مثل التشبيه والاستعارة مما يعتبر  
 من الخصائص الطبيعية لكل انسان ولكل لسان فإنه بقية الصناعات البديعية  
 وعلى الخصوص اللفظية منها كالسجع والترصيع والتجنيس وغيرها قد  
 احتلت المكان الأول في اللغة العربية لأنها باتساع ألفاظها وكثرة مترادفاتها  
 قد ساعدت على إيجاد الأرض الصالحة لتبو هذه الصناعات . أما اللغة  
 الفارسية فهي لغة آرية تختلف عن العربية من عدة وجوه ، ومن أجل ذلك  
 فقد كان من باب التقليد اتخاذها لقسم كبير من هذه الصناعات البديعية ،  
 وربما ساعد على سهولة هذا التقليد دخول عدد كبير من الألفاظ العربية في  
 اللسان الفارسي فإن شعراء إيران بعد الإسلام لم يجدوا أمامهم ما يقلدونه من  
 نماذج الأشعار إلا الأشعار العربية فأخذوا يحاكونها في أسلوبها وسبكها  
 وأنشأوا قصائدهم على غرارها وسببوا احساسهم وهوانهم في قوالب  
 العروض العربي وأوزانها ، وأصبح الشاعر الإيراني بعد الإسلام لا يستطيع  
 أن يقول الشعر بلغته الفارسية مالم تكن معرفته باللغة العربية كاملة ، حافظاً  
 لأشعار العرب ، مطالباً لأقوالهم ، فكانت هذه الحال التي اضطر إليها الشعراء  
 بإيران مع ما ركب في الطبيعة الانسانية من حب التقليد دافعاً لهم على محاكاة  
 أساليب العرب والياس علومهم الأدبية في لباس فارسي جديد » (٥١) . وتوضح  
 ذلك في اعتراف صاحب « ترجمان البلاغة » بأنه ألف كتابه بعد أن لم يجد  
 كتاباً بلاغياً في الفارسية يشفي الغلة ، وانه نقل هذا العلم من العرب وطبقه

على الشعر الفارسي<sup>(٥١)</sup> ، ولعل نصر بن الحسن الرغيني سببه الى ذلك في كتابه «محاسن الكلام»<sup>(٥٢)</sup> الذي رجع اليه واقام فصول كتابه عليه .

• ان علوم العربية لم تكن وليدة العصر العباسي وانما كانت لها جذور عريقة قبل ذلك ، وقد اشار الى هذه القضية الدكتور زكي مبارك فقال : « استبعد أن يكون العرب ظلوا خالي الفهن من العلوم الأدبية الى أن اتصلوا بالفرس والروم »<sup>(٥٣)</sup> ، وقرر أن علوم اللغة العربية كانت معروفة مستمداً على كلام أحمد بن فارس الذي قال : « والدليل على صحة هذا وان القوم قد تداولوا الاغراب اننا نستقري قصيدة الحطيئة التي اولها :

شانتك أضمان ليلسى دون لظرة بواكر

ف نجد قوافيها كلها عند الترجم والأصراب لحي مرفوعة ، ولولا علم الحطيئة بذلك لأثبه أن يختلف امرأها لأن تساويها في حركة والصفة اتفاقاً من غير قصد لا يكاد يكون . فان قال قائل : فقد تواترت الروايات بأن أبا الأسود أول من وضع العربية وان التحليل أول من تكلم في العروض قيل له : نحن لا نذكر ذلك بل نقول : إن هذين العلمين قد كانا قديما وأنت عليها الأيام وقلاً في أيدي الناس ثم جندهما هذان الامامان »<sup>(٥٤)</sup> . وقال : « ومن الدليل على عرفان القضاة من الصحابة وغيرهم بالعربية كتابتهم الصحف على الذي يعلله التحويلون في ذوات الواو والياء والهمز والمد والقصر »<sup>(٥٥)</sup> . وانتهى الدكتور زكي مبارك الى القول بأن « الذي قضى به ابن فارس في نشأة النحو والعروض هو الذي قضى به نحن في نشأة البديع ، بل نشأة البديع أشهر وأوضح ، فان القرآن سجل مظهراً من مظاهر

(٥١) ترجمان البلاغة ص ٢ .

(٥٢) ترجمان البلاغة ص ٣ - ٤ .

(٥٣) الشعر الفنى ج ١ ص ٥٥ .

(٥٤) الصاحي ص ٢٧ - ٢٨ . (٥٥) الصاحي ص ٢٦ .

الزخرف والسجع فهو إذن كان موجوداً قبل الإسلام وليس السجع فقط هو الذي قيده القرآن بل أكثر الفنون البديعية أخذت شواهدنا من آيات القرآن»<sup>(٥٦)</sup> . وهذه مسألة ينبغي العناية بها والوقوف عليها ؛ لأنه إذا صح ما ذكره ابن فارس فإن كثيراً من البحوث والدراسات تتهاوى وبذلك يعود الحق الى تصابه ونال العرب شرف معرفة علوم لغتهم قبل أن يعرفوا الفرس واليونان وتأثروا بهم كما يزعم بعض الباحثين .

٦ - ان ابن النديم ذكر كثيراً من كتب الفرس التي عرفها العرب أو قتلوها مثل كتب الطب والأسرار والباء والخيلان والاختلاج والقال والزجر والمواظف والآداب والحكم وكتب مالي وأصحابه ورسائلهم<sup>(٥٧)</sup> ، وليس بينها ما يتصل بالبلاغة وإن جاء اسم « عين البلاغة » أو « عني البلاغة » ، فهو كتاب عهد كسرى أبو شروان الى ابنه<sup>(٥٨)</sup> . ولو كان للفرس كتب بلاغية لذكرها وهو الذي قال عن كتابه : « هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجود منها بلغة العرب وقلها الى أصناف العلوم وأخبار مصنفها وطبقات مؤلفيها وأسابيهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ أعمارهم وأوقات وفياتهم وأماكن بلدانهم ومناقبهم ومثالبهم منذ ابتداء كل علم اخترع الى عصرنا هذا ، وهو ستة سبع وثلاثمائة للهجرة »<sup>(٥٩)</sup> .

فالبلاغة الفارسية متأثرة بالبلاغة العربية بل هي منقولة عنها ، كما ذكر صاحب « ترجمان البلاغة » من قسما الفرس وأبنته الباحثون من فرس ومستشرقين وعرب كعباس اقبال وبراون وزكي مبارك وعبدالوهاب عزام ، وأيده تاريخ علوم اللغتين العربية والفارسية وبقيت مسألتان لأبد من الوقوف عليها وهما :

(٥٦) النشر الفسي ج ١ ص ٥٦ . وينظر بحث « بديع القرآن الكريم » في هذا الكتاب ص ١٧٤ - ١٨٨ .

(٥٧) ينظر الفهرست ص ١٣٢ ، ١٨٦ ، ٢٠٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٧٦ ، ٢٩٩ .

(٥٨) الفهرست ص ٣٧٨ . (٥٩) الفهرست ص ٢ .

الأولى : ان الجاحظ قال وهو يتحدث عن البلاغة : « قيل للفارسي ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل »<sup>(٦١)</sup> . وليس غريباً أن يكون هذا التعريف من وضع الجاحظ وهو المعروف بنسبة بعض مؤلفاته الى غيره ليقتل الناس عليها ويتجر من كيد الإعداء وحسد الحاقدين<sup>(٦٢)</sup> وليس نسي كتب الجاحظ نقل عن بلاغة الفرس إلا ما ذكره علي لسان الشعوبيين : « ومن أحب أن يبلغ صناعة البلاغة ويعرف الغريب ويتجر في اللغة فليقرأ كتاب كاروند »<sup>(٦٣)</sup> في حين أنه ذكر ترجمة الصحيفة الهندية حينما قيل : « ما البلاغة عند الهندية »<sup>(٦٤)</sup> ولو كان للفرس كتاب أو صحيفة لسمى الجاحظ الى الحصول عليها ودونها في كتابه « البيان والتبيين » كما فصل بالصحيفة الهندية التي عرضها الأشعث على الترجمة ونقلها الجاحظ عنه .

ولو ذهب الباحث ينقّر عن الفصل والوصل عند الفرس ما وجد شيئاً ، بل ينتهي الى أن العرب أول من اهتم بهذا الأسلوب وان هناك أدلة كثيرة تثبت ذلك منها :

١ - ان الفصل والوصل من أساليب كلام العرب وكان معروفاً نسي كلامهم لارتباط المعنى به ، وقد مرّ رجل بأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ومعه ثوب فقال : أتبيع الثوب ؟ فقال : لا عافاك الله . فقال أبو بكر - رضي الله عنه - : « لقد كنتم لو علمتم تعلبوا » . قل : « لا ، وعافاك الله »<sup>(٦٥)</sup> . والوقت والابتداء أو القطع والاستئناف ما عرض له القرأء والنحاة ؛ لأنه يتصل بقراءة كتاب الله وتفهيم أغراضه ومعانيه ومثل تلك الكتب معروفة وقد ذكر ابن النديم بعضها<sup>(٦٦)</sup> ، وطبع بعضها في السنوات الأخيرة .

(٦٠) البيان والتبيين ج ١ ص ٩٢ - ٩٤ .

(٦١) ينظر ما بين العداوة والحسد في رسائل الجاحظ ج ١ ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٦٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٤ .

(٦٣) البيان ج ١ ص ٩٢ - ٩٤ .

(٦٤) البيان ج ١ ص ٢٦١ . (٦٥) الفهرست ص ٢٨ - ٢٩ .



٢ - ان العرب الأقدمين ذكروا الفصل والوصل ، وأشار أبو هلال العسكري اليه بقوله : « وكان أكثرهم بن صيني إذا كان ملوك الجاهلية يقول لكتابه : « افضلوا بين كل معنى منقصر ، وصلوا اذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض » . وكان الحارث بن أبي شمر القساني يقول لكتابه المرقش : « إذا فرغ الكلام الى الابتداء ببعض غير ما أنت فيه فاقصص بينه وبين تبعته من الاقفاص ، فانك اذا حذفت الفاظك بغير ما يحسن أن تحذف به هرت التلويح عن وجهها ومالكه واستقلته الرواة » (٦٦) .

٣ - ان الفرس لم يذكروا الفصل والوصل في كتبهم التي وصلت الينا ، فليس هناك - مثلا - إشارة اليه في « ترجمان البلاغة » و « حدائق السحر » وهذا يدل على أنهم لم يهتموا به على الرغم من ان الجاحظ نسب الى الفارسي قوله إن البلاغة « معرفة الوصل من الوصل » .

٤ - ان موضوع الفصل والوصل لم يتعرض له مؤلفو البلاغة إلا في عهد متأخر ، وكانت بداية بحثه بلاغيا على يد عبدالقاهر الجرجاني ( - ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ ) في « دلائل الإعجاز » . وقد ذكر ما جاء في كتاب « البيان والتبيين » ولكنه لم ينسبه الى الفارسي ، قال : « وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة فقد جاء عن بعضهم انه سئل عما فقال : « معرفة الفصل من الوصل » ذلك لغموضه ودقة مسلكه وأنه لا يكمل لأحرار الفضية فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة » (٦٧) . وذكر الخطيب القزويني ( - ٧٣٩ هـ ) مثل ذلك (٦٨) ، ولو كان القائل فارسيا لأشار اليه عبدالقاهر والقزويني ولم يقلوا إنه جاء عن بعضهم أو ان بعض العلماء قصر البلاغة على معرفة الفصل من الوصل .

(٦٦) كتاب الصناعتين ص. ٤٤ .

(٦٧) دلائل الإعجاز ص. ١٧٠ - ١٧١ .

(٦٨) الإيضاح ص. ١٤٧ .

وليس ما جاء في « كتاب الصنائع » عنه ما قصد اليه البلاغيون حينما أدخلوه في علم اللغوي وان جاء فيه - نقلاً عن الجاحظ كما يبدو - تعريف الفارسي للبلاغة من أنها « معرفة الفصل من الوصل »<sup>(٦٨)</sup> - فالتصل والوصل عند أبي حنبل يتصل بفصول القصيدة ومقاطعها أي بأواخر الأبيات التي تتأهل مطالعها وابتدائها ، وهذا ما لم يرد عبد القاهر والبلاغيون الآخرون حينما بحثوا الموضوع وقالوا إن الوصل عطف بعض الجمل على بعض ، والفصل تركه ، ولكل منهما مواقع يصح فيها الفصل أو الوصل أو لا يصحان وهو لا يريد بها علم البلاغة الذي نقله الفرس عن العرب وإنما يريد بلاغة الكلام ، وهي معروفة في كل لغة من لغات العالم ، ولذلك لا تقف هذه الاشارات دليلاً على معرفة الفرس لعلم البلاغة ، ولا تكون شاهداً على ما زعم بعض الدارسين بعد الذي اتضح وما أثبتته الباحثون الفرس والمستشرقون .

وصفة القول : إن الفرس تأثروا بالبلاغة العربية وبنسوا دراستهم البلاغية على كتب العرب ، ولكني تتضح الصورة ويظهر الدليل ناصحاً نعرض لأقدم كتابين من كتبهم هما « ترجمان البلاغة » و « حدائق البحر » .

### البرهان :

نسب « ترجمان البلاغة » الى الشاعر الفارسي فرخي ، قال ياقوت الحموي وهو يتحدث عن « حدائق البحر » لرشيد الدين الطواط : « عارض به كتاب ترجمان البلاغة لفرخي الشاعر الفارسي »<sup>(٦٩)</sup> ، وقال حاجي خليفة : « ترجمان البلاغة » ، فارسي لفرخي الشاعر جمع فيه الصنائع البدعية »<sup>(٧٠)</sup> ،

(٦٨) كتاب الصنائع ص ٤٨ .

(٧٠) معجم الأدباء ج ٧ ص ٦١ .

(٧١) كشف القنون ج ١ ص ٣٦٦ .

وقال المستشرق سيراون : « كتاب ترجمان البلاغة من وضع فرخي وهو من الشعراء المعاصرين للفردوسي ، وقد ذكر دولتشاه اسم كتابه » (١٢٢) ، وقال : « وهو كتاب منقود قد أودى به الزمان فيما نعلم ، وربما استعمله رشيدالدين الطوطا في تأليفه كتابه « حدائق السحر » (١٢٣) . وتابعه الدكتور علي الشامي فقال : « وألف كتابا في فنون البلاغة اسمه « ترجمان البلاغة » يعتبر من النماذج الأولى لفن البلاغة باللغة الفارسية واعتسده رشيدالدين الطوطا عليه في تأليف كتابه « حدائق السحر في دقائق الشعر » (١٢٤) . وقد الباحث الإيراني عباس إقبال : « أما الأستاذ أبو الحسن علي الفرضي الشاعر السجستاني الكبير المتوفى سنة ٤٣٩هـ فقد كان - فيما نعلم - أول من كتب كتابا في محاسن الشعر الفارسي (١٢٥) ، وأول من استعمل بشكل جدي ماهر بعض الصناعات البدئية في أشعاره فأضفى على كلامه باستعمالها جمالا ولفظا بالعين . وكتاب الفرخي معروف باسم « ترجمان البلاغة » وقد ضاعت نسخته ولم تصل الي أيدينا كما أن أحدا لم ينقل اليها بابا من أبوابه . ومن أجل ذلك فنحن لانعلم على وجه التحقيق كيفية ترتيبه ولا محتوياته ولا السبب الذي دعا الي تأليفه أو المنهج التي اعتد عليها المؤلف في كتابته أو الشخص الذي أهدى اليه الكتاب إذا صح اهداؤه الي أحد من الناس ، وكل ما نعلمه أن هذا الكتاب كان في يد رشيدالدين الطوطا عند كتابته لحدائق السحر ، وأنه عارض به - كما يتول بالوثق - كتاب « ترجمان

(١٢٢) تاريخ الأدب في إيران ص ٢٠ ، وتظهر ص ١٢٢ .

(١٢٣) تاريخ الأدب في إيران ص ١٤٤ .

(١٢٤) الأدب الفارسي في العصر الفرنوي ص ٢٤٥ .

(١٢٥) سيفه نصر بن الحسن في كتابه « محاسن الكلام » وقد ذكر ذلك صاحب « ترجمان البلاغة » ص ٢ ، وذكر ناشر الكتاب نسخته المحفوظة في مكتبة الاسكورييل بإسبانية . « تنظر مقدمته ص ١٤١ » . و « محاسن الكلام » هو اسم القسم الثاني من يدبع ابن العنز وبذلك يكون نصر قد أخذ التسمية منه .

البلاغة» لفرخي الشاعر الفارسي . ولكن رشيدالدين - مع ذلك - لم يذكر لنا صراحة اسم مؤلف «ترجمان البلاغة» وربما كان سبب ذلك أنه اعتبر نفسه مقبلا على ذكر عيوب هذا الكتاب ونقد أشعاره التي ربما كانت من صنع الفرخي نفسه ، فرأى من الخير أن يتجنب ذكر اسمه حتى لا يسيء إلى ذلك الشاعر العظيم مع ما عرف عنه من الفضل ورفعة القدر . ومن أبلغ دواعي الأسف أن يضيع هذا الكتاب من بين أيدينا فإن أهميته لا تحد من ناحية قدم تاريخه ، ومن ناحية أنه مكتوب بلغة فارسية منشورة قام بتحريرها شاعر لطيف الطبع جميل الذوق فصيح الأسلوب ، ومن ناحية أنه كان مشتملا - من غير شك - على طائفة كبيرة من أقوال الشعراء والأدباء الذين عاشوا في العهد الساماني الذي يعتبر الثورة الأولى لنشأة الشعر الفارسي . ونحن لأنشك في أن رشيدالدين قد اقتبس بعض شواهد مما وجد في «ترجمان البلاغة» ولكن من دواعي الأسف أنه لم يصرح بذلك في موضع واحد من مواضع كتابه كما لم يذكر شيئا عن «ترجمان البلاغة» وسبب تأليفه وتفصيل محتوياته . ولنا تعلم فيما عدا ذلك إذا كان رشيدالدين قد استعان في تأليف «حدائق السحر» بكتاب فارسي آخر أو أنه اقتصر على هذا الكتاب الذي ذكرناه<sup>(٢٧٦)</sup> .

وذكر مثل ذلك الأستاذ أحمد آتش ناشر الكتاب وقال إن معظم مؤلفي الأدب الفارسي يذكرون أن هذا الكتاب من تأليف فرخي الشاعر الكبير في العصر الغزنوي<sup>(٢٧٧)</sup> . وكان الرطول قد ذكره وقال : «إن الملك العادل خورازم شاه التمس - لو شاء الله مضجعه - استدعاني يوما من أيام دولته التي انتظمت فيها عقود الفضل وانهدمت فيها أبنية الجهل ، فأسرعت إلى تلبية أمره وأدرت سعادة خدمته ، فأطلعتني على كتاب في معرفة بدائع الشعر الفارسي

(٢٧٦) حدائق السحر ص ٦٩ - ٧٠ ، وتنظر ص ٢٢ ، ٦٧ ، ٧١ .

(٢٧٧) ترجمان البلاغة ص ( ط ) .

يسمونه « ترجمان البلاغة » فلما راجعته وجدت أن أبيات الشواهد المسطرة في هذا الكتاب غير مستطابة وانها جميعا متكلفة النظم قد جمعت بطريقتي التصف وانها بالإضافة الى ما بها من تكلف وتعسف لا تنقل من أنواع الزلل وأصناف الخلل ، فرأيت من الواجب عليّ - أنا الناشر ، في هذه الاعتاب - أن أكتب هذا الكتاب في معرفة محاسن النظم والشر نفسي كلتا اللغتين : العربية والفارسية » (٢٨٥) .

ويتضح مما قاله القدماء والمحدثون :

- ١ - ان كتاب « ترجمان البلاغة » للشاعر الفارسي فرخي .
  - ٢ - ان رشيدالدين الوطواط بنى كتابه « حدائق السحر » على « ترجمان البلاغة » .
  - ٣ - ان الوطواط لم يذكر اسم فرخي لكي لا يسيء اليه بعد أن وصف شواهد كتابه بالتعسف والتكلف والزلل والخلل .
  - ٤ - ان الوطواط - ربما - اقتصر على « ترجمان البلاغة » عند تأليفه كتاب « حدائق السحر » .
- وكادت الحقيقة تبقى مطوية لولا أن الأستاذ أحمد آتش عثر على نسخة من « ترجمان البلاغة » في مكتبة الفاتح بتركية ضمن مجموع نسخ في أواخر شهر رمضان سنة ١٥٠٧ هـ ( ١١١٤ م ) ، وقد جاء في صفحتها الأولى « كتاب ترجمان البلاغة تصنيف محمد بن عمر الرادوياني » (٢٨٦) . وهذا يتقضى ما جاء في المصادر القديمة والحديثة في نسبة الكتاب الى فرخي المتوفى سنة

(٢٨٥) حدائق السحر ص ٨٩ .

(٢٨٦) لم يترجم الكتاب الى العربية كما ترجم حدائق السحر ، ولعل سببه ذلك انه الصق بالأمثلة الفارسية . وقد اعانني استاذي الدكتور احمد ناجي القيسي على قراءته وترجم لي ملاحظتي الناشر والمؤلف وبعض ما احتججت اليه . جزاء الله كل خير وابقاه ذخيراً للباحثين . كان هذا عام ١٩٨٢ م ، اما اليوم فعليه رحمة الله المتوفى في ١٦/٥/١٩٨٧ م .

١٣٩ هـ . والمؤلف الجديد مجهول في تاريخ الأدب الفارسي وليس له وجود في المصادر ، وقد اعتدني كتابه « ترجمان البلاغة » على كتاب محاسن الكلام « لتصر بن الحسن المرغيناني وقال في مقدمته : « وعامة أبواب هذا الكتاب خرجتها على ترتيب فصول محاسن الكلام للخواجة الامام نصر بن الحسن - رضي الله عنه - وأخذت منه شواهد<sup>(٨٠)</sup> » أي أنه رتب كتابه كما رتب الأول وأخذ أمثله منه وبذلك تميّن المصغر الثاني لكتاب « حسداتي السحر » بعد ان كان معروفاً ان الروطاط تأثر بترجمان البلاغة وحده ، لانه لم يشر الي غيره . وقد انظر الأستاذ أحمد آتش بمقابلة بعض الصفحات من الكتابين أن الأمثلة التي ذكرها الروطاط - غير أشعاره - مأخوذة من هذا الكتاب كما ان « ترجمان البلاغة » يعتدي كتاب « محاسن الكلام » ولا يختلف عنه إلا في المسائل اليسيرة كالاختلاف في بعض المصطلحات وعددها واسماها<sup>(٨١)</sup> ، وهو اختلاف غير كبير ولا يؤثر في أخذ اللاحق من السابق .

إن حضور «ترجمان البلاغة» في استايقول سنة ١٩٤٥ - قلب كثيراً ما ذكره الباحثون إذ ظهر أنه ليس للشاعر فرخي ، وان رشيدالدين الروطاط لم يصل اسم فرخي تقديراً بعد أن اتقده ، ولم يمتد على « ترجمان البلاغة » وحده وانما استعان بكتاب آخر هو « محاسن الكلام » للمرغيناني . ولعل أهم ما يلفت النظر أن صاحب « ترجمان البلاغة » يذكر أمثلة من شعر فرخي فيقول مثلاً : « قال فرخي »<sup>(٨٢)</sup> و « يقول فرخي »<sup>(٨٣)</sup> ، ولا يعقل أن يقول فرخي عن نفسه مثل ذلك وانما كان يقول ما فعله الروطاط حينما ذكر أمثلة من شعره وقال مثلاً : « ومن قولي بالعربية » و « أقول بالفارسية » و « مثله

(٨٠) ترجمان البلاغة ص ٢ - ٤ .

(٨١) انظر المقدمة التركية للكتاب ص ١ . وقد أوضحها لي الاستاذ الدكتور عرفان عبدالحميد جزاء الله كل خير .

(٨٢) ترجمان البلاغة ص ١٣ + ٤٨ .

(٨٣) ترجمان البلاغة ص ٣٣ + ٣٩ + ٤٩ + ٥١ + ٥٥ + ٥٩ + ٨٠ + ٩٣ .

قولي بالفارسية « و « من قولي البيت الآتي » (٨٤) وغير ذلك من العبارات التي تدل على أن الشعر من قله + وما يدل على أن «ترجمان البلاغة» آتلف بعد وفاة فرخي فقول الشاعر ليبي في الكتاب نفسه « إن بيت فرخي فلماذا لم يستعصري ؟ يبقى الشيخ وبسوت الفتى سرعيا » (٨٥) . وكان فرخي قد مات سنة ٤٢٩ هـ ومات استاذُه عنصري سنة ٤٣٦ او ٤٤٢ هـ .

وسبب تأليف الكتاب ان مؤلفه لم يجد في معرفة أجناس البلاغة وأقسام الصناعة ومعرفة الكلام بالترجمة والمعاني الرقيقة كتابا بالفارسية يؤنس الحر وسلي العاقل (٨٦) . وانتظر طويلا لعله يجد من يشبه مهمة التأليف ، ولكنه لم يرَ أحدا يقدم على التأليف في هذا الباب فنسب نفسه لذلك وترجم من العربية أصناف البلاغة ووضع لها أمثلة من كلام الترس بعد أن عرف كسل لوزن من ألوان البديع .

وبما المؤلف كتابه بتقديمه موجزة تحدث فيها عن الأسباب التي دفعت الى وضعه ثم بدأ بموضوعات البلاغة وأخذ يرضها واحدا واحدا كما فعل ابن المعتز في « البديع » واسامة بن منقذ في « البديع في نقد الشعر » . ومنهجه العام انه يذكر المعنى اللغوي لاسم الفن أحياء والمعنى الاصطلاحي ثم يذكر أمثلة من الشعر الفارسي . ومصطلحاته عربية وقد بلغت ثلاثة وسبعين مصطلحا ، فالكتاب عربي المصطلح ولا يعتمد كثيراً عن كتب البلاغة العربية في التحديد ، فالمؤلف يقول في الترصيع - مثلا : « الترصيع لغة هو قلم الجواهر في عقد . وتفسيره اصطلاحا ان الشاعر أو الكاتب يأتي بالكلام أقساما أقساما بحيث تكون الكلمتان متقابلتين ومتشقتين في الوزن وحروف الروي » (٨٧) . وهذا ما ذكره الطولوط أيضا فقال : « الترصيع في اللغة بمعنى

(٨٤) حدائق السحر ص ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٤ ، ١٠٢ .

(٨٥) ترجمان البلاغة ص ٣٢ .

(٨٦) بيدر ان كتاب « محاسن الكلام » لا يؤنس الحر ولا يسلي العاقل .

(٨٧) ترجمان البلاغة ص ٧ .

وضع الجواهر وغيرها في الذهب . ومعناه في أبواب البلاغة أن يقسم الكتاب أو الشاعر عباراته الى أقسام منفصلة ثم يجعل كل لفظ منها في مقابل لفظ آخر يفتق معه في الوزن وحروف الروي»<sup>(٨٨)</sup> . ولا يخرج كلام هذين الفارسين عما عرفته بلاغة العرب ، وقد قال قدامة بن جعفر عن الترصيع : « هو أن يتوخى فيه تعبير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف كما يوجد ذلك في أشعار كثير من القدماء المجيدين من التحول وغيرهم وفي أشعار الحديثين المحسنين منهم »<sup>(٨٩)</sup> . فالتعريف نهلوا من هذا المعين وذهبوا هذا المنهج ، ومثلنا أقر قدامة بكثرة هذا الفن في شعر القدماء برهن الوطواط على أنه فن عربي قديم حينما ذكر أمثلة من كتاب الله وكلام النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - وأدب فصحاء العرب أي أن هذا الفن البديعي ليس فارسياً وإنما هو عربي أصيل .

وفي « ترجمان البلاغة » أمثلة عربية ، ومن ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكلام بعض العرب<sup>(٩٠)</sup> وأبيات لمسلم بن الوليد وأبي نواس والبيهري<sup>(٩١)</sup> ، وفيه نقل عن الخليل بن أحمد الفراهيدي لمصطلح « الطائفة » ودلالاته على المتضاد<sup>(٩٢)</sup> ، وهو ما ذكره الوطواط بعد ذلك أيضاً<sup>(٩٣)</sup> . وقد أقر « ترجمان البلاغة » في الدراسات البلاغية وكان صاحب « حدائق السحر » أول من احتذى جنو مؤلفه وذكر المصطلحات العربية والتعريفات المتأخوذة من العرب ، ولكنه اختلف عنه في الاكثار من الكلام العربي فأصبح مبسراً لمن لا يعرف الفارسية جيداً .

(٨٨) حدائق السحر ص ٩٠ .

(٨٩) نقد الشعر ص ٣٨ .

(٩٠) ينظر ترجمان البلاغة ص ١١٩ - ١٢٧ .

(٩١) ترجمان البلاغة ص ١٩ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٨ .

(٩٢) ترجمان البلاغة ص ٣١ .

(٩٣) حدائق السحر ص ١١٩ .



ومن مؤلفي البلاغة الفارسية محمد بن محمد بن عبد الجليل المعروف  
برشيد الدين الوطواط الذي ينتمي نسبه الى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه  
ولذلك قيل له « العمري » . ولد في بلخ ومات بخوارزم سنة ٥٧٣هـ<sup>(٩٥)</sup> .  
وذكر دولتشاه وأمين احمد رازي انه مات سنة ٥٧٨هـ ( ١١٨٣م ) ولكن الأدرجج  
ما ذكره ياقوت والسيوطي<sup>(٩٦)</sup> .

ورشيد الدين الوطواط اديب بالعربية والفارسية قال ياقوت : « كان من  
نوادير الزمان وعجائبه ، وأقران الدرر وغرائبه ، أفضل زمانه في النظم والنثر ،  
وأعلم الناس بدقائق كلام العرب وأسرار النحو والأدب . طار في الأفاق صيته ،  
وسار في الاقاليم ذكرا ، وكان ينشئ في حاله الواحدة بيتاً بالعربية من بحر وبيتاً  
بالفارسية من بحر آخر وسليهما معا »<sup>(٩٧)</sup> . وله رسائل وعدة كتب ولكن  
« حقائق السحر في دقائق الشعر » أشهر كتبه ، وقد ألفه لابني المنظر خوارزم  
شاه وعارض به كتاب « ترجمان البلاغة » . وقد رجح الباحث الأيراني عباس  
إقبال ان الوطواط ألف كتابه بين سنتي ٥٥١ و ٥٥٨هـ ، وهو من كتب البلاغة  
المبكرة في الفارسية وكان يتلن قبل العثور على « ترجمان البلاغة » أنه أول  
كتاب وصل الى القرس بلقتم<sup>(٩٨)</sup> ، وقال عنه المستشرق براون : « هو كتاب  
شعر جنأ في البلاغة الفارسية في الشعر الفارسي »<sup>(٩٩)</sup> . وقد نضره بالفارسية  
عباس إقبال وقدّم له بتلسمات طويطة تعرّض فيها لحياة الوطواط ومؤلفاته  
ومتزاته في الشعر العربي والشعر الفارسي وطبعه في طهران سنة ١٣٠٨ الهجرية  
الشمسية ، وطبع مع ديوان الوطواط قفلاً عن طبعة إقبال . ونقله الى العربية  
الدكتور ابراهيم امين الشواربي وطبعه سنة ١٣٦٤هـ ( ١٩٤٥م ) وبذلك قدّم

(٩٤) معجم الادباء ج ٧ ص ٩١ ، بقية الوصاة ج ١ ص ٢٢٦ ، كشف الظنون ج ١  
ص ٦٢٤ .

(٩٥) تاريخ الأدب في إيران ص ١١٨ ، حقائق السحر ص ١ .

(٩٦) معجم الادباء ج ٧ ص ٩١ .

(٩٧) حقائق السحر ص ١٤١ .

(٩٨) تاريخ الأدب في إيران ص ٤١٧ .

خدمة جليلة للغة العربية لانه متأثر بكل التأثر بكتب البديع العربية وهو الى جانب ذلك « دراسة مقارنة للبلاغتين العربية والفارسية نستطيع ان نعلم بواسطتها الى أي مدى تأثر علم البديع الفارسي زميله العربي فكأن حاله في ذلك حال طائفة أخرى كثيرة من شعب العلوم الفارسية التي نشأت أولاً على غرار علوم العربية»<sup>(١٩٦)</sup>.

بدأ الوطواط كتابه بتقديم موجزة استهلها بالعربية بقوله : « الحمد لله على ما أفاض علينا من نعمة المترعة الجياض ومنه المرعة الرياض ، والصلاة على خاتم أنبيائه وسيد أسفيائه محمد وآله الأبرار وصحبه الأخيار » . وختماها بقوله : « والطلوب من الله - عز وجل - أن يعصنا من الخطأ والزلل والخطل في القول والعمل ، انه الموفق للسداد واليسر للمراد » . ثم بدأ بفنون البلاغة وأولها « الترصيع » وأخذ يعرضها واحداً واحداً كما فعل ابن المعتز في « البديع » واساعة بن منقذ في « البديع في نقد الشعر » والرادوياني في « ترجمان البلاغة » . أي أن الوطواط لم يحث البلاغة كما يحثها المتأخرون لان التقسيم الثلاثي لم يكن معروفاً في القرن السادس للهجرة ، ولذلك رتب الفنون كأوائل البلاغين . وقد استهل كتابه بالترصيع والترصيع مع التجنيس والتجنيس وانتهى بحسن التعليل ، وهذه من فنون علم البديع عند المتأخرين . ولم يتعرض للأساليب البلاغية المعروفة في علم المعاني كالتقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والقصر ، والفصل والوصل ، والتعبر والأثناء ، والإيجاز والاطناب . وقد قال الأستاذ عباس إقبال إله « اتبع في تأليفه أسلوباً جديداً أخرجه عن أن يكون تقليداً لأي كتاب عربي أو فارسي »<sup>(١٩٧)</sup> . وليس الأمر كذلك لسببين :

الأول : ان البلاغين العرب سبقوه في هذا المنهج او الأسلوب .

الثاني : ان صاحب « ترجمان البلاغة » تقدمه ورتب فنون البلاغة كترتيبه

(١٩٦) حدائق السحر ص ٧٠ .

(١٩٧) حدائق السحر ص (ك) .

ولذلك لم يكن منهج الومواط بديعاً بل كان موضع مؤاخذه من المستشرق براون الذي قال انه « في بعض المواضع لم يحسن التنظيم والترتيب »<sup>(١٠١)</sup> ولذلك لم يتخذة دليلاً عند كلامه على البديع في الأدب الفارسي .

ومنهج الومواط العام انه يذكر المعنى اللغوي للفن أحياناً ثم يأتي بالمعنى الاصطلاحي ، ويذكر أمثلة من القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام البلغاء وعلى رأسهم الامام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - والشعر العربي وشعره بالعربية والفارسية وبعض الشعر الفارسي . وهو بذلك يشبه ابن الأثير الذي رتب شواهد « البديع » وأمثله مثل هذا الترتيب إذ بدأ بالآيات القرآنية فالأحاديث النبوية فكلام الصحابة فالشعر العربي قديمه ومحدثه . وفاته في أنه كان يذكر بعد كل فن ما عيب من الشعر والكلام ليعرفه الأدباء فيتجنبوه .

وطوائف الومواط في الشعر العربي قديمه ومحدثه ، وذكر كثيراً من أشعار امسرى ، القيس وزهير بن أبي سلمى وليلى والنايفه الذبياني والنايفه الجعدي وحسان بن ثابت وعرف بن محلم وجرير ومجنون ليلى والبحثري وأبي تمام والمتنبي وأبي فراس الحمداني والمعري والسري الرفاء والأبيوردي والصاحب بن عباد والسواواء المشنقي والزمخشري والحريسي وغيرهم من الشعراء الذين ذكر أشعارهم علماء البلاغة العرب . وقد اعترف بالفضل للمتنبي وأبي فراس والبحثري واستشهد للأول في واحد وعشرين موضعاً وقال انه يتركز في « حسن التخلص »<sup>(١٠٢)</sup> . وان له يبدأ بفضاء وطريقة زهراء<sup>(١٠٣)</sup> . وعدد البحثري وأبا فراس من البرزين في السهل المتنع<sup>(١٠٤)</sup> .

لقد أولى الومواط النص العربي أهمية كبيرة وأقام عليه فنون كتابه الذي كان سرداً للأمثلة لانه لم يقسم الموضوعات كالتأخرين إلا ما جاء في بعضها

(١٠١) تاريخ الأدب في ايران ص ٣١ .

(١٠٢) حدائق السحر ص ١٢٦ .

(١٠٣) حدائق السحر ص ١٨٦ . (١٠٤) حدائق السحر ص ١٩٢ .

كالتجنيس والمقلوب ورد العجز على الصدر والتشبيه . وليس في التعرف أو التقسيم أو الامثلة شرح أو تعليق وكان الوطواط لم يطلع إلا على كتب البديع ككتاب ابن المعتز ، أو كأنه لم يستفد مما اطلع عليه من كتب البلاغة وكلام السابقين ، فهو يشير الى مثل ذلك كقوله في الاشتقاق : « ويعتبره أصحاب البلاغة نوعاً من التجنيس »<sup>(١٠٥)</sup> ، وقوله في الالتفات : « تكون هذه الصنعة كما يقول بعض أهل العلم »<sup>(١٠٦)</sup> ، وقوله في الابداع : « قال أرباب البيان إن هذه الصنعة عبارة عن نظم المعاني البديعة في اتصال حسنة بعيدة عن التكلف »<sup>(١٠٧)</sup> . ولا نعرف غرضه من ذكر « أصحاب البلاغة » و « بعض أهل العلم » و « أرباب البيان » ولعله يقترب في ذلك من معاصره الزمخشري الذي كرر كثيراً من المصطلحات كاليان والمعاني والبديع ، ولكنه لا يرد بواحد منها المصطلح الذي تعارف عليه الآخرون . ويبدو أن الوطواط اطلع على كتب غير البديع ولكنه لم يستفد منها وظل مرتبطاً بكتاب « ترجمان البلاغة » في المنهج العام .

ومصطلحات الوطواط عربية وقد بلغت خمسة وخمسين مصطلحاً يضاف إليها ستة عشر مصطلحاً تخص الشعر كالمدح والهجاء والنسيب أو التمسر والنثر كالمتنفر والمتلالم والجزالة والسلاسة والسهل المتع . وكان يذكر أحيانا عند تعريف الفن اسمه بالفارسية كالتضاد وهو « آخشج » والمدح الوجه ، وهو « پارسي موجه دو رويه باشد » والموشح وهو « برند » والرابع ، وهو « چهارسو » واللفز ، وهو « جستان » والهجاء ، وهو « نهرين »<sup>(١٠٨)</sup> . ولا يؤثر ذلك في المصطلح عند الوطواط لأن الاسماء الفارسية جاءت في التعرف أيضاً ، وبذلك يمكن القول ان « حدائق السحر » عربي المصطلح

(١٠٥) حدائق السحر ص ١٠٣ .

(١٠٦) حدائق السحر ص ١٣٤ .

(١٠٧) حدائق السحر ص ١٨٨ .

(١٠٨) حدائق السحر ص ١١٧ ، ١٣١ ، ١٦٠ - ١٦١ ، ١٧٢ ، ١٩٠ .

وإن قال الباحث الإيراني عباس اقبال « إن شعراء الفرس - كما يستفاد من كتاب حدائق السحر - وضعوا مصطلحات من عندهم لبعض الصناعات البدئية في مقابل الاصطلاحات العربية فمثلاً أسوا « رد العجز على الصدر » بالمطابق أو المصدر ، كما أسوا اللغز في لغتهم بكلمة « جيتان » واهتموا اهتماماً خاصاً بصناعة السؤال والجواب ، وكانوا يتبعون نظاماً خاصاً في التقسيم والتبسيط »<sup>(١١٦)</sup> . ولا يغير ذلك من الحقيقة شيئاً فالمتطابق أو المصدر هو رد العجز على الصدر وقد سماه البلاغيون العرب « التصدير » أيضاً ابتداءً عما يوحيه مصطلح ابن المعتز من معنى الصدر والعجز .

أما في تعريفاته فانه لا يعتمد عن العرب كثيراً فهو في رد العجز على الصدر يقول : « وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الكاتب أو الشاعر في أول كلامه المنثور أو بيته المنظوم لفظة معينة ، ثم يذكرها ثانية في آخر العبارة أو البيت وهذه الصنعة على ستة أنواع »<sup>(١١٧)</sup> . وهذا ما قاله البلاغيون العرب بل هو احتذاء لابن المعتز الذي قسمه ثلاثة أقسام وذكر له امثلة أخذ الوطواط بعضها كقول الشاعر :

سرع الى ابن العم يظم خداه      وليس الى دلي الندي يسرع<sup>(١١٨)</sup>

ونقل بعض ما استشهد به ابن المعتز من كلام الله كقوله تعالى : « ولينصركم لافتروا على الله كذبا فيسحقكم بما أنزلنا من آياتنا » وقوله : « ولقد استهزئ به رسلك من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون »<sup>(١١٩)</sup> . وبعض كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - مثل : « من مئت الله فقد آمنه الله من مئته »<sup>(١٢٠)</sup> .

(١١٦) حدائق السحر ص ٦٨ - ٦٩ . (١١٠) حدائق السحر ص ١١ .

(١١١) البديع ص ٤٨ ، حدائق السحر ص ١١ .

(١١٢) البديع ص ٤٨ ، حدائق السحر ص ١١٥ .

(١١٣) البديع ص ٤٨ ، حدائق السحر ص ١١٥ .

ويوضح أنه رشيد الدين الطولوس سار على منهج المتقدمين في عرض فنون البلاغة ، وهو يقترب في ذلك من ابن المعتز في يديه ، وإن ذكر فنوناً لم تكن مفروسة في القرن الثالث للهجرة وإنما درست بعده بقليل في « فقد الشعر » لقدماء ابن جسر و « البرهان في وجوه البيان » لمعاصره ابن وهب و « كتاب الصانعين » لأبي هلال العسكري وغيرها من الكتب التي ظهرت في القرن الرابع وما بعده . ولذلك يمكن القول إن البلاغة الفارسية أخذت من بلاغة العرب وإنما أخذتها في المصطلحات والتعريفات والأمثلة . وقد كان « حدائق السحر » إيذاناً باهتمام الفرس بالبلاغة ، ولذلك انتشر وذاع صيته وظهرت كتب تنحو نحوه منذ منتصف القرن السابع للهجرة ، وظهر « جيلة من الشعراء قضوا أعمارهم في انشاء البديعيات والتعصائد المصنوعة والمولوة » (١٩١) وهذا يدل على أن الصنعة عند الفرس لم تكن قديمة أخذها العرب منهم حينما كتبوا في البديع ، وإنما ظهرت الصنعة في عهد متأخر .

إن « ترجمان البلاغة » و « حدائق السحر » بداية البحث البلاغي عند الفرس أي هنا وليد الفكر العربي بعد الإسلام وليس كما ذهب إليه بعض الباحثين من أن العرب تأثروا بالخرقة القولية والبديع الفارسي . ويتضح بالموازنة بين الكتابين وكتب البلاغة العربية أنها يتبعان من المعين العربي وإنما يتفان في أسأهها :

١ - أنها لم يقسا البلاغة الى علومها الثلاثة - المعاني والبيان والبديع لأن هذا التقسيم حادث بعد القرن السادس على يد السكاكي المتوفى سنة ٦٣٦ هـ .

٢ - أنها ربما فنون البلاغة كترتيب ابن المعتز في يديه ، ولاسيما القسم الثاني منه الخاص بحاسن الكلام ، أي أنها جاءت بالفنون واحداً بعد واحد من غير ترتيب خاص .

٣ - انهما ذكرا المصطلح العربي ووضعاه عنوانا لكل فن ، فالترصيع والتجنيس والسجع والاستعارة والتشبيه وتأكيد المدح بما يشبهه الذم ومراعاة الظهير والاعتات وتجاهل المعارف وحسن التعليل وغيرها هي أساس الكتابين .

٤ - انهما عرفنا الفن وذكرنا أمثله من غير تقسيم عقلي دقيق أو شرح وتعليل ، وبذلك اقتربا من ابن المعتز الذي لم يفعل أكثر من ذلك إلا ما جاء من فصل الأمثلة المصنعة عن الرديئة أو القبيحة .  
واختلف المؤلفان في بعض السائل منها :

١ - ان صاحب « ترجمان البلاغة » ذكر ثلاثة وسبعين فنا من غير ما ينقسم بعضها الى أقسام ، وذكر الوطواط خمسة وخمسين فنا من غير الالفاظ والمصطلحات التي ذكرها في آخر الكتاب وهي ستة عشر لونا .

٢ - انهما اختلفا قليلا في ترتيب الفنون ، فيها يبدآن بالترصيع والترصيع مع التجنيس والتجنيس ، ثم يبدأ بعض الاختلاف فيكون عند الاول : المقلوب والمقتضب والمضارعة والمطابقة والمتضاد والاعتات واعنات القرينة والاستعارة والتشبيه وحسن المطالع وحسن المخالص وحسن المقاطع التي آخر ذلك . ويكون عند الثاني بعد التجنيس : الاشتقاق والأسجاع والمقلوبات ورد العجز على الصفر والمتضاد والاعتات وتضمنين الزدوج والاستعارة وحسن المطالع وحسن التخلص وحسن التقطع وحسن الطلب ومراعاة الظهير التي آخر ذلك . وليس في هذا الاختلاف اليسير ما يغير شيئا من طريقة المؤلفين لانهما لم يتخذا منهجا دقيقا كما فعل قدامة بن جعفر وأبو هلال العسكري وغيرها من تلاميذ ابن المعتز وسبقا للمارسين .

٣ - انهما اختلفا في بعض الاختلاف في تسمية بعض المصطلحات وان كانت عربية ، فالمقتضب هو الاشتقاق او الاقتضاب ، وحسن المطالع

والمقاطع والمخالف هي حسن المطلق والمقطع والتخلص . وهذا الاختلاف لا يؤدي الى تفاوت كبير بين المؤلفين ، وكان البلاغيون العرب قد اختلفوا قبلها وبينها في اطلاق المصطلحات ولكنها كانت تدل على فنون معينة استقرت في كتب المتأخرين .

٤ - انهما اختلفا قليلا في بعض اقسام الفنون فصاحب « ترجمان البلاغة » قسم التجنيس الى المطلق والمركب والمردود والزائد ، وقسمه الوطواط الى التام والناقص والزائد والمركب والمكرر والمطرف وتجنيس الخط . وقسم الاول التنبيه الى المكني والمرجوع عنه والشرطي والمكسوس والمزدوج ، وقسم الثاني الى المطلق والمشروط والكتابة والتسوية والعكس والاضمار والتضليل . وليس في ذلك اختلاف كبير إذا نظرنا الى دلالة كل قسم .

٥ - إن معظم أمثلة الرادوياني فارسية ومعظم أمثلة الوطواط عربية ، ولذلك جاء كتاب الثاني أقرب الى الروح العربية . ولعل سبب ذلك ان الوطواط كان أديبا بالعربية والفارسية وانه كان أكثر التصاقا بكتب البلاغة العربية وتمثل أساليبها والتأثر بفنونها ، ولذلك انتقد كتاب الأول وقال إن شواهد « غير مستطابة وانها جميعها متكلفة النظم قد جمعت بطريق التعسف » وانها « لا تخلص من انواع الزلل وأصناف الخلل » . وقد يكون ذلك سر ابتعاد الأدباء عن « ترجمان البلاغة » وتسيان صاحبه ، واقترابهم من « حدائق السحر » والاشادة ببلوغه . وقد عرف العرب وشيخنا الدين الوطواط وكان شعراء وثره العربيان أمثلة ترددت في كتبهم المتأخرة ، وتأثر به فخرالدين الرازي ( ٦٠٦هـ ) ونقل بعض كلامه وأمثاله ، وفعل مثله السكاكي ( ٦٢٦هـ ) والخطيب القزويني ( ٦٣٩هـ ) وشراح التلخيص (١١٠) . ويدل ذلك على أن الكتب العربية كانت تعد المؤلفات

(١١٥) ينظر البلاغة عند السكاكي ص ٢٤٢ وما بعدها .



الفارسية وليدها ، وأنها لم تخرج من الرجوع إليها ما دامت تعرف من نبح عربي أصيل . ولعل الباحث بعد ذلك يرى أن علم البلاغة عند الفرس نشأ في كنف البلاغة العربية ولم يكن لنا معروفاً قبيل أن تستظل إيران بظل الإسلام وتتخذ العربية لغةً للتعبير ومنهاجا تسير عليه في مؤلفاتها وتدوين علومها ، ويجد الذين يذهبون إلى غير ذلك قد أسلمتهم بعض الدراسات ، فالدكتور طه حسين لم يكتب بما ذهب إليه من أن البيان العربي وثيق الصلة بالبيان اليوناني وإنما حدثت تلميذه الدكتور زكي مبارك على الرجوع إلى تاريخ الآداب الفارسية ليعرف من هم الكتاب الذين أوحوا إلى كتاب العربية فنون البديع . وجاء الرد من المستشرقين والفرس واعتزلوا بأن البلاغة الفارسية نشأت بعد الإسلام متأثرة بالبلاغة العربية ، وإن فنون البديع لم تعرف عندهم إلا في عهد متأخر .

تلك وثقة على أثر البلاغة العربية في البلاغة الفارسية ، وهو موضوع شغلنا به طويلاً وكنا نرى أن التعميق بالفارسية أولى منا ببعضه والخوض في مساره ، ولكن الأحوال مضت وحسبنا أن نظل بعض الأوهام عالقة بأقلام بعض الباحثين فجزينا الخوض فيه على الرغم من قلة الأداة . ولعل القادرين - إن هداهم الله تعالى - والمثقفين يكملون ما بدأنا ، ويصححون ما شاع في الدراسات اللغوية والأدبية والنقدية ، ويكتبون تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في ضوء الحقيقة الناصعة والدلائل التي .

### المصادر :

- ١ - الأدب الفارسي في العصر الفرنوي - الدكتور علي الشاربي . تونس ١٩٦٥ م .
- ٢ - الأدب في ظل بني بويه - الدكتور محمود قنناوي الزهيري . القاهرة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩ م .
- ٣ - الأدب المقارن - الدكتور محمد فتحي هلال . القاهرة ١٩٦٢ م .
- ٤ - الأدب والسياسة منذ قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الثالث الهجري - الدكتور عبد الكريم توفيق العبود . رسالة دكتوراه من كلية الآداب بجامعة بغداد سنة ١٩٧٧ م . ( على الآلة الكتابة ) .

- ٥ - الأفاني - أبو الفرج الأصفهاني . تحقيق عبدالكريم إبراهيم العزباوي .  
القاهرة ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م .
- ٦ - الأيضاح - الخطيب القزويني . القاهرة . ( مطبعة السنة الحميدية ) .
- ٧ - البديع عبادته بن المعتز . طبعة كراتشكوفسكي . لندن ١٩٣٥م .
- ٨ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - جلال الدين السيوطي . تحقيق  
محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- ٩ - البلاغة عند السكاكي - الدكتور أحمد مطلوب . بغداد ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- ١٠ - البيان والتهيين - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبد السلام  
محمد هارون . القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .
- ١١ - تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي - إدوارد غيبيل  
براون . ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربي القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .
- ١٢ - ترجمان البلاغة - محمد بن عمر الرادوياني . تحقيق أحمد الش .  
( باللغة الفارسية ) استانبول - تركيا ١٩٤٩م .
- ١٣ - حدائق السحر في دقائق الشعر - رشيد الدين محمد العمري الوطواط .  
ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربي . القاهرة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م .
- ١٤ - حدائق السحر في دقائق الشعر - رشيد الدين محمد العمري الوطواط .  
( باللغة الفارسية ) طهران ١٣٣٩هـ .
- ١٥ - الحياة العاطفية بين العنبرية والصوفية - الدكتور محمد فتحي هلال .  
القاهرة ١٩٧٦م .
- ١٦ - دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني . تحقيق محمد رشيد رضا . الطبعة  
الخامسة - القاهرة ١٣٧٢هـ .
- ١٧ - ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي . تحقيق محمد عبده عزام .  
دار المعارف - القاهرة ١٩٦٤م .
- ١٨ - رسائل البهاء - محمد كرد علي . الطبعة الرابعة - القاهرة ١٣٧٤هـ -  
١٩٥٤م .
- ١٩ - رسائل الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- ٢٠ - الصحابي - أحمد بن فارس . تحقيق الدكتور مصطفى الشويبي . بيروت  
١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م .
- ٢١ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا - أبو العباس أحمد بن علي القلشندي .  
القاهرة ١٩٦٣ ( عن طبعة دار الكتب المصرية ) .

- ٢٢ - ضحى الإسلام - أحمد أمين - الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٥٢ هـ -  
١٩٣٤ م .
- ٢٣ - ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد - الدكتور محمد زغلول سلام  
القاهرة - الطبعة الأولى .
- ٢٤ - فجر الإسلام - أحمد أمين - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م .
- ٢٥ - فنون بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب - بيروت ١٣٦٥ هـ - ١٩٧٥ م
- ٢٦ - المهرست - أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب المعروف بابن النديم - تحقيق  
رضا نجد ، طهران ١٣٩٦ هـ - ١٩٧١ م .
- ٢٧ - قصة الأدب في العالم - أحمد أمين وزكي نجيب محمود . القاهرة ١٩٤٢ م .
- ٢٨ - قصة الحضارة - ول ديورانت ، ترجمة محمد بدران ، القاهرة .
- ٢٩ - القصة في الأدب الفارسي - الدكتور أمين عبد المجيد بسوي - القاهرة  
١٩٦٤ م .
- ٣٠ - كتاب الصناعتين - أبو هلال العسكري - تحقيق علي محمد البجاوي  
ومحمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .
- ٣١ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - الحاج خليفة - منشورات  
مكتبة المثنى ببغداد ( بالأوفست ) .
- ٣٢ - مصطلحات بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب ببغداد ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- ٣٣ - مظاهر تآلف اللغة العربية في اللغة الفارسية - الدكتور حسين علي  
محفوظ - ابحاث قدم الى ندوة الاضطهاد اللغوي في الاحواز التي عقدت  
ببغداد بين ٩ - ١١ كانون الثاني سنة ١٩٨٢ م ) .
- ٣٤ - معجم الأدباء - باقوت العموي - طبعة مرفيوت الثانية . القاهرة ١٩٢٣ م .
- ٣٥ - المعجم الأدبي - الدكتور جيبور عبدالنور - بيروت ١٩٧٩ م .
- ٣٦ - مقدمة ابن خلدون - عبدالرحمن بن خلدون المغربي - دار الاكتاف لبيروت .
- ٣٧ - مناهج بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب - بيروت ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ٣٨ - موقف النجم من لغة العرب - الدكتور أحمد ناجي القيسي ، ( بحث قدم  
الى ندوة الاضطهاد اللغوي في الاحواز التي عقدت ببغداد بين ٩ - ١١  
كانون الثاني سنة ١٩٨٢ م ) .

- ٢٩ - النشر الفني في القرن الرابع - الدكتور زكي ميساريك . الطبعة الثانية -  
القاهرة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .
- ٣٠ - نقد الشعر - قدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى . القاهرة ١٩٦٢م .
- ٣١ - نقد الشعر - التسوية الى قدامة بن جعفر ، تحقيق الدكتور طه حسين  
وعبد الحميد العبادي . الطبعة الرابعة - القاهرة ١٩٣٨م .



## البلاغة عند السيوطي

( ١ )

كان منهج السكاكي ( - ٩٢٦هـ ) آخر ما تلققه المؤلفون في البلاغة ، وقد تخصص القسم الثالث من كتابه « مفتاح العلوم » وشرح كثيراً ، وسيطر على الدرس البلاغي حتى هذه الأيام . وكان عبدالرحمن جلال الدين السيوطي ( - ٩١١هـ ) ممن أسهم في الدرس البلاغي في القرن التاسع للهجرة ، ووضع عدة كتب في البلاغة منها : نكت على التلخيص سماه « الانصاح » ، و « عقود الجبان في علم المعاني والبيان » وشرحه ، و « شرح أبيات تلخيص المفتاح » ومختصره ، و « نكت على حاشية الطول » للفري ، و « حاشية على المختصر » ، والبديعية المسماة « نظم البديع في مدح خير شفيح » وشرحها و « اللطائف المصاغة في التصاغة والبلاغة » ، و « الجعج والتفرق في أنواع البديع » و « النفاة » وشرحها « تمام الدراية لقراء النفاة » ، و « جنى الجناس » . وتحدث عن البلاغة في كتبه الأخرى ككتاب « التحبير في علوم التفسير » و « معترك الأثران في إعجاز القرآن » و « الاثنان في علوم القرآن » و « الزهر في علوم اللغة وأثرها »<sup>(١)</sup> . وتشمل هذه الكتب منهجين مختلفين في دراسة البلاغة :

١- كان السيوطي من أواخر الذين جمعوا بين اللوق والقاعدة في البلاغة ، وقد شاركت في مؤتمر السيوطي الذي عقدته جامعة مؤتة بالأردن ، وقدمت هذا البحث فيه صباح الثلاثاء الخامس من تشرين الأول ١٩٩٢م الموافق للتاسع عشر من ربيع الثاني ١٤١٩هـ .  
وأنا أشتهر في هذا الكتاب تسعة للبحوث البلاغية .

٢- ينظر القزويني وشروح التلخيص من ٦٠٢ وما بعدها ومناهج بلاغية من ٢١٢ ، ٢٤١ ، وينظر كتبه البلاغية في السيوطي التحري من ١٥٨ ، وجلال الدين السيوطي من ٢٦٤ وما بعدها .

الأول : دراسة البلاغة في كتب علوم القرآن وإيجازه من غير تصنيفها  
إلى علومها الثلاثة المعروفة .

الأخر : دراسة البلاغة من خلال منهج السكاكي الذي أرساه الخطيب  
القرظيني ( ١٧٣٩ م ) بتأليفه للقسم الثالث من « مفتاح العلوم » ويشرحه  
الذي سماه « الأيضاح » ، وهو منهج يقسم البلاغة إلى ثلاثة علوم : المعاني ،  
والبيان ، والبديع .

وقد اعطى الدكتور محمد علي رزق الخفاجي تصوراً لجهد السيوطي  
في البلاغة فقال : إن "خطواته « تتدرج من الأعم إلى الأخص » فقد بدأ  
بالاعجاز القرآني ، واتجه إلى الاعجاز البلاغي ، ثم إلى البلاغة بعلومها الثلاثة ،  
ثم اتجه إلى البديع ، وأخيراً ينتهي به المطاف في البحث البلاغي إلى القول  
في لون واحد من ألوان البديع » . ثم قال بعد أن ذكر بعض كتب السيوطي  
التي تعرضت للبلاغة : « ومعنى هذا أن السيوطي تفرجت جهوده البلاغية  
من الاعجاز البلاغي للقرآن ، ثم إلى تناول علوم البلاغة ثم اقتل إلى علم  
البديع ، ثم انتهى به المطاف إلى التخصص الدقيق عندما تناول فناً بديعياً  
واحداً وألف فيه كتاباً هو « جنس الجناس »<sup>(١٢)</sup> . والنظر في تاريخ الانتهاء من  
بعض كتبه يؤيد ما ذهب إليه الباحث ويرسم صورة للتدرج في السرد  
البلاغي ، ولعل كتاب « التجويد في علم التصدير » من أقدم الكتب التي  
تعرض السيوطي فيها للبلاغة ، إذ ذكره في « الألفسان »<sup>(١٣)</sup> ، وذكر بعض  
موضوعات البلاغة وهي : الجواز ، والاستعارة ، والتشبيه ، والكتابة  
والتعرض ، والإيجاز والأطناب والمساواة ، والفصل والوصل ، والقصر ،  
والاحتباك ، والقول بالموجب ، والمطابقة والمجانسة ، والتورية والاستخدام ،  
واللف والنشر ، والألفاظ . وقد انتهى من تأليفه سنة اثنتين وسبعين

٢ . مقدمة جنس الجناس من ٩-١٠ .

٣ . الألفسان في علوم القرآن ج ١ ص ٤٥ .

ولمالمائة ، وكتبه من هو في طبقة أسياعه من أولى التحقيق<sup>(١)</sup> . وألف كتاب «مترك الاقران» قبل تأليفه «الاتقان» الذي ورد فيه اسم الكتاب ، قال في النوع التاسع والثلاثين ، وهو معرفة الوجوه والنظائر : « وقد أوردت في هذا الفن كتابا سيئه معترك الاقران في مشترك القرآن »<sup>(٢)</sup> ، ولما في هذا الكتاب من كتاب «التحبير» ، أي أنه تحدث عن موضوعات البلاغة عند كلامه على وجوه الإعجاز الخمسة والثلاثين والموضوعات التي تطلق اليها هي : الحقيقة والمجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والتعريض ، والإيجاز والأطناب ، والبديع ، والخبر والأشياء .

والسيوطي في هذا الكتاب وفي « التحبير » لم يقسم البلاغة الى علومها الثلاثة وإنما تعرض لها بوصفها أنواعا من علوم القرآن أو وجوها من وجوه إعجازه ، ولكنه لم يخرج في معالجة الموضوعات عن التراث البلاغي الذي وصل اليه ، ويكاد كلامه يكون إعادة لما ذكره السكاكي والقزويني وشراح التلخيص ، فهو في نوع التشبيه - مثلا - يعرفه كما عرفه السكاكي باعتبار طرفيه ، وباعتبار وجهه ، وباعتبار الاداة<sup>(٣)</sup> . ونهج في « الاتقان » نهجه في « معترك الاقران » وقد عكسه فنون البلاغة من علوم القرآن وتحدث عنها من غير أن يقسمها الى علومها الثلاثة . وتبدأ بمباحث البلاغة من النوع الثاني والخسين وهي : الحقيقة والمجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والكناية والتعريض ، والحصر والاختصاص ، والإيجاز والأطناب ، والخبر والأشياء ، والبديع . وهذه هي الموضوعات التي عالجها في « معترك الاقران » .

وبلاحظ انه بدأ في الكتابين بموضوعات علم البيان ، ثم قفاهما بموضوعات علم المعاني ، ثم بموضوعات علم البديع الذي لم يقسه الى

٤. الاتقان ج ١ ص ٥ .

٥. الاتقان ج ١ ص ١١٢ .

٦. ينظر معترك الاقران في اعجاز القرآن ج ١ ص ٢٦٩ وما بعدها .

محسنة لفظية ومعنوية ، وإن<sup>٧</sup> أشار الى أنه التجنيس أو الجناس « من المعان اللفظية لا المعنوية »<sup>(٨)</sup> وهذا تقسيم معروف في الدرس البلاغي . وقد أخذ به السيوطي في كتيبه التي اتخذ فيها منهج السكاكي سبيلا . ولم يتحدث عن الحجج في نوع البديع ؛ ، وإنما تكلم عليه في النوع التاسع والخسين ، وهو فواصل الآي ، وألحق به نوعين بديعيين هما : التبريع أو التروام ، ولزوم ما لا يلزم .

وبحث في كتاب « الزهر » القصاحة ، والحذف والاختصار ، والمجاز ، والاستعارة ، والجناس الذي سماه « المتشرك » وأدخل فيه الاضداد<sup>(٩)</sup> . وليس للسيوطي في هذه المباحث سوى الجمع والترتيب وتلخيص أقوال السابقين ، فهو في الحقيقة والمجاز - مثلا - لم يخرج عما ذكره أحمد بن فارس في فقه اللغة ، وابن جنبي في الخصائص ، وفخرالدين الرازي في نهاية الأيجاز<sup>(١٠)</sup> ، ولم يخرج عما ذكر القزويني في التلخيص والايضاح ، ونقل آراء المتقدمين . لقد جاءت موضوعات البلاغة في هذه الكتب خدمة للقرآن الكريم ، ولقحة اللغة ، ولذلك لم يقصها كما قصها السكاكي والقزويني ومن جاء بعدهما من الملخصين والشراح ، ولكنه اتخذ من منهج السكاكي سبيلا في كتيبه التي خصصها للبلاغة ، ولذلك جاءت صورة ما استقر في عهده . ولعل كتاب « النقاية » - الذي لم يخلص للبلاغة لانه تضمن أربعة عشر علما - أوضح شاهد على تحول السيوطي الى منهج السكاكي إذ خصص ثلاثة علوم منه للمعاني والبيان والبديع ، وجاء كلامه عليها وعلى العلوم الأخرى مقتضبا ، فشرحه بكتاب « إتمام الدراية لقراء النقاية » الذي فرغ من تأليفه يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين

٧. اللسان ج ٢ ص ٩١ ، وينظر معترك الإفران ج ١ ص ٩٠٢ .

٨. ينظر الزهر ج ١ ص ٣٦٩ ، ٣٨٧ .

٩. ينظر الزهر ج ١ ص ٣٥٥ .



وثمالة للهجرة<sup>(١٠)</sup> ، وهو في هذين الكتابين يتجه اتجاه الكاكي  
والقروني في التقسيم والعرض والامثلة .

وسار على المنهج نفسه في كتبه البلاغية ، وقدم أرجوزة في ألف بيت ،  
تضمنت تلخيص القروني وسماها « عقود الجمان » . قال في أولها :-

|                             |  |
|-----------------------------|--|
| قال الفقيه عابد الرحمن      | الحمد لله على البيان                     |
| وأفضل الصلاة والسلام        | على النبي أضح الأمام                     |
| وهذه أرجوزة مثل الجمان      | ضمنها علم العاني والبيان                 |
| لخصت فيها ما حوى التلخيص مع | ضم زيادات كاشال اللسع                    |
| ما بين اصلاح لما يتقد       | وذكر أنباء لها يعتمد                     |
| وظم ما فرقته للمثبه         | والله ربي أسأل النفع به                  |
| وأن يزكي عملي ويعرضا        | عن سوءه وإن ينيلنا الرضا <sup>(١١)</sup> |

وانتهى من نظمها يوم الأحد سلخ جمدى الثانية سنة اثنين وسبعين  
وثمالة للهجرة ، وقد اشار الى ذلك فقال :

|                          |   |
|--------------------------|---|
| وتم ذا نظم بتيسر الأحد   | سلخ جمدى الثاني في يوم الأحد              |
| من عام اثنين وسبعين التي | بعد ثمانمائة للهجرة                       |
| في ألف بيت كالنجوم زهر   | وكالرياض فاح منها الزهر                   |
| أرجوزة لميدة في أهلها    | اذ لم يكن في غيرها كتابها <sup>(١٢)</sup> |

ورتب علوم البلاغة وموضوعاتها كما رتبها القروني في تلخيصه  
وايضاحه ، فبدأ بالنصاحة والبلاغة ، ثم أخذ يعرض موضوعات علوم البلاغة

١٠ . العام القرابية لقراء النقابة ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

١١ . شرح عقود الجمان ص ٢ . ١٢ . المصدر نفسه ص ١٧٦ .

الثلاثة المعروفة . ورأى ان الأرجوزة تحتاج الى شرح لموضع « شرح عقود الجبان » الذي انتهى من تأليفه يوم الأحد خامس ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثمانمائة<sup>١٣٦</sup> ، وقال في شرح آياتها الأولى : « حاصل هذه الآيات ان هذه الأرجوزة حاوية لما في تلخيص المتاح مع تلخيص في العبارة ، وترك كثير من الأمثلة والتعالييل ، معوضا عنها زيادات حسنة ، بعضها اغراض عليه ، وبعضها ليس كذلك ، وفيه أبحاث تلقنتها عن شيخنا الامام محيي الدين الكافي ، وهو المراد حيث أطلق فيها ، وربما قدمت وأخرت للمناسبة . ثم من الزيادات ما هو سيز بقلت ومنه ما ليس كذلك فأميزه هنا<sup>١٣٧</sup> . »  
وتضح في هذا النص :

- ١ . ان الأرجوزة تضم ما في تلخيص القزويني .
- ٢ . ان فيها تلخيصا في العبارة .
- ٣ . ان فيها تركا لكثير من الأمثلة والتعليلات .
- ٤ . ان فيها زيادات حسنة .
- ٥ . أن فيها بحوثا تلقنها عن شيخه الكافي .

وهذا ما يميزها عن كتاب « التلخيص » ويجعلها أكثر يسرا ، وأقرب الى النفوس ، ولا سيما شرحها الذي امتاز بالسهولة والوضوح . وقد شلت زيادات السيوطي على القزويني معظم موضوعات البلاغة فهو في بيته :

يوصف بالمصاححة المركب      ومفرد ومنشئي مرتب  
وغير ثان صيغته<sup>١٣٨</sup> بالبلاغته      ومثلها في ذلك البراعة

يقول : « والبراعة مثل البلاغة فيقال متكلم بارع وكلام بارع ، ولا يقال : كلمة بارة وقد جعلها القاضي أبو بكر في الاتصاف بما يقرب من حد البلاغة

١٣ . المصدر نفسه ص ١٧٦ .

١٤ . المصدر نفسه ص ٢ .

وأصلها الجهور وذكرها هنا من زوائد «<sup>١١٥</sup>» وهو في بيته :

محتمل للصدق والكذب الغير وغيره الإنشاء ولا ثالث قر

يقول : « هذا البيت من زيادتي ، إلا أن في التلخيص إشارة إليه في بيان وجه الضرر ، وحاصله أن الكلام إما غير أو انشاء لا ثالث لها »<sup>١١٦</sup> . وكان الفزوي قد قال : « لأن الكلام إما غير أو انشاء لا » إن كان نسبه خارج تطابقه أو لا تطابقه فخير ، وإلا فانشاء »<sup>١١٧</sup> .

وهو قسي بيته :-

أو كونه معينا أو ادعى أو المقام فيسق أو سعا

يقول : في حذف المسند إليه : « ومنها ضيق المقام وهو من زيادتي وذكره في الإيضاح ومثله الطيبي في التبيان »<sup>١١٨</sup> . وتتضح زيادات السيوطي في فنون البديع ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : « وذكر صاحب التلخيص من البديع المعنوي ثلاثين نوعا ، ومن اللغوي سبعة ، وذكر في أمثالها أموراً ملحقة بها تصلح أن تعد أنواعا آخر ، وقد زدت عليه الجم الغير »<sup>١١٩</sup> ومن ذلك : التوقف ، والسلب والإيجاب ، والتفاير ، ويسى التلطف ، والترشيح ، والتوهيم ، والتنضيل ، والتسليم ، والجناس المعنوي ، والتسبيغ ، والفرائد ، وغير ذلك من فنون التي تبارى علماء البلاغة - ولا سيما أصحاب البديعيات - في تنوعها والاكثار منها .

وأما هذه الزوائد الأربعة وشرحها ولولا ذلك لجاءت في أقل من ألف بيت . قال السيوطي : « وأنا بلغت ذلك لما فيها من الزوائد الجيدة ،

١٥ . المصدر نفسه ص ٤ .

١٦ . المصدر نفسه ص ٩ .

١٧ . التلخيص ص ٢٨ .

١٨ . شرح عقود الجبان ص ١١ ، وينظر الإيضاح ص ٢١ ، والتبيان ص ٤٠ .

١٩ . المصدر نفسه ص ١٠٥ .

ولو اقتصرنا على ما في التلخيص لم نزد على النصف من ذلك إلا قليلا» (٢٠).  
ولم يشأ السيوطي أن تخلو آثاره من بديعية يزين بها كتبه فنظم بديعية « ظم  
البديع في مدح خير شفيخ » ، وهي مائة وأربعون بيتا مشتملة على مثلها  
من الأنواع ، وسطلعها :

من العتيق ومن تذكاري ذي سلم براعة العسج في استهلالها بدم  
عارض فيها بديعية ابن حجة الحسوي التي مطلعها :

لي في ابتداء مدحك يا عرب ذي سلم براعة تستهل الدمع في العلم  
وضمنها اسم النوع البديعي كما فعل الحسوي قال : « فهذه بديعية  
مدحت فيها من وجب على الخلق امتداحه وتحلى بفلائد اوصافه الكريمة  
مداحه ، معارضا بها بديعية الشاعر الماهر يحيى الدين أبي بكر بن حنظلي التوريبة باسم  
النوع البديعي ضارعا الى الله تعالى أن يمن علي بالتعلي بأجمل الاوصاف» (٢١).  
وقد قلنا قبل تأليف شرح عقود الجنان : قال : «وقولي في بديعيتي :

روض ودم وراح رعد وود وزر والزر ووال دواداء وزد ورم (٢٢)

وقبل « جنى الجناس » قال في خاتمة الجناس المعنوي : « ولم يلم أحد  
من أصحاب البديعيات بشيء من ذلك ، بل جروا على قطار الصفي فصا  
أثرا بظائل ، خصوصا بيت ابن حجة فانه من أسج اليوت ، وهو مع ما فيه من  
الجميل والمخز أوهمي من بيت المنكبوت ، وقد تعبه عليه البارزي ، وأما  
التواحي فنأدى عليه متاداة اللحم السين ، وهو معذور ، وقد كنت لم  
أقله في بديعيتي قلنا اجعل هذا الانجلاء ظنته فيها قلت :

حوى الجمال بعباءه وصوره وخاطبه الطبا والبطن بالكلم

كثيت بالبطن عن الجبال ليجانس الجمال» (٢٣) .

٢٠ - المصدر نفسه ص ١٧٦ .

٢١ - ينظر الصيغ البديعي ص ١١٩ ، ومقدمة جنى الجناس ص ٢١ .

٢٢ - شرح عقود الجنان ص ١٥٦ . ٢٣ - جنى الجناس ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

وأراد أن يورد كتاباً لنوع من أنواع البدع فالف «جنى الجناس» قال في مقدمته : « هذا كتاب ألفته في أقسام الجناس التي استخرجتها وحصرتها ولم أسبق إلى ذلك ، ووصلتها إلى نحو الأربعمائة قسم ، وأكثرت فيها من إيراد شواهدها القرآنية والحديثية والشعرية ، وغالب ما أوردته من القرآنية والحديثية أنا الذي استخرجه ولم أسبق إلى استخراجها ، وقد يكون في الشاهد الشعري عدة جناسات فأذكره في أول موافقه واستغني عن إعادته فيما بعد وسيت «جنى الجناس» وبالله أعود رب الناس من شر الوسواس الخناس فأقول : أصول أنواع الأجناس ثلاثة عشر نوعاً تحت كل نوع منها عدة أنواع <sup>(٢٤)</sup> . وهذه الأصول هي : التام المفرد ، والتام المركب ، والمغاير ، والخطي أو المصحف ، والمخالف ، والمطعم ، والتجنيس الترجيح ، والجناس اللفظي ، والمقارب ، والمطلق ، والشوش ، والجناس المعنوي ، والتجنيس المضاف ، وتبدو في هذا الكتاب التقسيمات الكثيرة للجناس : والشواهد والامثلة الكثيرة لتلك الأنواع . ولعل هذا الكتاب آخر ما ألف السيوطي في البلاغة فقد ألفه بعد عودته من مكة المكرمة سنة تسع وستين وثمانمائة بأربعين عاماً . قال وهو يتحدث عن أحد أنواع الجناس التام : « وأظن أنني رأيت من ذكر هذا النوع أزيد من أربعين سنة بسكة الشرفة في يدعية غربية ليوسف الغلاني ، وقلت فيه إذ ذلك ، وأخته ساء اللسع <sup>(٢٥)</sup> » وقال : « وقلت قديماً وكتبها هي الحافظ نجم الدين بن لهد بسكة سنة تسع وستين وثمانمائة <sup>(٢٦)</sup> . ومعنى هذا أن السيوطي ألف « جنى الجناس » قبل موته بعام أو بعامين .

## ( ٢ )

وأهم القضايا البلاغية التي عالجها السيوطي هي إيجاز القرآن الكريم وقد تحدث عنها السابقون « وأبهى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين ،

٢٥ - جنى الجناس ص ٧٣-٧٤ . ٢٦ - جنى الجناس ص ١٦٠ .

٢٤ - جنى الجناس ص ٧١ .

والصواب انها لا نهاية لوجوه اعجازه»<sup>(٢٧)</sup> وذكر خمسة وثلاثين وجها للاعجاز ، ومنها وجوه بلاغية هي : حسن تأليفه والتام كلسه ، ووقوع الحقائق والمجاز فيه ، وتشبيهه واستعاراته ، والكتابة والتعرض ، وايجازه في آية واثنائه في أخرى ، ووقوع البدائع البليغة فيه ، واحتواؤه على الخبر والانشاء ، وهذه الموضوعات بحثها في كتبه المختلفة ، فكانت انواعا من علوم القرآن في « الاتقان » ، ووجوها من وجوه الاعجاز في « معترك الأقران » وعلوما لغوية في « الزهر » ، وفنونا بلاغية في كتبه الأخرى . وقد عكف الوجه الخامس والثلاثين - وهو الالفاظ المشتركة - من أعظم وجوه الاعجاز « حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف الى عشرين وجها وأكثر وأقل ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر»<sup>(٢٨)</sup> . وترتب الالفاظ المشتركة ترتيبا معجبا ليسهل الرجوع اليها ، وشرحها كما جاءت في كتاب الله ، ومثال ذلك كلامه على « شعائر الله » : « ما جعله الله علما لطاعته ، واحداها شعيرة مثل الجرائم ، يقول : لا تلطوه ، وكان المشركون يحجبون ويعتبرون فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم فقبل لهم : لا تغيروا عليهم ولا تصدوهم وقيل : هي الحرم واحلاله الصيد فيه ، وقيل : هي ما يحرم على الحاج من النساء والصيد وغير ذلك ، واحلاله لعله»<sup>(٢٩)</sup> .

ويعلق بالفنون البلاغية والالفاظ المشتركة ما تحدث عنه في الوجه العشرين من وجوه إعجاز القرآن الكريم وهو « روعته وهيته » وهذه مسألة تقنية ، قال : « الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه ، والهيبة التي تعزيبهم عند تلاوته لقوة حاله وإبانة خطره وهي على الكاذبين به أعظم حتى كانوا يستنقلون سماعه ويزيدهم تمورا - كما قال تعالى - ويوردون اقتطاعه لكرامتهم له ولذا قال عليه السلام : « إن القرآن سبب مستصعب

٢٧ - معترك الأقران ج ١ ص ٣ .

٢٨ - معترك الأقران ج ١ ص ٥١٤ .

٢٩ - معترك الأقران ج ٢ ص ٢٨٤ .

علي من كرمه ، وهو الحكم » . وأما المؤمن فلا تزال روحه به وهيبته إياه مع تلاوته تولىه انجذابا وتكسبه عشاقته ليل قلبه اليه وتصديقه به ، قال تعالى : « تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ..... » (٣٠) ، الآية ، وقال تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل » (٣١) الآية . ويحل على هذا شيء خص به أنه يتره من لا يفهم معانيه ولا يعلم قاسمه ..... وهذه الروعة قد اعترف بها جماعة قبل الاسلام وبعده « (٣٢) . وذكر بعض الروايات التي تشير الى روعته وهيبته وأثرهما في القلوب . ويصل بهذا الوجه من الأعجاز الوجه الحادي والعشرون وهو « ان سامعه لا يصبغ وقارته لا يبله ، فتلذ له الاسماع ، وتشف له القلوب ، فلا يزيد تلاوته إلا حلاوة ولا تزيده إلا محبة ، ولا يزال لخصا طريا وغيره من الكلام - ولو بلغ في الحسن واليلاغة مبلغه - يصل مع التريد ويعادي اذا أعيد لأن إعادة الحديث على القلب أفضل من الحديد ، وكتابنا بحمد الله يتلذ به في الخلوات ، ويؤنس به في الأزمات ، وسواء من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث لها أصحابها لحونا وطريا يستجلبون بتلك اللحن تشييطهم على قراءتها ، ولهذا وصف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ، ولا تضي عجايبه ، وليس بالهزل ، لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة » (٣٣) . وهذا الاثر النفسي للقرآن مما ذكره المتقدمون ، وأكثوه بروايات موثقة من ذلك تعبر الوليد بن المغيرة فيما يصف به كتاب الله

٣٠. الآية ٢٢ (سورة الزمر) هي : « انه نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ، ذلك جدي الله يهدي به من يشاء ، ومن يضلل الله فما له من هاد » .

٣١. الآية ٢١ (سورة الحشر) هي : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » .

٣٢. معترك الأفران ج ١ ص ٢٤٢ .

٣٣. معترك الأفران ج ١ ص ٢٤٤ ، وينظر الاقنآن ج ١ ص ١٢٢ .

وقصة اسلام الطفيل بن عمرو الدوسي<sup>(٢٦)</sup> ، وكان السكاكي قد أكد أثر القرآن النفسي ورأى أن إعجازه لا يوصف ، قال : « واعلم ان شأن الاعجاز عجيب يدرك ولا يسكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يسكن وصفها ، وكالطلاقة . ويدرك الاعجاز عندي هو الذوق ليس إلا ، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العليين - المعالي والبيان - نعم للبلافة وجوه ملتفة ربما ليسرت امامة اللثام عنها لتجلى عليك ، أما نفس الاعجاز فلا»<sup>(٢٧)</sup> . وقال : « وهذه اقوال أربعة يخسها ما يجده اصحاب الذوق من أن وجه الاعجاز هو أمر من جنس البلاغة وال فصاحة»<sup>(٢٨)</sup> ، وهو ما نقله السيوطي ، فقال : « والصواب انه لانهاية لوجود اعجازه كما قال السكاكي في المفتاح»<sup>(٢٩)</sup> . ولذلك اهتموا بدراسة البلاغة لانها ما يوصل الى إدراك الاعجاز قال أبو هلال العسكري : « وقد علمنا أن الانسان اذا أفضل علم البلاغة وأخل بعرفة الفصاحة لم يقع عليه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف ، وبراعة التركيب ، وما شغنه به من الابهاز البديع ، والاختصار اللطيف ، ووضنه من الحلاوة ، وجلته من رونق الطلاوة ، مع سهولة كلمه ، وجزالتها ، وعذوبتها ، وسلاستها ، الى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها وتحررت عقولهم فيها»<sup>(٣٠)</sup> . فالسيوطي يؤمن باعجاز القرآن الكريم كما يؤمن به غيره ولكن وجود اعجازه كثيرة ومنها ما فيه من فصاحة وبلاغة يعجز عنها الخلق ، وما فيه من الفاظ مشتركة ، وما له من روعة وهيبه في النفوس ، ولذة في الاسماع والقلوب ، وهو ما حام حوله المعاصرون ، وحاولوا أن يوضحوا إعجاز القرآن النفسي والنفسي ، كما فعل سيد قطب في تفسيره للقرآن الكريم المسمى « في ظلال القرآن » وفي كتابه « التصوير النفسي

- 
- ٢٦ . ينظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٠ ، ٢٨٢ .  
 ٢٧ . مفتاح العلوم ص ١٩٦ .  
 ٢٨ . مفتاح العلوم ص ٢٤٣ .  
 ٢٩ . معترك الاقران ج ١ ص ٢٠ .  
 ٣٠ . كتاب الصناعات ص ١ .



في القرآن » ، و « مشاهد القيامة في القرآن » ، وكما فعل أمين الخولي في بحثه « البلاغة وعلم النفس » الذي تحدث فيه عن الإعجاز النفسي ، والتفسير النفسي ، وقال : « إن هذا القرآن من حيث هو فن أدبي معجز ، ثم من حيث هو هدى وبيان ديني لن يدار الأمر فيه إلا على سياسة النفوس البشرية ورياضتها ، لأن الفن هو تجوي الوجدان ، والدين هو حديث الاعتقاد وخطاب القلوب ، فصك بالذات ومناجاته للروح أوضح من أن يستدل إيسا أو تخلص بالشرح . وفيما مضى من رأي - قديم أو حديث - عن أسره في النفوس وحظوته لديها أقرب شاهد وأدناه<sup>(٣٩)</sup> وفي بحثه « علم النفس الأدبي » الذي تحدث فيه عن الإعجاز الفني قال : « إن هذا القرآن انما يمثل إيجازه والمطابره وتوكيده وإشاراته ، واجماله ، وتفصيله ، وتكراره وإماليته ، وتقسيمه وتفصيله ، وترتيبه ومناسبه ، يمثل كل أولئك وما اليه بالأمور النفسية لا غير<sup>(٤٠)</sup> . وكما فعلت الدكتورة بنت الشاطبي - عالمة عبدالرحمن - في كتبها « التفسير البياني للقرآن الكريم » و « مقال في الانسان » و « الإعجاز البياني للقرآن »<sup>(٤١)</sup> .

### ( ٣ )

ولا تخلو كتب السيوطي من آراء ، ولعل أهم آرائه ما جاء في الرد على من أنكرو المجاز في القرآن الكريم ، قال : « وقد أنكرو قوم وقوم المجاز فيه وقالوا : انه أخو الكذب ، والقرآن منزله عنه ، وإن المشكلم لا يعبد اليه الا اذا ضاقت الحقيقة فيستعير ، وذلك محال على الله تعالى . وهذه شبهة باطلة ، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن ، فقد اتفق البلغاء على ان المجاز أبلغ من الحقيقة ، ولو وجب خلو القرآن عن المجاز وجب خلوه من الحذف

٣٩ . مناهج تجديد ص ٢٠٢ .

٤٠ . مناهج تجديد ص ٢٢٠ .

٤١ . ينظر بحثنا التفسير الأدبي والإعجاز ( كتاب أمجاد القرآن ) ص ١٧-٦٤ .

والتوكيد وتكتية النصص وغيرها<sup>(١٢٣)</sup> . وليس هذا رايه لان المتقدمين ذكروه ، ولكنه اختار هذا الرأي ، لانه وجد في القرآن الكريم كثيرا من المجازات ، وهي لون من ألوان التعبير التي درج العرب عليها في كلامهم ، ولكنهم عجزوا عن أن يأتوا بسائل مجازات الكتاب العزيز .

وقسم المجاز كما قسمه عبدالقاهر والسكاكي والتزويجي وغيرهم من اللغويين والشراح وهو نوعان :

الاول : المجاز في التركيب ، ويسمى مجاز الاسناد ، والمجاز العقلي .

الثاني : المجاز اللغوي ، وهو ما أطلق عليه اسم المجاز المرسل .

ولم يذكر الاستعارة فيه وهي مجاز لغوي وانما عد التشبيه والاستعارة الوجه الرابع والعشرين من وجوه الاعجاز . وكان الوجه الثالث والعشرون هو وقوع الحقائق والمجاز فيه ، وقد تحدث فيه عن المجاز العقلي والمجاز اللغوي أو المجاز المرسل ، ولكنه قال « زُوِّجَ الجاز بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة فهي مجاز علاقته المشابهة ، ويقال في تعريفها : « اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي » والأصح انها مجاز لغوي لانها موضوعة للتشبه به لا للتشبه ولا لأهم منهما »<sup>(١٢٤)</sup> . واهتم بفتون البديع وقال إن : « أنواعه - وهي الوجوه المذكورة - كثيرة جدا تربو على المائتين ، وليس بدقيقة الصفي منها مائة وخمسون نوعا »<sup>(١٢٥)</sup> ، وقال : إن « الأصل في حسن أنواع البديع اللفظية بعبارة اللفظ للمعنى لا عكسه »<sup>(١٢٦)</sup> وقال في خاصة المحسنات اللفظية :

وأصل حسن ما مضى أن يتبع اللفظ معنى دون عكس وقعا

٤٢ . معترك القرآن ج ١ ص ٢٢٦ ، وينظر الاثقان ج ٢ ص ٢٦ .

٤٣ . معترك القرآن ج ١ ص ٢٧٥ ، الاثقان ج ٢ ص ٤٣ .

٤٤ . انبام البراية لقراء النجاة ص ١٦١ .

٤٥ . المصدر نفسه ص ١٧٢ ، وينظر شرح عقود الجمان ص ١٠٥ .

« أصل الحسن في الأنواع اللغوية أن تكون اللفاظ تابعة للمعاني لا أن تكون المعاني تابعة للالفاظ ، بأن يؤتى بالفاظ متكلمة مصنوعة المعنى كما يفعله من له شغف بإيراد المحسنات اللغوية فيجعل الكلام غير مسوق لافادة المعنى ، ولايالي بغضاه الدلالة وركاكة المعاني . فاذا تركت المعاني على سجيتهما طليت لأغصها الفانما تلتق بها ، وعند ذلك تظهر البلاغة ويتميز الكامل من القاصر»<sup>(٤٧)</sup> وهذا ما رده المتقدمون كالجرجاني والسكاكسي والتزويدي وغيرهم من الملخصين والشرح . وفيه على أن بعض موضوعات المعاني وردت في البديع ، قال : « قد انتهى القول في علم المعاني واد الحد والنثه وفيه أمور أوردها جمع في البديع ، منهم الطيبي في التبيان ، وأصحاب البديعيات وهي : الالتفات والخطاب العام ، والتغليب ، والاسلوب الحكيم ، والايضاح بعد الايهام ، والتكرار ، والترديد والتعطف ، والترجيح ، وذكر الخصاص بعد العام وعكسه ، والايغال ، والتذليل ، والتكليل ، والاحتراس ، والتسيم ، والاشارة ، والبسط»<sup>(٤٨)</sup> وهو ما به عليه السكاكسي حينما بحث الالتفات في علم المعاني وقال : «يرسى هذا النقل الثمانا عند علماء المعاني»<sup>(٤٩)</sup> وذكره في المحسنات المعنوية ولم يشرحه واكتفى بأن قال : « وقد سبق ذكره في علم المعاني»<sup>(٥٠)</sup> . والسيوطي رأي في الاستخدام والتورية ، قال عن اللادلسي « صرح بأن الاستخدام أجل من التورية ، وأعذب وألطف ، وان كان المختار عندني أنهما سيان»<sup>(٥١)</sup> . واهتم بالجناس من بين فنون البديع وتحدث عنه في كتابه . وهو في « عقود الجبان » يذكر قسمي الجناس النافس ويسمي الاول المرذوف « لان حرف الزيادة مرذوف بما وقع فيه التجانس كقوله تعالى : « والتمت الساق بالساق » الى ربك يومئذ المساق»<sup>(٥٢)</sup> والثاني

٤٦ . شرح عقود الجمان ص ١٥٧ . ٤٧ . المصدر نفسه ص ٧٦-٧٧ .

٤٨ . مفتاح العلوم ص ٩٥ .

٤٩ . مفتاح العلوم ص ٢٠٢ ، وينظر البلاغة عند السكاكسي ص ١٢٦ .

٥٠ . شرح عقود الجمان ص ١١٢ ، وتنظر ص ١١٢ .

٥١ . سورة القيامة الأيتان ٢٩ ، ٣٠ .

المكتشف « لأن حرف الزيادة فيه مكتشف أي متوسط بين ما اكتشفه كتولهم  
 « جندي جندي »<sup>(٤٩١)</sup> وقال عن الجنس : إنه « نوع متوسط في البديع ليس  
 كالنورية والاستندام والطياق وتعوها ، وانتقوا على أنه إنما يحسن إذا قل ،  
 فإن كثر سجع وخرج إلى حد النزول بخلاف النورية وتعوها ، فإن جعل  
 الجنس نورية ، والحصر المعيان في ركن واحد فقد علت رتبته وارتفعت  
 رتبته ، وصارت تسمى بالنورية الثامة »<sup>(٤٩٢)</sup> . وألف كتابا خاصا بالجناس هو  
 « جنى الجناس » فصل القول فيه وذكر أنواعه المختلفة وأمثك المتعددة وزاد  
 في الجنس التام المفرد قسما تسعا « وهو أن يكون الاسم من لغة غير العرب والفعل من لغة  
 وعربية معا : وهو أن يكون الاسم من لغة غير العرب والفعل من لغة  
 العرب » قال : « وألآن أتت رأيت من ذكر هذا النوع أزيد من أربعين سنة  
 بسكة الشرفة في بدعية غريبة ليوسف الغلاني ، وظننت فيه إذ ذلك وأظنه سماه  
 الملبع »<sup>(٤٩٣)</sup> ومن ذلك قول أبي عيران موسى بن محمد الطوائقي :

إذا ليل أي الناس في الأرض زينة      أجبنا وظلنا أبهج الأرض بئسها  
 ذلوا أنني أدركت يوما عبيدها      لزمت يد البستي دهرى وبئسها  
 قال : « قلت : هذا من لغتين ، فإن البوس بمعنى التليل ليس من لغة  
 العرب ، ونظيره قولي قديما من قصيدة لبوية :

أوتت\* إليه جميع المعشوق فلم      يتجيب بفور أوتت\* للعرب والمعجم  
 أوتت\* بدمع لعم بالتركية»<sup>(٤٩٤)</sup> . وله فيه بعض الآراء الخاصة من  
 ذلك رأيه في الجنس التام المركب فهو عنده « أشرف أنواع الجنس  
 وأجملها »<sup>(٤٩٥)</sup> . وكانت له قدرة على استقراء المواضع والأمثلة من القرآن

٥٢ . شرح مفرد الجمال من ١٢٥ .  
 ٥٣ . المصغر نفسه من ١٢٨ .  
 ٥٤ . جنى الجنس من ٧٣ .  
 ٥٥ . جنى الجنس من ١١١ .      ٥٦ . جنى الجنس من ١٢١ .

الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب ، وهذا واضح في الكتاب  
كل الوضوح ، وهو ما يمتاز به على كنهه الأخرى التي تعرضت لدراسة البلاغية .

وختم كتابه « جنى الجنس » بست فوائد :

الأولى : أن أسامة بن منقذ ذكر أن عمرو بن العلاء ذكر اسم الجنس  
وهو يتحدث عن شعر أبي ذؤاد الأيادي ، وورد تجنيس التركيب والترجيح  
والتصنيف والتعريف فيه . فقال : « قلت : في نال هذا عن أبي عمرو نظر ،  
فإن اسم الجنس لم يكن موجودا في زمانه وإنما حدث بعده بشهر فتمت  
ذكروا - منهم ابن رشيقي - أن أول من اخترع اسم التجنيس حينئذ بن  
المعز في سنة أربع وسبعين ومائتين وذلك بعد موت أبي عمرو<sup>(٤٤)</sup> . ولكن  
ابن المعز ذكر أن الأصمعي ألف « كتاب الجنس »<sup>(٤٥)</sup> ، ولا يشترط أن يكون  
اسم الفن البدعي معروفا في زمن أبي ذؤاد ولكنه ، كان مستمعا في  
الشمع مقبولا .

الثانية : أن ضياء الدين بن الأثير ذكر أن بعض البلاغين وقع في خطأ  
عندما أدخل في التجنيس ما ليس فيه مثل بيت أبي تمام :

أظن النعم من عيشي سيقسى      رسوما من بكساي في الرسوم  
ولم يعترض على ابن الأثير .

الثالثة : أن ابن النفيس قسم التجنيس في كتاب « طريق الفصاحة » إلى  
حقيقة ومجاز ، والحقيقي أنه نوع واحد باستعمال اللفظ تارة في معنى وتارة في  
غيره ، ولا يشترط أن يكون ذلك في موضع مخصوص بخلافه السجع  
والتصرع . قال : « وهذا الذي قررره في الجنس الثام خلاف ما قررره في

٥٧ . جنى الجنس ص ٢٨٨ .

٥٨ . البدع ص ٢٥ .

واحد من انه يشترط أن يكون النظم حقيقة في المعين ولا جناس في حقيقة ومجان (٥٩) .

الرابعة : ان التوخي أورد في « الاقصى القريب » فكرتين : الاولى مقياس تأثير التجنيس بتكرير الحروف من غير أن يكون بينهما بعد بحيث يصرف منه الذهن عن الاول ، والثانية تقسيم التجنيس . ولم يتعلق على هذا التقسيم .

الخامسة : مذكره شعاب الدين الحلبي في « حسن التوصل » والليبي والنعالي من أن التجنيس يحسن اذا قل وأتى في الكلام خوراً من غير كد ولا استكراه .

السادسة : ذكر فيها أبيات الجناس في بديعية شعبان الأثاري ، ولم يتعلق عليها .

وابتدع السيوطي بعض أنواع البديع ، كالتأسيس والترجيع ، قال :

وقد وجدت مقصداً بديعاً      سببه التأسيس والترجيعاً

قاعدة كلية يهـدونها      ينسجها شعبة يقصدها

مثاله لكل دين خلق      وخلق ذا الدين الحياة الموفق

« هذا نوع لطيف اخترعته لكثرة استعماله في الكلام النبوي ولم أر في الأنواع المتقدمة ما يناسبه فسيته التأسيس والترجيع ، وذلك أن يهد قاعدة كلية لما يقصده ثم يرتب عليها التصود كقوله صلى الله عليه وسلم: « لكل دين خلق وخلق هذا الدين الحياة » (٦٠) .

وهي الموضوع قال :

والنسي للموضوع قصداً صنعه      مثاله ليس الشديد الصرعه

٥٩. جنس الجناس ص ٢٩٠ . ٦٠. شرح عقود الجمان ص ١٤٠ .

« هذا النوع أيضا من مخترعاتي وسميته هي الموضوع ، وهو كثير في الحديث وكلام البلغاء ، بأن يكون اللفظ موضوعا لمعنى فيصريح بنفسه ويثبت لغيره بمبالغة في ادعاء ذلك الحكم ، ومثاله ما رواه الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »<sup>(٦١)</sup> .

وتسميد الدليل ، قال :

وإن أتى بجمل للمقصود توصلا لحكم ما به ابتدئ  
ومح حذف الوسط الموصول فذلك التسميد للدليل

« وهذا نوع ثالث اخترعته وسميته تسميد الدليل ، وهو أن يقصد الحكم بشيء فيرتب له أدلة تقتضي قطعا بأن يبدأ بالمقصود ويخبر عنه بجملته مسلسلة ثم يخبر عن تلك الجملته بأخرى مسلسلة فيلزم ثبوت الحكم للأول بأن يحذف الوسط ويخبر بالأخير عن الأول ، وهذا شكل من أشكال المناطقة وتعين - معاصر أهل السنة - لاتباعهم أصلا وهم مصرحون بأنه في طبع أهل الذوق والذكاء ، والقرآن والسنة طاقعان باستعماله ، ثم تارة يكون الوسط جملة واحدة ، وتارة يكون أكثر ، فمن الأول قوله صلى الله عليه وسلم : - « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » رواه مسلم ، لانه يصح أن يحذف الوسط فيقال : « ولا تدخلوا الجنة حتى تحابوا ، من لم يؤمن بالله لم يؤمن بي ، ولم يؤمن بي من لا يحب الأنصار »<sup>(٦٢)</sup> . والتصنيف ، قال :

ومنه تصنيف بأن يمتددا به وبالتصنيف أمن قصدا

« هذا نوع رابع اخترعته ، وهو أن يأتي في المقصود بكلام لتصنيفه معنى معتبر فيقصد ذلك لتذهب نفس السامع الى كل من معنيه كنا حكى عن

٦١. المصدر نفسه ص ١٤١ . ٦٢. المصدر نفسه ص ١٤٢ .

بعض الأذكياء أنه كتب الي بعض اصحابه أن يشتري له من البضائع الراجعة ،  
وأمر أن لا ينقط ليصلح للراجعة والراجعة<sup>(٦٣)</sup> .

هذا ما ابتدعه من المحسنات المنوية ، أما المحسنات اللغوية فقد  
ابتدع التضييق ، قال :

قلت فإن كان اللزوم في الروي أو كلمات فهي تضييق تسوي

وهذا النوع اخترعه وسيته بالتضييق بأن يلتزم في الروي أمراً لا يلزم ،  
وأما لم يذكره لظنهم أن الروي يلزم أن يكون على حرف واحد فلا يقع  
فيها التزام ما لا يلزم . وأشارت بما ذكرته الي أن الروي قد يكون مشلا على  
الماء فيلتزم أن لا يأتي بها ضميراً ، أو الالف فيلتزم أن لا يأتي بها ألف اطلاق ،  
وقد عمل العباد الاصباحي قصيدة هائية لاشرح فيها وادعى البراعة ، وعارضه  
أبو اليمن الكندي بقصيدة مطلعها :

هل أنت راحم عبيرة وتولته . ومجير صيب عندما عنقه نهي  
هيهات يرحم قاتل متولته . وسنانه في القلب غير منه .  
من "مل" من داء الغرام فانتسي . مذ حل بي مرض الهوى لم ألتقه .

عارضها البهاء السبكي بقصيدة وابن نباتة والصلاح الصفدي ، ولي في  
ذلك قصيدة ذكرتها في طبقات النحاة . وطبق بذلك ما اذا التزم أمراً في  
كل كلمات البيت أو الرسالة . وللصرصري قصائد التزم في كل كلمة منها  
صادا ، وقصائد التزم في كل منها عينا ، وللحريري رسالة التزم في كل  
كلمة منها ميثاق<sup>(٦٤)</sup> .

والمتحل ، قال :

واللفظ إذ يقرؤه الاثني لا يعاب قد سبته التحلا

٦٣ - المصدر نفسه ص ١٤٢ .

٦٤ - المصدر نفسه ص ١٥٤ .



« هذا النوع اخترعته وسينته المنتحل والمتقى والمتحري ، وهو أن يختار لفظ إذا قرأه الألتخ لا يباب عليه تحريا ، وقد رأيت فسي ذلك يتبين في الرأه لبعض الأقدمين وهما :

من شاء جمع معاذر قد خصصت بها وجاوزت كل حد لم ينل وطرا وكيف يستطيع أن تحصى فضائلها ويزيدك الفرد منها تقتلحه ورا<sup>٦٥</sup>

### ( ٤ )

هذه وثقة عند كتب السيوطي التي تعرضت للبلاغة، وقد اتضح أنها تمثل أربعة أهداف :

الأول : خدمة القرآن الكريم ، ويتجلى ذلك في « التبحر في علوم التفسير » و « معترك الأقران » و « الألتان » .

الثاني : خدمة اللغة العربية وفقهها وتوضح ذلك في « الزهر » .

الثالث : خدمة البلاغة العربية بعلمها الثلاثة ، وتيسر دراستها قلما أو تلخيصا أو شرحا ويبدو ذلك في الكتب التي نعت نحو السكاكسي في التقسيم والعرض والتشليل ، ومنها ما جاء في « النقاية » وشرحها و « عقود الجنان » وشرحها .

الرابع : التعمق في لون بديعي واحد هو الجناس ، ويظهر ذلك في « جنى الجناس » الذي يعد حلقة من حلقات التأليف في هذا الفن ، إذ ألف الثعالبي قبله كتابي « أجناس التجنيس » و « الأليس في نمر التجنيس » ووضع الصفدي كتاب « جنان الجناس » وقد اتسع السيوطي بهذه الكتب<sup>٦٦</sup> . ولا يشكر فضل السيوطي في كتبه ، فهو وإن كان ناقلا ، إلا أن

٦٥ . المصدر نفسه ص ١٥٧ ، وقرا : وطفا - ولما .

٦٦ . تنظر مقدمة جنى الجناس ص ٤٢-٥٥ .

جهده يتضح في العرض أو الشرح أو التلخيص، وإضافة بعض الأمثلة، وإبتداع بعض أنواع البديع، وهو جهد كبير في عهده الذي شهد انكفاء وعودة إلى التراث القديم. ولا يد بعد هذا العرض والتقويم من تحديد منزلة السيوطي في الدرس البلاغي وهو العالم الكبير الذي قال عن نفسه: « ورزقت البحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، على طريقة العرب والبلاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة»<sup>(٦٧)</sup>. ويريد بطريقة العرب البلاء ما أطلق عليها اسم « المدرسة الادبية » وبطريقة العجم وأهل الفلسفة ما أطلق عليها « المدرسة الكلامية » + فهل وفق السيوطي في هذا الوصف ؟

إن دراسة كتبه التي اتخذ فيها منهج السكاكي والفروني سيلا تؤكد أنه سار على طريقة العجم والفلاسفة، وإن أكثر من الأمثلة في بعض المواضع من كتبه، وأن مطالعة كتبه التي تحدث فيها عن علوم القرآن ووجوه الإعجاز وفقه اللغة توضح أنه لم يتعد كثيرا عن السكاكي والفروني لسي التقسيم والعرض والأمثلة وإن لم يقسم البلاغة إلى علومها الثلاثة المعروفة. ولا تختلف عنها بديعته وشرحا فهو قد سار على نهج أصحاب البديعيات معارضا ابن حجة في تسمية النوع البديعي، وهذه البديعيات وإن لم تقسم البلاغة إلى علومها الثلاثة - احتفظت بطابع البلاغة الذي توقف تجديدنا بعد مفتاح العلوم للسكاكي ولذلك لم تأت بجديد إلا زيادة الحسنة، ولم تكن بديعية السيوطي أروع من البديعيات الأخرى، فهي قد نجحت نجحا، وهي كغيرها « لا روح فيها ولا قوة ولا بهجة ولا روعة»<sup>(٦٨)</sup>. ويؤيد « جنسي الجتاس » فما لونه ؟ قال الدكتور محمد علي رزق الخفاجي :

إنه « نقل السيوطي من المدرسة الكلامية إلى المدرسة الادبية، أو قد

٦٧. حسن المعاصرة ج ١ ص ١٩٠ ، وينظر الفروني وشروح التطبيق ص ٦٠٣ - ٦٠٥ .  
٦٨. التصيغ البديعي ص ٤٤٩ .

اعاده اليها ، وذلك اذا صنفنا معترك الاقران في البلاغة<sup>(٢٩)</sup> » . وقال :  
« أخرج السيوطي بكتابه هذا فن الجناس من التصنيفات الجافة التي عرفت  
في المدرسة الكلامية وجعله فنا بلاغيا يئيل الى الأدب والذوق . وقد تها  
له ذلك بفضل ما أورده من شواهد قرآنية وحديثية كثيرة وأمثلة أدبية شعرية  
وشرية ، وكأنه الكتاب بهذا الحشد الكبير من الشواهد والأمثلة معروض  
حافل بالالوان والانواع الادبية التي غالبا ما جاءت منتقاة<sup>(٣٠)</sup> . ولا تعني  
كثرة الامثلة في كتاب « جنى الجناس » أن السيوطي انتقل الى المدرسة  
الادبية لأنه الكتاب لا يفرج عما اختطه علماء البلاغة من اتباع المدرسة  
الكلامية ، إذ قسم السيوطي الجناس الى ثلاثة عشر نوعا وذكر تحت كل نوع  
عدة أقسام بلغت الاربعائة ، قال : « هذا كتاب ألفت في أقسام الجناس  
التي استخرجتها وحصرتها ولم أسبق الى ذلك ووصلتها الى نحو الاربعائة  
قسم<sup>(٣١)</sup> . ولم يفعل السكاكي والفزوني وشرح التلخيص ما فعله في كثرة  
التصنيفات ولكنه - على الرغم من ذلك - أهمل فن الجناس روحا أدبية  
وجعل القارئ يستروح ويطوف في ألوان من الكلام ، وبذلك تفوق عليهم  
بهذا الجانب الذي لم يمله المتفهمون كالعالي والصندي . وهذا واضح  
لأن السكاكي وأتباعه بحثوا الجناس في إطار اليدبع ، ولذلك لم يكتروا من  
الشواهد والأمثلة ، في حين أن السيوطي أورد له كتابا ، ولا يبد للكتاب  
الذي يبحث في موضوع خاص أن " شملا دقتاه بالنصوص ليكون سيقسوا  
لا فضلا أو مبحثا في كتاب . وقد أحسن السيوطي صنعا يذكر هذه الشواهد  
والامثلة الكثيرة التي تدل على ثروته الادبية وذوقه في الاختيار ، وهو - وإن  
تسك بأهداب السكاكي والفزودي - أرحب أفقا وأجلى بيا ، ولعل  
شعوره بهذا التفوق جعله يقول أنه تبحر في البلاغة « على طريقة العرب  
والبلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة » وهي إشارة الى اختلاف القضاء

٦٩ . مقدمة جنى الجناس ص ٢٩ .

٧٠ . مقدمة جنى الجناس ص ٢٨ - ٧١ . جنى الجناس ص ٧١ .

في دراسة البلاغة ، وقد نهت الباحثين المحدثين الى هذا التفاوت ، فتحدثوا عن المدارس البلاغية وذكروا المدرسة الكلامية والمدرسة المصرية ، والمدرسة الادبية<sup>(١٢)</sup> ، وهذا توسع في الدرس البلاغي وكشفت<sup>١٣</sup> للاتجاهات التي مرت بها البلاغة العربية في عهودها المختلفة ، وفي ذلك فتح عظيم .

### المصادر :

- ١ . الاقنان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي . القاهرة ١٣٦٨هـ .
- ٢ . العماد الفريانية لقراء النفاية - جلال الدين السيوطي . مطبوع على حاشية مفتاح العلوم لابي يعقوب يوسف بن ابي بكر السكاكي . الطبعة الاولى - القاهرة ١٣١٧هـ .
- ٣ . البديع - عبدالله بن المعتز . طبعة كراتشكوفسكي . لندن ١٩٣٥ .
- ٤ . البلاغة العربية في دور نشأتها - الدكتور سيد نوفل . القاهرة ١٩٤٨م .
- ٥ . البلاغة عند السكاكي - الدكتور احمد مطلوب . بغداد ١٣٨١هـ - ١٩٦٤م .
- ٦ . التفسير الاذني والاجمال - الدكتور احمد مطلوب . بحث منشور في كتاب ( اجمال القرآن ) الذي أصدرته وزارة الارشاد والتسؤون الدينية - بغداد ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- ٧ . التلخيص في علوم البلاغة - جلال الدين القزويني بتحقيق عبدالرحمن البرقوقي . الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م .
- ٨ . جلال الدين السيوطي وآثره في الدراسات اللغوية - الدكتور عبدالعصالح سالم مكرم . بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- ٩ . جنى الجناس - جلال الدين السيوطي . تحقيق الدكتور محمد علي رزق الخفاجي . دار الفنية للطباعة دروس ١٩٨٦م .
- ١٠ . حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة - جلال الدين السيوطي . القاهرة ١٢٩٩هـ .
- ١١ . دروس في البلاغة واطورها - الدكتور جميل سعيد . بغداد ١٣٧٠هـ - ١٩٥١ .
- ١٢ . للتوسع في هذه الاتجاهات ينظر فن القول ، ومناهج تجديد ، والبلاغة العربية في دور نشأتها ، ودروس في البلاغة واطورها ، والبلاغة عند السكاكي ، والقزويني وشروح التلخيص .

١٢. السيرة النبوية لابن هشام - تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم الأبيسي  
وعبدالحفيظ شلي - الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .
  ١٣. السيوطي النحوي - الدكتور عدنان محمد سلمان . بغداد ١٣٩٦هـ -  
١٩٧٦م .
  ١٤. شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان - جلال الدين السيوطي .  
القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .
  ١٥. الصيغ البدعي في اللغة العربية - الدكتور أحمد ابراهيم موسى .  
القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .
  ١٦. القزويني وشرح التلخيص - الدكتور أحمد مطلوب . بغداد ١٣٨٧هـ -  
١٩٦٧م .
  ١٧. كتاب الصناعتين - أبو هلال العسكري . تحقيق محمد علي الجاوي  
ومحمد أبو الفضل ابراهيم - القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
  ١٨. المهر في علوم اللغة واتواعها - جلال الدين السيوطي . تحقيق محمد  
أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد الجاوي .  
القاهرة .
  ١٩. مشترك القرآن في أمجاد القرآن - جلال الدين السيوطي . تحقيق علي  
محمد الجاوي . القاهرة .
    - ١ . ج ١ سنة ١٩٦٩م .
    - ٢ . ج ٢ سنة ١٩٧٠م .
    - ٣ . ج ٣ سنة ١٩٧٢م .
  ٢٠. مفتاح العلوم - أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكالي .  
القاهرة ١٣٥٩هـ - ١٩٣٧م .
  ٢١. مناهج بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب . بيروت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٢م .
  ٢٢. مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب - أمين الخولي .  
القاهرة ١٩٦١م .
- يضاف الى هذه القائمة مصدران أخيفا الى الحواشي وهما :
- ١ - الإيضاح في علوم البلاغة - جلال الدين محمد بن عبدالرحمن العسوف  
بالخطيب القزويني . تحقيق أساتذة من الجامع الأزهر - القاهرة .
  - ٢ - البيان في البيان - شرف الدين الحسين بن محمد بن عبدالله الطيبي .  
تحقيق الدكتور لويس فيسقي الفيل وعبداللطيف عبدالله . الكويت -  
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .



## الخاتمة

لم تكن يحوت هذا الكتاب تأريخا يعرض ، وانما هي مناهج أريد بها تبيان ما وقف عنده علماء البلاغة لتكون منطلقا الى البلاغة التي توضح معالم الأدب الجديد الذي اغترف من التراث العربي ولم يرجع الى الاصول العربية التي رست المعالم في الطريق يوم كان الأدب مزدهرا والفكر متقدما . إن البلاغة روح الأدب وما المناهج النقدية التي شاعت في السنوات الأخيرة إلا ومضات منها وإن جاءت بأسماء ترجمت ، وإشارات استحدثت ، متابعة لما حدث من تغير في المواقف والأهداف بعد أن توقفت البلاغة عند حدود رستها مرحلة الجسود .

وتنص - العرب - بمرتا ببعض المناهج وهددناها خير ما أنجز العقل العربي فضربنا عن الفكر العربي صفحا لما آلت اليه البلاغة في عصر الجسود ، ولما أصبح عليه النقد الأدبي في مطلع القرن العشرين حين اتخذ النوق سبيلا ، والافتباع منهجا ، والتأثرية أسلوبا ، ولم تفتح إلا حينما شاعت المراسيات الأسلوبية التي اتخذت من دراسة النص منهجا ، ونظرنا فإذا بكثير مما قيل يرجع الى أصول البلاغة ، وإذا بنا ندمو الى « علم النص » ليكون بديلا من البلاغة أو هو البلاغة الحديثة .

لقد قاد الجهل أو الضياع الى انكار ما للعرب من مناهج بلاغية ومالديهم من نظرات صائبة وتحليل للنص ينبع من طبيعة اللغة العربية وروح أدبها ، فأعرض الباحثون عن العودة الى النبع الأصيل طليا للراحة أو تباهيا بالحدائثة التي تصوروا أنها هدمت للتراث ، وقد نسوا أنها لا تنهض من غير أصول ، وإن التجديد عنكوف على الموروث ، وفهم وتشل له ، وانطلاق الى الآفاق . وهذا ما فعله الأوربيون في نهضتهم الحديثة إذ عادوا الى تراثهم يدرسونه

ويقتون عند قضاياها وقفة التأمل ، ويستخلصون منه ما يسجهم ومصالحهم  
لهضتهم ، وما يصور واقعهم الذي ارتبطوا به لغة وثقافة وطوحا ، وبذلك  
جاءت مناهجهم أسيلة تمثل حضارتهم ، وجديفة تعبر عن فكرهم ،  
وتنبثق من أدبهم الذي يستمد لغته وأسلوبه وتصوره وأفكاره من واقعهم  
الذي رسمه قرون درجت فيها أوربة وهي تتلمس طريقها في الحياة .  
وشأن ما بين تاريخ أوربة وتاريخنا ، فنحن أمة شرفها الله بالألبياء وكان  
آخرهم الرسول العربي محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي بشر بقرآن  
نزل من السماء ، وعقيدة فتحت أمام الانسان آفاق الحياة ، وبشعره  
بنعيم مقيم ، فاطلق في ضوء ذلك بيني مجتمعه ، ورشيد حضارته ، وصسق  
ثقافته ، ورسم أدبه ، وبقبس ما فيه الخير وما يسي مواهبه ، ويوسع مداركه ،  
ويفتح أمامه سبل الحياة التفضلي ، وبذلك حقق ذاته ، وأصبح ذا كيان  
يحرص عليه حرصه على وجوده ، ولولا ذلك ما كان للعرب دور عظيم في بناء  
الحضارة الانسانية التي عبرت البلاد وغذت العقول .

إن لكل أمة طابعا مميزا في الحياة ، وأن لها تصورا للوجود ، وأن لها  
كياة تعتر به ، والأمة العربية وهي ذات الحضارة العريقة لا بد من أن تحقق  
ذاتها وهي تستصرف القرن الحادي والعشرين ، وأن يكون ثقافتها تميز بين  
ثقافات الأمم التي تسعى الى ترسيخ ثقافتها ونشرها وفرضها على الشعوب ،  
ومن ذلك الأدب وهو وليد اللغة ، وريب الحضارة ، وعطائها العسيم .  
وما البلاغة إلا جنود ذلك الأدب الأصيل ، أما التسهيل فيبقى في مصب الريح  
تفادنه الأهواء ولا يستطيع أن يتلقى النور إلا بالنظر الكليل . وليس مثل  
هذا يراد للأدب العربي وأصول نقده وتعليه ، ومن هنا كانت الدعوة الى  
مثل البلاغة العربية تمثلا واعيا ، والاطلاق منها الى آفاق رحبية بمد  
الاتفاع بما لغير العرب من فكر بناء ، ومناهج رسختها عقول وقادة ،  
وسعت الى أهداف نبيلة ، لاعقول مريضة ، ومناهج لاتتخذ من المنطق السليم  
سبيلا .

والثقافة العربية وهي تستشرّف القرن الحادي والعشرين تواجه تحديات كبيرة تريد اختراقها وطس معالمها لتفقد الأمة هويتها ، وتنكر ذاتها ، والبلاغة من تلك الثقافة العربية التي بنّتها عقول نبيرة وأقام أسولها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . ولن يكون للنقد العربي مستقبل إن بقي رجاله بعيدين عن أسسه ، ولعل من أول ما يمسى اليه المؤمن بأته وثقافتها أن يطيل التأمل في الموروث وأن يتصفه عنده « وقوف شحيح ضامع في الترب خاتمه » وأن يفرسه دراسة مستوعبة ليستخلص منه ما يشع وما يقوّم الأدب الجديد ، غير مستنكر الدعوات الصادقة ، والآراء الصائبة ، والمناهج التنويرية ، فقد طلق لهذا الزمان ولايد من أن يكون للمعاصرة طابعها ، وأن تكون له شخصيته الراسخة الأصول . وما البحوث التي حفل بها هذا الكتاب إلا دعوة السى التأمل الطويل ، والتفكير العميق فيما ترك العرب من تراث بلاغي وقصصي ضخم استمد أصوله من اللغة العربية وأدبها ، واستمد السى اللغات الأخرى موحها ومؤثرا .

إن العودة الى البلاغة العربية تحتضها النزعة العنوية والنضحة الروحية ، فضلا عن تحقيق الذات وارساء أصول النقد العربي الجديد بمد أن طغنت على المدرس الأدبي اتجاهات متصارعة لم تثبت فسن الاسلوبية السى الشكلالية الروسية فالواقعية الاشتراكية والبنوية وما بعد البنوية ، والظاهرية والتفكيكية وما الى ذلك من تيارات تبع معظمها في فرنسا وانتقل الى العرب بعد أن فقد بريقه في موطنه وتجاوزته الغزاسات ، إما ثورة عليه أو تجربا لاتجاهات تسليها زعات وتوجيهات لاتخدم الفكر الأصيل في كثير من الأحيان .

إن طغيان هذه التيارات التي ألكر معظمها أصحابها أبعدت النقد العربي عن البلاغة التي لم تفهم حق الفهم ، ولم تفرس بعناية كبيرة ، ووطنها أنها فتنة الاقتناع كما فهمها قداماء اليونان ووارثو حضارتهم ، في حين انها عند العرب



أوسع من ذلك ، لأنها ترتبط بفهم إعجاز القرآن الكريم ، وتتصل بتعليم فن القول ، والنقد الأدبي ، واختيار النصوص ، ومعرفة الجيد من الرديء ، فهي - إذن - روحية وتعليمية ونقدية ، وهذا ما نص عليه أبو هلال العسكري في مقدمة « كتاب الصنائع » .

هذا الفهم الواسع والادراك العميق للبلاغة العربية يجعل العودة إليها خيراً للأدب والنقد بعد أن ضاعا في غمرة التيارات ، وتعصب بعضهم لهذا أو ذاك ، واتهم بعضهم بعضاً بما لم ينزل الله به من سلطان ، وكسادوا يقتتلون كأنهم في حومة الولي ، ولم يروا أنهم يقدمون اتجاهات بعيدة عن واقع اللغة العربية ، ويعلون من لا يستحق أن يذكر في عالم التأليف .

واتى المطاف الى الضياع أو الى التعصب لاتجاه لا يصور النقد بمعناه العام وإنما ينظر في جانب منه ، ويبقى النص بعد ذلك محتاجاً الى سبر أنواره ، ومن ذلك تفسيره وتقويمه وهما مهتان في العملية النقدية ، فضلاً عن إيضاح أبعاده المختلفة والوقوف على منتهى ومثليته . ولا ينبغي هذا أن الانتفاع بالاتجاهات المختلفة محذور ، وإنما يراد من النقد أن يكون تكاملياً ، أي دراسة النص الأدبي والنظر فيه من جميع جوانبه ، لا من جانب بنيتيه وحدها والاكتفاء بالوقوف على مستوياته الصوتية والتركيبية والدلالية في ضوء ما دعت اليه الأسلوبية ، لا في ضوء البلاغة بعلومها التي ذكرتها الكتب العربية وأضفت عليها سحة ذوقية وشفرة روحية لا يجدها الناقد في كثير من الاتجاهات التي أحاطت به من كل جانب ، ولم يستطع تمثلها والاتصاف بها ، وخرق في لجتها في حين أن أصحابها تجاوزوها وخلفوها وراءهم ظهرياً . ولو عاد العربي الى بلاغة لغته لوجدتها حية وإثباتاً - كما قال القدماء - : « لم تنضج ولم تحترق » وما أخرى بالناقد أن يعود إليها دارساً ومتمثلاً ، ومدركاً مقاصدها ، ومضيفاً إليها ما استجد لتسير مع الأدب كما سارت

في مراحلها الأولى وقبل أن يمتريها الجيود الذي لسه علوم اللغة العربية في  
عهد الظلام .

وبعد :

فلم تكن بحوث هذا الكتاب مزجاة للوقت ، وإنما هي بحوث جاءت بعد  
تأمل طويل ، وتشكل لثراث العرب البلاغي ، ووقوف واع جاد على ما عند  
الأجانب لتكون شاهدا على ما للعرب من أصالة ، ودليلا لمن يريد أن يقيم  
تقديرا عربيا تمتد جذوره في عمق الثقافة العربية ، وتزهو أغصانه في ظلال حرية  
الفكر والتعبير . وسيبقى الفكر العربي خالداً يتفع الناس ويهدمهم سواء  
الليل ، مها تعرض للمزوف والسكران من فقدوا ذاتهم ، وأكروا هويتهم ،  
وصدق الله تعالى حينما قال :

« فَاِمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً » ، وَاِمَّا مَا

يَسْتَفْعُ النَّاسُ فَيَسْتَكْثِرُ لِمَا لَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ

الدكتور احمد مطلوب

عضو المجيع العلمي

وامينه العام

الأحد ١٨ ربيع الثاني ١٤١٧هـ

الأول من ابول ٢٠١٦م



## المحقق

في البحث الأول من هذا الكتاب أهم مصادر البلاغة القديمة ،  
ورساف اليها :

- ١ - الاشارات والتنبيهات في علم البلاغة - محمد بن علي الجرجاني \*
- ٢ - الاعجاز والايجاز - أبو منصور التتالي \*
- ٣ - الايجاز في علم الإيجاز - لطف الله بن محمد الغيائي الطنبري \*
- ٤ - التبيان في البيان - شرف الدين الحسين بن محمد بن عبدالله الطيبي \*
- ٥ - جنى الجناس - جلال الدين السيوطي \*
- ٦ - رائق التحلية في فائق التورية - أحمد بن زرقالة \*
- ٧ - في التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم - أبو أحمد الحسن بن  
سميد العسكري \*
- ٨ - كفاية الطالب في فقه كلام الشاعر والكاتب - ضياء الدين بن الأثير \*
- ٩ - معاهد التصحيح على شواهد التلخيص - عبدالرحيم المباسي \*
- ١٠ - المنتخب من كتابات الأدباء وإشارات البلغاء - أحمد بن محمد  
الجرجاني القتيبي \*
- ١١ - الوشي المرقوم في حل المنظوم - ضياء الدين بن الأثير \*

وهناك كتب بلاغية مطبوعة لم تصل اليها اليد ، أما المخطوطة فلانزال  
بعيدة عن أيدي كثير من الباحثين ، ولذلك لم تذكر في هذا الكتاب \*

والدراسات البلاغية الحديثة كثيرة ، إذ حظيت البلاغة العربية باهتمام  
بالغ في القرن العشرين ، ولكن معظمها كان تاريخياً أو نقادياً ضوء على

مصطلحاتها وفنونها ، وظلت على واقفها القديم إلا ما جاء من دعوات تجديدية ، وكان المرحوم أمين الخولي من أكثر المعاصرين اهتماما بالمنهج الذي رسمه في بحوثه أو في كتابه « فن القول » ولم يطبقه . وتبعه باحثون كثيرون إلا أنهم ساروا في التطبيق على منهج السكاكي والفزوني وشرح التلخيص ، وكان معظم ما ألفوا كتباً تعليمية . ولم يخرج على تقسيم البلاغة الثلاثي دعاة التجديد ، فهم ما زالوا يحثون في مستويات النصوص الصوتية والتركيبية والدلالية ، وهي ما يدخل في الفصاحة والمعاني والبيان وبعض فنون البديع ، وبذلك عادوا إلى البلاغة القديمة وهم لا يشعرون . إن تجديد البلاغة لن ينهض به إلا باحث درس القديم دراسة واعية ، وعرف مسالكه ومقاصده معرفة دقيقة ، ونشله نشلاً عبقياً ، وعرف المناهج الحديثة ، وكان ذا ذوق رفيع .

ولعل من النافع المبيد أن نذكر في هذا الملحق بعض ما صدر من دراسات بلاغية لتكون منطلقاً للبحث في البلاغة العربية التي لم تطرح ولم تحترق . وكان الأستاذ الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي « الجامعة الأردنية » قد عقد الفصل الرابع من كتابه « مقدمة في دراسة البيان العربي » - عمان ١٩٨٦ - مكتبة الدراسات البلاغية ، ذكر فيه كثيراً من كتب البلاغة القديمة والحديثة ، المطبوعة والمخطوطة ، وأتى ببعض البحوث البلاغية المنشورة في المجلات العلمية ، وأثبت بعض الدراسات الجامعية التي لم تطبع . والنظر في هذا الجهد العظيم يظهر عناية الباحثين بالبلاغة ، ولكن الانتفاع بها كان قليلاً إذ عرفت عنها وعن مصادرها معظم النقاد واتجهوا إلى إعلان شأن النقد الغربي الذي لم يكن كنهه بريثاً أو سليماً ، فضلاً عن أن معظمه كان بعيداً عن واقع الأمة العربية فكراً ومضمناً .

وفي هذا الملحق أسماء بعض ما طبع من الدراسات البلاغية ، أريد بها أن تكون دليلاً للباحثين ، وبرهاناً على أن البلاغة العربية تستحق الدراسة

والعناية ، والتزود منها في النقد الأدبي الحديث ، وهو تمة لما ذكر في البحث الأول من هذا الكتاب وفي مطلع هذا الملحق من مصادر قديمة تعد أصول الدرس البلاغي والنقدي عند العرب .

### الهـمزة

وأهم هذه الدراسات :

- ١ - ابن أبي الأصم المصري بين علماء البلاغة - الدكتور حنفي محمد شرف .
- ٢ - ابن رشيق القيرواني - الدكتور عبدالرؤوف مخلوف .
- ٣ - ابن رشيق الناقد الشاعر - الدكتور عبدالرؤوف مخلوف .
- ٤ - ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان - الدكتور محمد عبدالنعم خفاجي .
- ٥ - أبو القاسم الأحمدي وكتاب الموازنة - الدكتور محمد علي أبو حدة .
- ٦ - أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية - الدكتور بدوي طبانة .
- ٧ - الأثر الأخرقي في البلاغة العربية - الدكتور مجيد عبدالحميد ناجي .
- ٨ - أثر البلاغة في تصحيف الكشاف - الدكتور عمر الملا حويش .
- ٩ - أثر النحاة في البحث البلاغي - الدكتور عبدالقادر حسين .
- ١٠ - أحاديث في تاريخ البلاغة وفي بعض قضاياها - الدكتور عبدالكريم محمد الأسعد .
- ١١ - الأدب والبلاغة - الدكتور ابراهيم أبو الخشب .

- ١٢- أساس البلاغة - الدكتور محمد السيد شيخون .
- ١٣- أساليب الاستفهام في القرآن - الدكتور عبدالعظيم فودة .
- ١٤- أساليب بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب .
- ١٥- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين - الدكتور قيس اسماعيل الأوسلي .
- ١٦- الاستمارة ( نشأتها - تطورها - أثرها في الأساليب العربية ) - الدكتور محمد السيد شيخون .
- ١٧- أسرار التكرار في القرآن - أحمد عبدالقادر عطا .
- ١٨- أسرار التشثيل بين الطريقة الأدبية والتقريرية - عبدالمتعال الصعيدي .
- ١٩- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية - الدكتور محمد عبدالحميد ناجسي .
- ٢٠- الأسلوب ( دراسة بلاغية تحليلية لاسول الأساليب الأدبية ) - أحمد الشايب .
- ٢١- الأسلوب الكناثي ( - نشأته - تطوره - بلاغته ) - الدكتور محمد السيد شيخون .
- ٢٢- أصول البيان العربي ( رؤية بلاغية معاصرة ) - الدكتور محمد حسين علي الصغير .
- ٢٣- الإعجاز البياني للقرآن ومساكن ابن الأزرق - الدكتورة عائشة عبدالرحمن ( بنت الشاطيء ) .
- ٢٤- الإعجاز الفني في القرآن - عمر السلامي .
- ٢٥- الإعجاز في نظم القرآن - الدكتور محمد السيد شيخون .

- ٢٦- إجاز القرآن - الدكتور عبدالكريم الخطيب .
- ٢٧- إجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق - الدكتور حفي محمد شرف .
- ٢٨- إجاز القرآن بين المعتزلة والاشاعرة - الدكتور منير سلطان .
- ٢٩- إجاز القرآن في دراسة كاشفة لأسرار البلاغة ومعاييرها - عبدالكريم الخطيب .
- ٣٠- إجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي .
- ٣١- إجاز النظام القرآني - أحمد عبدالوهاب .
- ٣٢- أمالي علي عبدالرازق في علم البيان وتأريخه - علي عبدالرازق .

### الباء

- ٣٣- الباقلائي ناقدا أدبيا - الدكتور فاضل محمد عبدالله .
- ٣٤- الباقلائي وكتابه إجاز القرآن - الدكتور عبدالرؤوف مخلوف .
- ٣٥- البحث البلاغي عند العرب - الدكتور أحمد مطلوب .
- ٣٦- بحوث بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب .
- ٣٧- بحوث وآراء في علوم البلاغة - أحمد مصطفى المراني .
- ٣٨- بحوث ومقالات في البلاغة - الدكتور فتحي عبدالقاهر فريد .
- ٣٩- البديع في ضوء أساليب القرآن - الدكتور عبدالفتاح لاشين .
- ٤٠- البديعيات في الأدب العربي ( نشأتها - تطورها - أثرها ) - الدكتور علي أبو زيد .
- ٤١- بلاغة أرسطو بين العرب واليونان - الدكتور ابراهيم سلامة .
- ٤٢- البلاغة التطبيقية دعامة النقد الأدبي السليم - الدكتور أحمد موسى .
- ٤٣- البلاغة تطور وتأريخ - الدكتور شوقي ضيف .
- ٤٤- البلاغة العربية - الدكتور أحمد مطلوب .
- ٤٥- البلاغة العربية بين التيسر والمعايرة - الدكتور أسعد أبو الرضا .
- ٤٦- البلاغة العربية تاريخا وتطبيقا - الدكتور المحمدي عبدالعزير الحناوي .

- ٤٧- البلاغة العربية (تاريخها - مصادرها - مناهجها) - الدكتور علي عشري \*
- ٤٨- البلاغة العربية في تاريخها - الدكتور محمد علي سلطاني \*
- ٤٩- البلاغة العربية في نوبها الجديد - الدكتور بكري شيخ أمين \*
- ٥٠- البلاغة العربية في دور نشأتها - الدكتور سيد نوبل \*
- ٥١- البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل - الدكتور محمد بركات حسني أبو علي \*
- ٥٢- البلاغة العربية (نشأتها وتطورها) - الدكتور فتحي محمد شرف \*
- ٥٣- البلاغة (عرض وتوجيه وتفسير) - الدكتور محمد بركات حسني أبو علي \*
- ٥٤- البلاغة العصرية واللغة العربية - سلامة موسى \*
- ٥٥- بلاغة العطف في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية) - الدكتور عزة الشرفاوي \*
- ٥٦- البلاغة عند الجاحظ - الدكتور أحمد مطلوب \*
- ٥٧- البلاغة عند السكاكي - الدكتور أحمد مطلوب \*
- ٥٨- البلاغة الفنية - علي الجندي \*
- ٥٩- بلاغة القرآن - محمد الخضر حسين \*
- ٦٠- بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ - الدكتور فتحي أحمد عامر \*
- ٦١- بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية - الدكتور عبدالفتاح لاشين \*
- ٦٢- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية - الدكتور محمد حسنين أبو موسى \*
- ٦٣- البلاغة والأسلوب - الدكتور محمد عبدالمنظف \*
- ٦٤- البلاغة والتطبيق - الدكتور أحمد مطلوب والدكتور كامل البصير \*
- ٦٥- البلاغة والنقد بين التاريخ والفن - الدكتور مصطفى الصاوي الجوزي \*
- ٦٥(ب)- بناء الصورة الفنية في البيان العربي - الدكتور كامل حسن البصير \*



- ٦٦ - البهاء السيكي وآرائه البلاغية والنقدية - الدكتور عبدالفتاح لاشين \*
- ٦٧ - البيان العربي - الدكتور بدوي طباعة \*
- ٦٨ - البيان في إعجاز القرآن - محمد محمد السباعي الديب \*
- ٦٩ - البيان في ضوء أماليب القرآن - الدكتور عبدالفتاح لاشين \*
- ٧٠ - البيان القرآني - الدكتور محمد رجب البيومي \*
- ٧١ - البيان النبوي - الدكتور عدنان زرزور \*

## التساءل

- ٧٢ - تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية - الدكتور مهدي صالح السامرائي \*
- ٧٣ - تاريخ علوم البلاغة والتعرف برجالها - أحمد مصطفى الراعي \*
- ٧٤ - تاريخ فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة حتى عصرنا الحاضر - نعيم العصبي \*
- ٧٥ - تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري - الدكتور محمد زغلول سلام \*
- ٧٦ - التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري - الدكتور وليد قصاب \*
- ٧٧ - التراكيب النحوية من الوجوه البلاغية عند عبدالقاهر - الدكتور عبدالفتاح لاشين \*
- ٧٨ - التركيب اللغوي للأدب - الدكتور لطفي عبدالدمع \*
- ٧٩ - التشبيهات القرآنية والبيئة العربية - الدكتور واجدة مجيد الأطرفجي \*
- ٨٠ - التشبيه البليغ هل يرقى الى درجة المجاز - الدكتور عبدالعظيم ابراهيم \*
- ٨١ - التشبيه والتشليل - الدكتور يوسف البيومي \*

- ٨٢- التصور الأدبي في كتاب معاهد التنقيص على شواهد التلخيص  
 لعبدالرحيم العباسي - الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي \*
- ٨٣- التصور البياني - الدكتور حفي محمد شرف \*
- ٨٤- التصور البياني - الدكتور محمد أبو موسى \*
- ٨٥- التصور الفني في القرآن - سيد قطب \*
- ٨٦- تطور دراسات إعجاز القرآن وأثرها في البلاغة العربية - الدكتور  
 عمر الملا حويش \*
- ٨٧- تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث - الدكتور نعيم  
 حسن اليانبي \*
- ٨٨- التعبير البياني - الدكتور شفيح السيد \*
- ٨٩- التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكرى شيخ أمين \*
- ٩٠- التعبير البياني للقرآن الكريم - الدكتورة عائشة عبدالرحمن  
 ( بنيت الشاعري )
- ٩١- التفكير البلاغي عند العرب ( أسسه وتطوره الى القرن السادس ) -  
 الدكتور حمادي صمود \*
- ٩٢- تقي الدين بن حجة العسوي - الدكتور محمود رزق سليم \*

### الجيم

- ٩٣- جرس الإقفاط ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب -  
 الدكتور ماهر مهدي هلال \*
- ٩٤- جولة مع ضياءالدين بن الأثير - أحمد محمد عنبر \*

### الحاء

- ٩٥- حازم القرطاجني وقرينات أرسطو في الشعر والبلاغة - الدكتور  
 عبدالرحمن بدوي \*

- ٩٦- الحديث النبوي (مصطلحه وبلاغته) - الدكتور محمد المبالغ \*
- ٩٧- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية - الدكتور عز الدين السيد \*
- ٩٨- حول إعجاز القرآن - الدكتور علي العساري \*

### الغناء

- ٩٩- خصائص التراكيب - الدكتور محمد أبو موسى \*
- ١٠٠- خطوات التفسير الياضي للقرآن الكريم - الدكتور محمد وجيب البيومي \*
- ١٠١- الخيال في الشعر العربي - محمد الخضر حنين \*

### المدل

- ١٠٢- دراسات بلاغية وتقنية - الدكتور أحمد مطلوب \*
- ١٠٣- دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبدالقاهر في التشبيه والتشليل والتقديم والتأخير - عبدالهادي العدل \*
- ١٠٤- دراسات في الأدب والبلاغة - الدكتور سعد غلام وآخرون \*
- ١٠٥- دراسات في الأدب والنقد والبلاغة - الدكتور أحمد عبدالمنعم البيهي \*
- ١٠٦- دراسات في البلاغة الدكتور محمد بركات حسني أبو علي \*
- ١٠٧- دروس في البلاغة وتطورها - الدكتور جميل سعيد \*
- ١٠٨- دفاع عن البلاغة - أحمد حسن الزيات \*
- ١٠٩- دلالات التراكيب - الدكتور محمد أبو موسى \*

### السجع

- ١١٠- سر العربية وبيائها - الدكتور محمد بركات حسني أبو علي \*
- ١١١- السرقة الأدبية - الدكتور بدوي طبانة \*

## التسعين

١١٢- الشرفه الرضي بلاغيا - الدكتوراه مناهل فخرالدين فليح .

## المصادر

١١٣- الصبح البديعي في اللغة العربية - الدكتور أحمد ابراهيم موسى .

١١٤- الصور البديعية بين النظرية والتطبيق - الدكتور حفي محمد شرف .

١١٥- الصور البيانية بين النظرية والتطبيق - الدكتور حفي محمد شرف .

١١٦- صور من تطور البيان العربي - الدكتور كامل الخولي .

١١٧- الصورة الأدبية - الدكتور مصطفى ناصف .

١١٨- الصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي - الدكتور محمد بركات

حادي أبو علي .

١١٩- الصورة البلاغية عند عبدالقاهر الجرجاني - الدكتور علي أحمد

دهمان .

١٢٠- الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي - مدحة سعد محمد الجيار .

١٢١- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي - الدكتور جابر

أحمد عصفور .

١٢٢- الصورة الفنية في شعر أبي تمام - الدكتور عبدالقادر الرباعي .

١٢٣- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي - الدكتور نصره عبدالرحمن .

١٢٤- الصورة الفنية في لثقل القرآني - الدكتور محمد حسين

علي الصغير .

١٢٥- الصورة الفنية معيارا نقديا - الدكتور عبدالاله الصائغ .

١٢٦- الصورة في شعر الأختل الصغير - الدكتور أحمد مطلوب .

١٢٧- الصورة في شعر بشار بن برد - الدكتور عبدالفتاح صالح نافع .

- ١٢٨- المسورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري -  
 الدكتور علي البطل •
- ١٢٩- المسورة والبناء الشعري - الدكتور محمد حسن عبدالله •

### الضاد

- ١٣٠- ضياء الدين بن الأثير - الدكتور أحمد مطلوب •
- ١٣١- ضياء الدين بن الأثير - الدكتور محمد زفلول سلام •
- ١٣٢- ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد - الدكتور محمد زفلول  
 سلام •

### العين

- ١٣٣- عبدالقاهر الجرجاني ( بلاغة وقده ) - الدكتور أحمد مطلوب •
- ١٣٤- عبدالقاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية - الدكتور  
 أحمد أحمد بدوي •
- ١٣٥- عبدالقاهر والبلاغة العربية - الدكتور محمد عبدالمنعم خضاجي •
- ١٣٦- علم البديع ( نشأته وتطوره من ابن المعتز حتى أسامة بن منقذ ) -  
 الدكتور عبدالرزاق أبو زيد زايد •
- ١٣٧- علم البديع والبلاغة عند العرب - كراشكوفسكي •
- ١٣٨- علم الفصاحة العربية - الدكتور محمد علي رزق الخضاجي •

### الفاء

- ١٣٩- الفاصلة في القرآن - محمد الحساوي •
- ١٤٠- الفاصلة القرآنية - الدكتور عبدالفتاح لاشين •
- ١٤١- فخر الدين الرازي بلاغياً - الدكتور ماهر مهدي هلال •

- ١٤٢- فصول في البلاغة - الدكتور محمد بركات حسني أبو علي \*
- ١٤٣- فصول من البلاغة - صادق ابراهيم خطاب \*
- ١٤٤- فصول من علم البلاغة - عبدالمنعم الروبي \*
- ١٤٥- فكرة النظم بين وجوه الاعجاز في القرآن الكريم - الدكتور  
نتهي أحمد عامر \*
- ١٤٦- فلسفة البلاغة - جبر ضومط \*
- ١٤٧- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور - الدكتور رجاء عيد \*
- ١٤٨- فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث - الدكتور لطفي  
عبدالديبع \*
- ١٤٩- فن الاستعارة - الدكتور أحمد عبدالسيد الساوي \*
- ١٥٠- فن الأسجاع - علي الجندي \*
- ١٥١- فن البلاغة - الدكتور عبدالقادر حسين \*
- ١٥٢- فن التشبيه - علي الجندي \*
- ١٥٣- فن الجناس - علي الجندي \*
- ١٥٤- فن القول - أمين الخولي \*
- ١٥٥- فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب - الدكتور فتحي  
عبدالقادر فريدا \*
- ١٥٦- فنون بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب \*
- ١٥٧- في الأدب والبيان - الدكتور محمد بركات حسني أبو علي \*
- ١٥٨- في إعجاز القرآن الكريم - الدكتور محمد بركات حسني أبو علي \*
- ١٥٩- في البلاغة العربية - الدكتور رجاء عيد \*
- ١٦٠- في تاريخ البلاغة العربية - الدكتور عبدالعزيز عتيق \*

#### القاصف

- ١٦١- القاضي الجرجاني - الدكتور أحمد أحمد بدوي \*
- ١٦٢- القاضي الجرجاني - الدكتور محمود السمره \*

- ١٦٣- قداسة بن جعفر والنقد الأدبي - الدكتور بدوي طبانة .  
 ١٦٤- القرآن بين الحقيقة والمجاز والإعجاز - محمد عبدالعتي حسن .  
 ١٦٥- القرآن والصورة البيانية - الدكتور عبدالقادر حسين .  
 ١٦٦- القزويني وشروح التلخيص - الدكتور أحمد مطلوب .  
 ١٦٧- قضايا النقد الأدبي والبلاغة - الدكتور محمد زكي العشماوي .  
 ١٦٨- قضية عمود الشعر العربي القديم ( ظهورها وتطورها ) - الدكتور  
 وليد قصاب .

### الكاف

- ١٦٩- كتاب أرسطو طاليس في الشعر - الدكتور شكري محمد عياد .  
 ١٧٠- كتاب سر النصاحة لابن سنان ( دراسة وتحليل ) - الدكتور  
 عبدالرزاق أبو زيد زايد .

### اللام

- ١٧١- اللغة والبلاغة - عدنان بن ذريل .  
 ١٧٢- لمحات في أصول الحديث والبلاغة النبوية - الدكتور محمد  
 أديب الصالح .

### الميم

- ١٧٣- المباحة في الشعر العباسي - عبدالعزيز بن عبدالله الشيبلي .  
 ١٧٤- المجاز في البلاغة العربية - الدكتور مهدي صالح السامرائي .  
 ١٧٥- المجاز وأثره في الدرس اللغوي - الدكتور محمد بشري عبدالجليل .  
 ١٧٦- محاضرات في فلسفة البلاغة العربية - الدكتور حلمي علي مرزوق .  
 ١٧٧- المختصر في تاريخ البلاغة - الدكتور عبدالقادر حسين .

- ١٧٨- المدخل الى دراسة البلاغة - الدكتور فتحي فريد .
- ١٧٩- المدخل الى دراسة البلاغة العربية - الدكتور السيد أحمد خليل .
- ١٨٠- المذهب البديعي في الشعر والنقد - الدكتور رجاء عيد .
- ١٨١- مشكلة السراقات في النقد العربي - الدكتور محمد مصطفى هدارة .
- ١٨٢- مصادر التفكير النقدي والبلاغي عند حازم القرطاجني - الدكتور منصور عبدالرحمن .
- ١٨٣- مصطلحات بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب .
- ١٨٤- مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ -  
الشاهد البوشيخي .
- ١٨٥- المصطلح النقدي في نقد الشعر - ادريس الناقوري .
- ١٨٦- معالم النهج البلاغي عند عبدالقاهر الجرجاني - الدكتور محمد  
بركات حسني أبو علي .
- ١٨٧- المعاني الثانية في الاسلوب القرآني - الدكتور فتحي أحمد عامر .
- ١٨٨- المعاني في ضوء أساليب القرآن - الدكتور عبدالفتاح لاشين .
- ١٨٩- مع بلاغة القرآن - الدكتور عبدالحميد العيسى .
- ١٩٠- المعجم الأدبي - الدكتور جيور عبدالنور .
- ١٩١- معجم البلاغة العربية - الدكتور بدوي طبانة .
- ١٩٢- معجم مصطلحات الأدب - الدكتور مجدي وهبة .
- ١٩٣- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها - الدكتور أحمد مطلوب .
- ١٩٤- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب - مجدي وهبة  
وكامل المهندس .
- ١٩٥- معجم النقد العربي القديم - الدكتور أحمد مطلوب .
- ١٩٦- مفهوم الاستعارة في بحوث النغمين والنقاد والبلاغيين - الدكتور  
أحمد السيد عبد الصاوي .



- ١٩٧- مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة - الدكتور محمد بركات  
 حدي أبو علي •
- ١٩٨- مقدمة في دراسة البيان العربي - الدكتور محمد بركات حدي  
 أبو علي •
- ١٩٩- ملاحظ الشخصية المصرية في الدراسات البيانية في القرن السابع  
 الهجري - الدكتور مصطفى الصاوي الجوزي •
- ٢٠٠- من أساليب البيان في القرآن الكريم - الدكتور محمد علي أبو  
 حنيفة •

- ٢٠١- من أسرار التركيب البلاغي - الدكتور سيد عبدالفتاح حجاب •
- ٢٠٢- من بلاغة النبوة - الدكتور عبدالقادر حسين •
- ٢٠٣- مناهج بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب •
- ٢٠٤- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب - أمين الخولي •
- ٢٠٥- مناهج وآراء في لغة القرآن - الدكتور محمد بركات حدي  
 أبو علي •

- ٢٠٦- من بلاغة القرآن - الدكتور أحمد أحمد بدوي •
- ٢٠٧- المنهاج الواضح للبلاغة - حامد عوني •
- ٢٠٨- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إيجازه - الدكتور  
 مصطفى الصاوي الجوزي •
- ٢٠٩- من الوجوه النفسية في دراسة الأدب ووقته - محمد خلف الله أحمد •
- ٢١٠- الموجز في تاريخ البلاغة - الدكتور مازن المبارك •

### التنون

- ٢١١- نحو بلاغة جديدة - الدكتور محمد عبدالنعم خضاجي والدكتور  
 عبدالعزيز شرفه •
- ٢١٢- نصوص النظرية البلاغية في القرنين الثالث والرابع للهجرة -  
 الدكتور داود سلوم والدكتور عمر الملا حريش •

- ٢١٣- نظرات في البلاغة والأسناد - الدكتور محمد عبدالرحمن الكردي \*
- ٢١٤- النظرات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين - معتمد الصغير بنالي \*
- ٢١٥- نظرية إيجاز القرآن عند عبدالقاهر الجرجاني - مجاهد حنيف السيد القيسي \*
- ٢١٦- نظرية البلاغة بين النقد العربي والنقد اليوناني - الدكتور السعيد السيد عبادة \*
- ٢١٧- نظرية عبدالقاهر في النظم - الدكتور درويش الجندي \*
- ٢١٨- نظرية العلاقات أو النظم بين عبدالقاهر والنقد الغربي الحديث - الدكتور محمد نائل أحمد \*
- ٢١٩- نظرية المعنى في النقد العربي - الدكتور مصطفى تاصف \*
- ٢٢٠- نظرية النظم (تأريخ وتطور) - الدكتور حاتم صالح الضامن \*
- ٢٢١- النظم الفني في سورة الرعد - محمد بن سعد الدبل \*
- ٢٢٢- النظم الفني في القرآن - عبدالمتعال الصعيدي \*
- ٢٢٣- النظم القرآني في كتابه الزمخشري - الدكتور درويش الجندي \*
- ٢٢٤- النقد الأدبي حول أبي تمام والبحري في القرن الرابع - الدكتور محمد علي أبو حدة \*
- ٢٢٥- النقد التحليلي عند عبدالقاهر الجرجاني - الدكتور أحمد عبد السيد الصاوي \*

بسم الله الرحمن الرحيم

فهذا ما وقعت عليه اليد من دراسات بلاغية مطبوعة ، وهناك مشات  
الكتب التعليمية والرسائل الجامعية يصعب التعرف عليها ، ولعل ما جاء في

هذا الملحق من « بحوث بلاغية » يدفع القارئ الى الاتساع بها وبمصادر  
 البلاغة والنقد القديمة ليقبوا صرح نقد عربي أصيل .

www.alarabpress.com

« قتل هندو سيبي اذعوا الى الله على بصيرة آفا ... »

« ومن الجبني ، و شبحان الله ، وما آفا من ... »

التشركين » . - صدق الله العظيم -

سورة البقرة آيات 175-176 ٤٤

سورة البقرة آيات 177-178 ٤٤

سورة البقرة آيات 179-180 ٤٤

سورة البقرة آيات 181-182 ٤٤

سورة البقرة آيات 183-184 ٤٤

سورة البقرة آيات 185-186 ٤٤

سورة البقرة آيات 187-188 ٤٤

سورة البقرة آيات 189-190 ٤٤



٤٤ - ٤٤

سورة البقرة آيات 191-192 ٤٤

سورة البقرة آيات 193-194 ٤٤

سورة البقرة آيات 195-196 ٤٤

سورة البقرة آيات 197-198 ٤٤

سورة البقرة آيات 199-200 ٤٤

سورة البقرة آيات 201-202 ٤٤

سورة البقرة آيات 203-204 ٤٤

سورة البقرة آيات 205-206 ٤٤

سورة البقرة آيات 207-208 ٤٤

## بحوث الكتاب

|         |                                    |
|---------|------------------------------------|
| ٢ - ٥   | القدمة                             |
| ٦ - ٢٨  | ١ - مصادر البحث البلاغي<br>الأهداف |
| ٨       | اعجاز القرآن                       |
| ١١      | المصريون والاسويون                 |
| ١٤      | الغريون والنحاة                    |
| ١٦      | الشعراء والكتاب                    |
| ١٨      | الفلاسفة والتكلمون                 |
| ١٩      | الملخصون والشراح                   |
| ٢٠      | أصحاب الديدميات                    |
| ٢١      | أهم مصادر البلاغة                  |
| ٢٨      | المصادر                            |
| ٢٩ - ٧٢ | ٢ - فصاحة عند الجاحظ               |
| ٢٩      | الفصاحة                            |
| ٣١      | فصاحة المتكلم                      |
| ٣٥      | الأسوات                            |
| ٣٨      | الأسنان                            |
| ٣٩      | اللسان                             |
| ٤١      | عيوب اللسان                        |
| ٤٦      | العي                               |
| ٤٦      | الخصر                              |
| ٤٧      | الخصن                              |

|           |                                |
|-----------|--------------------------------|
| ٥٠        | قصاصة الكلام                   |
| ٥٠        | الحروف                         |
| ٥١        | الإمساك                        |
| ٥٣        | الغرابية                       |
| ٥٧        | التقييد                        |
| ٥٧        | الدلالة                        |
| ٦٢        | المعاني                        |
| ٦٤        | الأثر                          |
| ٧٢        | المصادر                        |
| ١٠٢ - ٧٤  | ٢ - الأساليب البلاغية          |
| ٧٤        | المنهج                         |
| ٨٤        | التطبيق                        |
| ١٠١       | المصادر                        |
| ١٢١ - ١٠٢ | ٤ - الفنون البلاغية            |
| ١٠٣       | المنهج                         |
| ١١٢       | التطبيق                        |
| ١٣١       | المصادر                        |
| ١٤٨ - ١٢٢ | ٥ - البلاغة بين النطق والتلويح |
| ١٣٢       | أهمية البلاغة                  |
| ١٣٣       | اتجاهان بلاغيان                |
| ١٣٤       | موازاة                         |
| ١٤٣       | أهمية البديع                   |
| ١٤٤       | بين القاعدة والنوع             |
| ١٤٧       | المصادر                        |

|           |                                    |
|-----------|------------------------------------|
| ١٧١ - ١٤٩ | ٦ - أثر القرآن في البلاغة          |
| ١٤٩       | كلمة                               |
| ١٥٩       | الدافع                             |
| ١٦٠       | التأهيد                            |
| ١٧٠       | المصادر                            |
| ١٨٨ - ١٧٢ | ٧ - بديع القرآن الكريم             |
| ١٧٢       | البديع                             |
| ١٧٨       | الاهتمام بالبديع                   |
| ١٧٩       | هدف البديع                         |
| ١٨٠       | صور من بديع القرآن                 |
| ١٨٦       | البديع عربي أصيل                   |
| ١٨٨       | المصادر                            |
| ٢١٠ - ١٨٩ | ٨ - أثر الحديث في البلاغة          |
| ١٨٩       | الملاحق                            |
| ١٩٠       | الحديث وتعلم الكتابة               |
| ٢٠٣       | السنن                              |
| ٢٠٩       | المصادر                            |
| ٢٥٦ - ٢١١ | ٩ - أثر المصالح التبوية في البلاغة |
| ٢١١       | البديعيات                          |
| ٢٢٢       | بديعية الباهوية                    |
| ٢٣٠       | البديعية                           |
| ٢٥٠       | الموازنة                           |
| ٢٥٥       | المصادر                            |

|           |  |
|-----------|--|
| ٢٥٧ - ٢٩٢ | ١٠ - الر البلاغة العربية في البلاغة الفارسية |
| ٢٥٧       | الشبهة                                       |
| ٢٦٦       | التقضى                                       |
| ٢٧٤       | البرهان                                      |
| ٢٨٨       | المصادر                                      |
| ٢٩٢ - ٣١٧ | ١١ - البلاغة عند السيوطي                     |
| ٢٩٢       | كيفية البلاغة                                |
| ٣٠١       | القضايا البلاغية                             |
| ٣٠١       | إعجاز القرآن                                 |
| ٣٠٥       | آراء السيوطي                                 |
| ٣١٠       | ابتداعاته                                    |
| ٣١٣       | تقرىم  |
| ٣١٦       | المصادر                                      |
| ٣١٨ - ٣٢٢ | الخاتمة                                      |
| ٣٢٢ - ٣٢٩ | المحقق                                       |
| ٣٢٩ - ٣٤٠ | بحوث الكتاب                                  |





٤١٤٠٧

أ ٣٨٤ أحمد مطلوب

بحوث بلاغية / تأليف أحمد مطلوب -

بغداد : مطبوعات

الجمع العلمي ، ١٩٩٦ م .

٣٣٠ ص ٢٤٤ سم .

١ - البلاغة العربية - دراسات

أ - العنوان

٥٠٢

١٩٩٦ / ٣٣٨

الكتبة الوطنية ( القوس أثناء النشر )